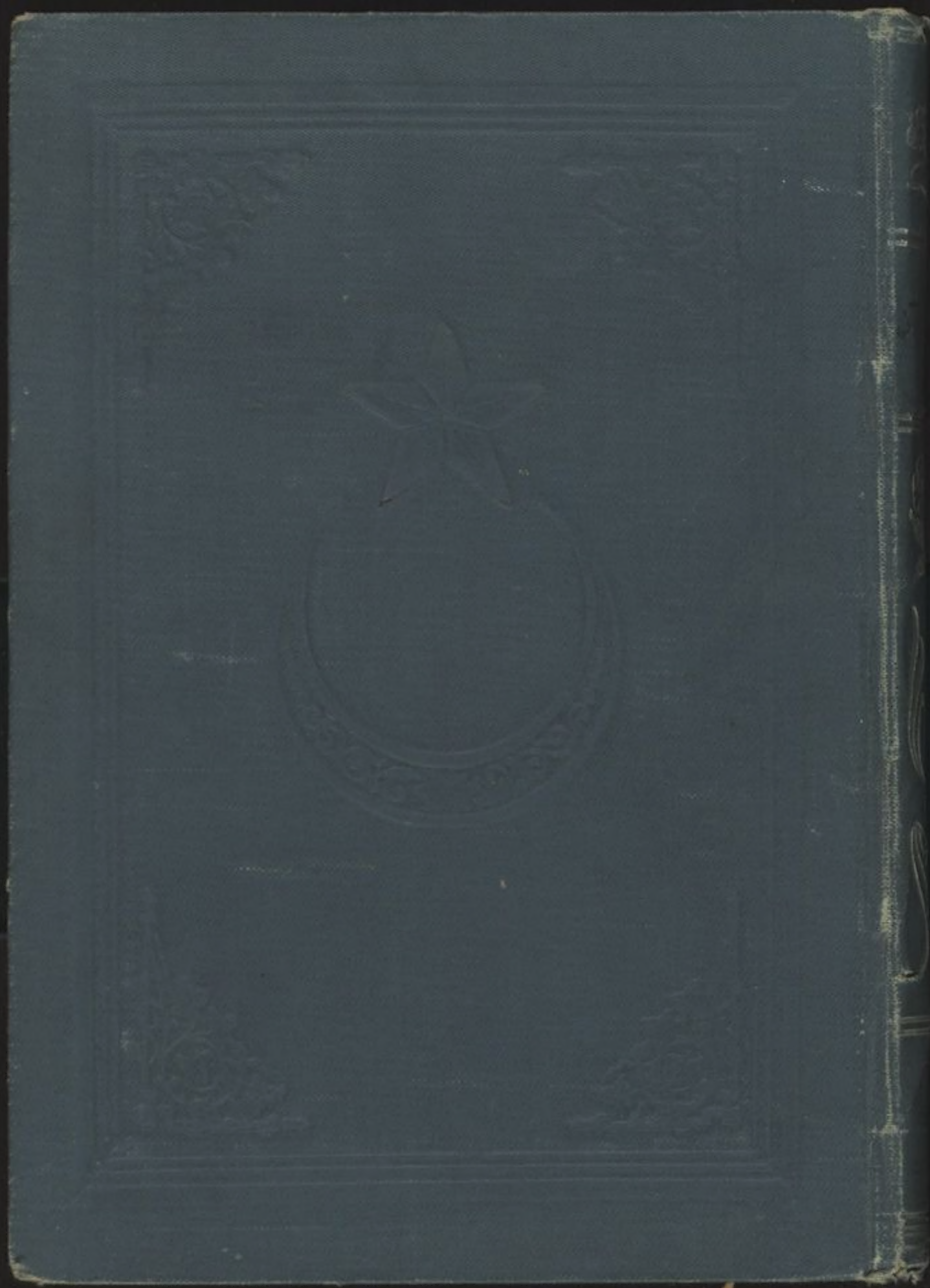




﴿ كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن ﴾

﴿تم الفهرس﴾

﴿ فهرس مقدمة التفسير للعلامة الشهير الراغب الاصفهانى ﴾

﴿ تمت ﴾

تنزيه القرآن عن المطاعن

﴿ املاء قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن ﴾
(عبد الجبار بن احمد) المتوفى بالري
سنة ٤١٥ رضى الله عنه آمين

(طبع على نفقة راجى عفو ربه الكريم)



صاحب المكتبة الأزهرية

(طبع بالمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ)

ترجمة مؤلف هذا الكتاب

هو قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني

وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الاطلاق غيره . قرأ على أبي اسحق بن عياش مدة ثم رحل الى بغداد وأقام عند الشيخ أبي عبد الله مدة مديدة حتى فاق الاقران وصار فريد دهره ،

قال الحاكم وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فانه الذي فتق علم الكلام ونشر برووده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لأحد قبله وطال عمره مواظبا على التدريس والاملاء حتى طبق الارض بكتبه وأصحابه وبعد صيته وعظم قدره واليه انتهت الرياسة في المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع وصار الاعتماد على كتبه :

(وشهرة حاله تغني عن الاطناب في الوصف)

استدعاه الصاحب الى الري بعد سنة ستين وثلاثمائة فبقي فيها مواظبا على التدريس الى أن توفي رحمه الله سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعمائة وكان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الارض ومرة يقول هو أعلم أهل الارض و يقال ان له أربعمائة ألف ورقة مما صنف في كل فن :

ومصنفاته أنواع منها في الكلام ككتاب الخلاف والوفاق وكتاب المبسوط وكتاب المحيط . ومنها نوع في الشروح كشرح الاصول وشرح المقالات . ومنها في أصول الفقه كالنهاية والعمدة وشرحه وله كتب في النقض على المخالفين كنقض اللمع ونقض الامامه . ومنها جوابات مسائل وردت عليه كالرازيات والنيسابوريات . ومنها في الخلاف ككتابه في الخلاف بين الشيخين . ومنها في المواعظ كنصيحة المتفقهة وله كتب في كل فن وعلى الجملة فحصر مصنفاته كالمتعذر وهو من أهل الطبقة الحادية عشرة من طبقات المعتزلة ذكر ذلك احمد بن يحيى المرتضى في كتاب المنية والامل في شرح كتاب الملل والنحل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه وإحسانه في الدين والدنيا وصلواته على محمد وآله الطيبين (أما بعد) فان أولى ما يتكلفه المرء في أثارة العلوم ما يعظم النفع به في دينه ودنياه فيعرف كيف يعبد ربه في الصلاة والصيام وغيرهما (وذلك) بقراءة القرآن وبالانقطاع إلى الله ، وكل ذلك لا يتم إلا بمعرفة معاني ما يقرؤه وما يورده في أدعيته من الأسماء الحسنى إما مفصلا وإما على الجملة فانه تعالى قد أودع القرآن من المواعظ والزواجر وغيرهما ما اذا تأمله المرء وقعت به الكفاية : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام وقد حذره عن اختلاف الأمة بعده : عليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم من يدعه من جبار قصمه الله ومن يتبع الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وأمره الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لما سمعه الجن لم يتناهوا أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد) هو الذي لا تختلف به الالسنة ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه : ومعلوم أنه لا ينتفع به إلا بعد الوقوف على معاني ما فيه وبعد الفصل بين محكمه ومتشابهه فكثير من الناس قد ضل بأن تمسك بالمتشابه حتى اعتقد ان قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) حقيقة في الحجر والمدر والطير والنعم وربما رأوا في ذلك تسبيح كل شيء من ذلك ومن اعتقد ذلك لم

ينتفع بما يقرؤه ولذلك قال تعالى (أفلا يتـدبرون القرآن) وكذلك وصـفه تعالى بأنه (يهدي للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين) وقد أملينا في ذلك كتابا يفصل بين المحكم والمتشابه عرضنا فيه سور القرآن على ترتيبها وبينا معاني ماتشابه من آياتها مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها ليكون النفع به أعظم ونسأل الله التوفيق للصواب ان شاء الله

(بسم الله الرحمن الرحيم) معنى بسم الله الابتـداء به تبركا واستعانة في كل أمر مهم : ومعنى الله ان العبادة به تليق دون غـيره لأنه الخالق والمنعم بسائر النعم : ومعنى الرحمن المبالغة في الانعام العظيم الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى : ومعنى الرحيم المبالغة في الاكثار من الرحمة والنعمة وقد يوصف بذلك غيره أيضاً

(مسـئلة) قالوا ماوجـه الابتداء ببسم الله وهلا قيـل بالله الرحمن الرحيم فالاستعانة بالله تقع لا باسمه. وجوابنا ان الأمر كما قالوا لـكنه ذكر اسمه وأريد هو على وجه الاعظام وهذا كقوله تعالى (سبح اسم ربك) فأمر بتنزيه اسمه وأراد تنزيهه عما لايليق به لـكنه ذكر الاسم تعظيما له وهذا كما يقال صلوات الله على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم .

(مسـئلة) قالوا فما وجـه ذكر هـذه الاسماء الثلاثة دون غـيرها • قيل له ذكر الله لأن المـكلف قداختص بأن لزمتـه عبادته وهو الذي يعرف أنواع نعمه وذكر الرحمن الرحيم لأنه لأجل ذلك استحق العبادة

﴿ سورة الحمد ﴾

معنى الحمد لله الشكر لله وكيف نشكره فعلمنا تعالى ذلك

(مسئلة) قالوا الحمدلله خبر فان كان حمد نفسه فلا فائدة لنافيه وان أمرنا

بذلك فكان يجب أن يقول قولوا الحمـد لله . وجوابنا عن ذلك أن المراد به الامر بالشكر والتعليم لـكي نشكره لـكنه وان حذف الامر فقد دل عليه بقوله (إياك نعبد وإياك نسـتعين) لأنه لا يليق بالله تعالى وإنما يليق بالعباد فاذا كان معناه قولوا (إياك نعبـد) فكذلك قوله (الحمدلله) وهذاكقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليـكم) معناه ويقولون(سلام عليـكم) ومثله كثير في القرآن

(مسئلة) وربما قالوا لماذا أعاد (الرحمن الرحيم) وقدتقدم من قبل. وجوابنا ان ذلك ليس بتكرار لأن المرادبالأول توكيد الاستعانة والمراد بالثاني توكيد الشكر له فلذلك كرر

(مسئلة) قالوا مامعنى قوله (مالك يوم الدين) ويوم الدين ليس بموجود حالا وكيف يملك المعـدوم وما فائدة ذلك . وجوابنا ان المراد القادر على { ذلك اليوم } الذي فيـه الجنة على عظم شـأنها والنار على عظم أمرها وفيـه المحاسـبة والمساءلة فنبه تعالى بذلك على انكم ان شكرتم وقمتم بالواجب فلكم من الفوز في الآخرة بالثواب نهاية ماتتمنون فصار ذلك ترغيباً في الشكر والعبادة وزجرا عن خلافه واذا قرئ « مالك » فالمراد به القدرة على يوم الدين واذا قرئ « ملك » فالمراد به القـدرة على العباد الذين يتصرف تعالى فيهم بما يوجب الانقياد له

(مسئلة) قالوا ما معنى (اهـدنا الصراط المستقيم) وعندكم ان الله تعالى قد هـدى الخلق بالادلة والبيان فما وجه هـذا الطلب والدعاء . وجوابنا عن ذلك انه تعالى وان مكن وأقدر المـكلف فى قدرته تعالى من زيادة البيان والادلة والالطاف والعصـمة ما ينتفع به العبـد اذا أمده بها والعبد يجوّز ذلك فيطلبه

وهذا كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) فأمر تعالى العبد أن ينقطع الى الله تعالى فيقول (إياك نعبد) وأن لا يكذب في ذلك فيكون مراده بالصلاة الرياء والسمعة وأن لا يستعين الا بالله تعالى وأن يستمد من جهته الالطاف والمعونة على الصراط المستقيم الذي هو دينه وطريقة من أنعم الله عليه لا طريقة الكفار الذين ضلوا فغضب الله عليهم

﴿ سورة البقرة ﴾

(مسئلة) قالوا ما الفائدة في قوله تعالى (الٓمٓ) ولا يعقل من ذلك في اللغة فائدة وكيف يجوز ذلك والقرآن عربي والعرب لا تعرف ذلك. وجوابنا ان الله تعالى جعل ذلك اسما للسورة وعلى هذا الوجه يقال سورة (ق) (وحم) السجدة وسورة (طه) ولله تعالى أن يجعل لهذه السورة اسما وهذا مروي عن الحسن البصري وغيره ومتى قيل فقد حصل فى ذلك اشتراك ولا بد من ضم زائدة اليه فلا فائدة اذاً فى ذلك . فجوابنا أن الالقاب كزيد وعمرو يقع فيها أيضاً الاشتراك ثم تميزها بزيادة وقيل أيضاً في جوابه ان فائدة ذلك أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي تقدرون عليها «ومع» ذلك يتعذر عليكم هذا النظم بفضل رتبته فاعلموا انه معجز .

•(مسئلة)• ومتى قيل ولماذا قال تعالى (ذلك الكتاب) ولم يقل هذا الكتاب . فجوابنا أنه جل وعز وعد رسوله إنزال كتاب عليه لا يمحوه الماء . فلما أنزل ذلك قال (ذلك الكتاب) والمراد ما وعدتك ولو قال هذا الكتاب لم يفد هذه الفائدة .

•(مسئلة)• قالوا ما معنى (لاريب فيه) وقد علمتم أن خلقا يشكون فى ذلك فكيف يصح ذلك وان أراد لا ريب فيه عندى وعند من يعلم فلا

فائدة فى ذلك . فجوابنا ان المراد انه حق يجب أن لا يرتاب فيه وهذا كما يبين المرء الشيء لخصمه فيحسن منه بعد البيان أن يقول هذا كالشمس واضح وهذا لا يشك فيه أحد وهذا كما يقال عند اظهار الشهادتين ان ذلك حق وصدق وان كان في الناس من يكذب بذلك .

•(مسئلة)• قالوا لماذا قال تعالى (هدى للمتقين) والهدى عندكم الدلالة وهو دلالة للكل فلماذا خص المتقين دون غيرهم هلا دل ذلك على ان الهدى هو نفس الايمان . فجوابنا أنه تعالى قد بين فى غير موضع ان القرآن هدى للناس فعم الكل وإنما خص المتقين هنا من حيث اختصوا بقبوله وهذا كقوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) فخصهم من حيث يخشون عند الانذار وان كان صلى الله عليه وسلم كان منذرا للكل كما قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقد ثبت ان ذكر الواحد لا يدل على ان غيره بخلافه .

•(مسئلة)• يقال مامعنى قوله (الذين يؤمنون بالغيب) ما الغيب الذي مدحهم بالايمان به أو لستم تقولون (لا يعلم الغيب إلا الله) . وجوابنا ان هذا الغيب يراد به الغائبات التي قام الدليل على صحتها كأمر الاخرة والجنة والنار والملائكة والحساب فمدح المتقين ووصفهم بأنهم يؤمنون بذلك (و يقيمون الصلاة) أي يدومون عليها و يؤدونها بحقها (ومما رزقناهم ينفقون) على وجه البر ولا ينفقون من الحرام الذى جعله الله رزقا لغيرهم فغصبوه ثم قال (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) حتى يؤمنون بكل الرسل ولا يفرقون بينهم (و بالآخرة هم يوقنون) فلا يدخلهم شبهة فى ذلك : ثم بين ان هؤلاء هم المفلحون الظافرون بثواب الله فدل بذلك على ان الثواب انما يكون بهذه الطريقة

ورغب في التمسك بها وزجر عن خلافها وقد قيل ان فى جوابه أن المراد أنهم يؤمنون بظهر الغيب باطناً كما يؤمنون ظاهرا وهذا أيضاً حسن .

•(مسئلة)• يقال مامعنى قوله (أولئك على هدى من ربهم) ومعلوم ان الهدى ان كان دلالة فكل المكلفين فيه سواء فهلا دل ذلك على انه نفس الايمان . فجوابنا ان المراد انهم على بصيرة مما تعبدهم به وتقبل الهدى يسمى هدى كما ان الجزاء على الامتثال للدلالة يسمى هدى وهذا كقوله تعالى في أهل النار انهم قالوا (لو هدانا الله لهدينا كم سواء علينا) وأرادوا بذلك النعيم والثواب .

•(مسئلة)• يقال ما معنى قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) ومعلوم ان فى الكفار من قرأه وآمن • فجوابنا أنه أراد قوما من الكفار مخصوصين في أيامه صلى الله عليه وسلم علم الله تعالى أن الصالح ان يخبر الرسول بأمرهم لكيلا يتشدد في استدعائهم ولا يغتم ببقائهم على الكفر وذلك كقوله تعالى (لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر) وهذا من العموم الذي يراد به الخصوص . وربما سألوا فقالوا اذا كان قد أخبرنا بأنهم لايؤمنون فكيف كلفهم وكيف يقدرون على الايمان الذي لوفعلوه لكان تكذيباً لخبر الله تعالى . فجوابنا ان ذلك انما يدل على انهم لا يؤمنون اختيارا وان قدروا عليه فلذلك ذمهم وقد يقدر القادر على مالا يختاره كما أنه تعالى يقدر على افناء الدنيا فى هذا الوقت وان كان لا يختاره ولو كان ايمانهم اذا قدروا عليه قدرة على تكذيب الله لكان الله تعالى اذا قدر على اقامة القيامة الآن وقد أخبر بأنه لا يقيمها الا بعد علامات أوجب أن يكون قادرا على تكذيب الله وكان يجب اذا قدر على الضدين وإنما يفعل أحدهما أن يكون قادرا على تجهيل

نفسه وهذا كلام من لا يعرف التكذيب والتجهيل وذلك ان التجهيل مايصير به المرء جاهلا دون غيره والتكذيب مايصير به كاذبا أو يتبين ذلك من حاله دون غيره .

•(مسئلة)• في ذلك أيضا يقال اذا كان قد علم أنهم يكفرون فلماذا حسن أن يكلفهم مع علمه بأنهم لا يختارون الا مايؤديهم إلى النار . وجوابنا انه انما علم انهم لا يختارون الايمان مع تمكنهم من اختياره وتسهيله سبيلهم إلى اختياره بكل وجه فانهم انما يؤتون من قبل أنفسهم وأنهم لو اختاروا الوصول الى ثواب عظيم لصح ذلك منهم ويفارق حالهم حال من منع من الايمان وانما يقبح ذلك على مذهب من يقول انه تعالى يخلق فيهم هذه الأفعال من المجبرة .

•(مسئلة)• قالوا فقد قال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وهذا يدل على أنه قد منعهم من الايمان ومذهبكم بخلافه وكيف تأويل الآية . وجوابنا ان للعلماء في ذلك جوابين ، أحدهما أنه تعالى شبه حالهم بحال الممنوع الذى على بصره غشاوة من حيث أزاح كل عللهم فلم يقبلوا كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فاذا لم يقبل صح أن تقول انه حمار قد طبع الله على قلبه وربما تقول انه ميت وقد قال تعالى للرسول (انك لا تسمع الموتى) وكانوا أحياء فلما لم يقبلوا شبههم بالموتى وهو كقول الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا • ولكن لا حياة لمن تنادى

ويبين ذلك انه تعالى ذمهم ولو كان هو المانع لهم لما ذمهم وانه ذكر في جملة ذلك الغشاوة على سمعهم وبصرهم وذلك لو كان ثابتاً لم يؤثر في كونهم عقلاء مكلفين . والجواب الثانى ان الختم علامة يفعلها تعالى في قلبهم لتعرف الملائكة كفرهم وانهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم ويكون ذلك لطفاً لهم ولطفاً لمن

يعرف ذلك من الكفار أو يظنه فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر وهذا جواب الحسن رحمه الله ولذلك قال تعالى (ولهم عذاب عظيم).

(مسئلة) يقال كيف يجوز أن يقول (ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر) وذلك يدل على الماضى ثم ينفى بعد ذلك بقوله (وماهم بمؤمنين). فجوابنا انه أراد تعالى المنافقين الذين يظهرون الايمان و يبطنون الكفر وقص تعالى خبرهم لعظم مضرتهم في ثلاث عشرة آية كما أنه ذكر صفة المؤمنين فى أربع آيات وصفة الكفار في آيتين فقد كانت مضرتهم أعظم في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم فكشف تعالى بذلك حالهم لئلا يغتر بهم ولكي يحرز من مخالطتهم ودل ذلك على ان اظهار الايمان ليس بايمان وان المعتمد على ما فى القلب من المعرفة وعلى هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم الايمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح .

(مسئلة) يقال كيف قال تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) ومعلوم ان الخداع منهم وان جاز على المؤمنين الذين لا يعرفون باطنهم فلا جائز على الله تعالى فكيف جاز أن يقول ذلك . وجوابنا ان فعلهم لما كان فعل المخادع قال تعالى ذلك وان لم يكن خداعا لله فى الحقيقة ولذلك قال تعالى بعده (وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون) لأن الذى فعلوه عاد بأعظم الضرر عليهم من حيث ينالهم ذلك بغتة وهم لا يشعرون .

(مسئلة) ان قيل ما معنى قوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) والمراد فى قلوبهم كفر ونفاق فزادهم الله ذلك أو ما يدل على ان الكفر من خلق الله ومن قبله . فجوابنا أنه تعالى ذكر المرض ولم يذكر الكفر فحمله على ان المراد به الكفر غلط والمراد بذلك أن في قلوبهم غماً أو حسدا

على ما يخص الله تعالى به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد كانوا يغتاظون ويعظم غمهم ثم قال تعالى (فزادهم الله مرضاً) أى غمّاً بما يفعله بالرسول و يجدده له من المنزلة حالا بعد حال فقول من قال بحمله على الكفر غلط عظيم ولذلك قال (ولهم عذاب أليم) فان كان الله تعالى خلق ذلك فيهم كما خلق لونهم وطولهم فأيّ ذنب لهم حتى يعذبهم وكيف يضيف اليهم فيقول (بما كانوا يكذبون) وعلى هذا وصفهم تعالى بأنهم مفسدون في الأرض وانهم السفهاء بعد ذلك وانهم (اذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم)

(مسئلة) قالوا كيف وصف تعالى نفسه بالاستهزاء (فقال الله يستهزئ بهم و يمدهم في طغيانهم يعمهون). فجوابنا أن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى لأنه فعل مخصوص يفعله من لا يمكنه التوصل إلى مراده إلا بهذا الجنس فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما أراد بذلك أنه يعاقبهم ويجازيهم على استهزائهم كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وما يفعله الله تعالى لا يكون سيئة ولا اعتداء ويقول العرب الجزاء بالجزاء والاول ليس بالجزاء . وقال صلى الله عليه وسلم أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك وانما أجرى اللفظ على جزاء الاستهزاء مجازا واتساعا . فان قيل فما معنى قوله تعالى (و يمدهم في طغيانهم يعمهون) أفتجوزون على الله تعالى ان يمدهم في كفرهم وان يريد ذلك . وجوابنا أنه تعالى أراد يمدهم في جزاء طغيانهم لا نفس طغيانهم ويحتمل أن يكون ذلك عاقبة أمرهم فى ذلك لقلة قبولهم و يكون ذلك مآل أمرهم وعلى هذا الوجه ذمهم بقوله يعمهون والمراد انهم يتحيرون وذمهم بقوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فالمراد بقوله (و يمدهم) أنه يبقيهم وهذا حالهم ويبين تعالى ذلك بأن (مثلهم كمثل الذي استوقد

نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) فان ظلمة المكان وقد كان فيه الضياء ثم فقد أعظم من الظلمة الدائمة .

○(مسئلة)○ ان قيل كيف يصح أن يقول تعالى (صم بكم عمى) ولم يكونوا كذلك في الحقيقة . فجوابنا انه تعالى شبه حالهم من حيث لم ينتفعوا بما يسمعون و يبصرون و يقولون بحال من هذا وصفه وذلك بين في اللغة فيمن لم يقبل ولا ينتفع والبيان انه يوصف بذلك على ما قدمنا من انه ربما يوصف بأنه ميت و بأنه بهيمة و بأنه حمار وقد تقدم ذكرذلك وعلى هذا الوجه يقال حبك للشيء يعمى ويصم والمراد يصيره الى رتبة الاعمى والاصم في انه لاينتفع و يتعدى وجه الصواب .

○(مسئلة)○ فان قيل كيف يقول تعالى (أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق) ولفظة أو يستعملها من شك في الامور دون العالم و يتعالى الله عن هذا الوصف : (فجوابنا) انه تعالى كما يجوز أن يمثلهم بشيء يجوز أن يمثلهم بشيء آخر في باب الضلالة وليس المراد الا الجمع بين الامرين وقد يقال لفظة أو فيما طريقه الجمع في ذلك كقوله تعالى (لاجناح عليكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) أراد الجمع وكذلك قوله (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن) أراد الجمع وقد يقال جالس الحسن أوابن سيرين والمراد الجمع واذا جاز في الواو أن يراد به معنى أو كقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) فكذلك يجوز أن يذكر أو ويراد به الجمع

(فصل) : ثم انه تعالى بعد وصف المنافقين بعث المكلفين على عبادته فقال (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) ولا يصح أن يقول ذلك الا مع الامر بمعرفة الله تعالى ليصح أن يعبد ومع اقامة

الدلالة التى يصل بالنظر فيها الى معرفة الله تعالى وذلك مانبه عليه بقوله (الذى خلقكم والذين من قبلكم) ونبه بذلك على ان العبادة انما تليق به لانه خالقنا والمنعم علينا ونبه بذلك على بطلان التقليد لانه لايصح أن يكون طريقاً لمعرفته ونبه بذلك على انه ليس بجسم وانه انما يعرف بفعله وخلقه

○(مسئلة)○ ان قيل فما معنى قوله تعالى (لعلكم تتقون) ولعل انما يستعمله المتكلم بمعنى الشك : فجوابنا ان المروى عن ابن عباس والحسن ان لعل وعسى من الله واجب فالمراد لكي تتقوا ولكي تشكروا وتفلحوا وذلك أحد ما يدلنا على انه تعالى لايريد من المكلف الا الطاعة التى هى التقوى والشكر وماشاكل ذلك وعلى هذا الوجه قال الله تعالى لموسى وهارون صلى الله عليهما وسلم (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) لانه أراد بذلك تذكره وخشيته وهو الذى يفهم في اللغة واذا ذكر في غير ذلك فهو مجاز . وقد أجاب بعض العلماء بان المخاطب اذا كان لايعلم هل يختار ذلك أولا يختاره صح من المخاطب ان يخاطبه بذلك ليترجاه فمن حيث كان المخاطب مترجيا غير قاطع جاز ان يخاطب بذلك فامر تعالى بعبادته ثم قال في آخره (فلا تجعلوا لله أندادا) وهذا هو معنى الاخلاص أى اعبدوه ووحدوه ثم نبه على وجوب الاعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فقد أوتيتم الفصاحة التامة فان كان غير صادق ولكم الحمية والانفة وقد ألزمكم طاعة الله والانقياد فما الذى يقعدكم عن ان تأتوا بمثله وهلا دل قعودكم عن ذلك على ان القرآن معجز يدل على صدقه في النبوة و بين انهم كما لم يأتون بمثله فكذلك حالهم أبدا بقوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا)

○(مسألة)○ يقال لم قال تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة)

وكيف تكون الحجارة وقودا وكيف يصح في الناس ان يكونوا وقودا لها وهم لا يحترقون • فجوابنا انه تعالى نبه على عظمها وانها لذلك تحترق بالحجارة وليس اذا كان الناس وقودها وجب ان يفنوا لانه تعالى يمنع وصول النار الى المقاتل وانما تحترق ظواهرهم كما قال عز وجل (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) أعاذنا الله منها بالتقوى

•(مسألة)• قالوا فقد قال تعالى في هذه النار (أعدت للكافرين) فهلا دل على ان غير الكفار لا يدخلونها • فجوابنا ان للنيران دركات فهذا صفة واحدة منها و بعد فليس اذا ذكر الله تعالى انها معدة للكافرين دل على نفي غيرهم وعقب ذلك بقوله (و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) و بين ان لهم فيها أزواجا مطهرة من الامور التي ربما تنفر في دار الدنيا من ضروب ما يتأذى به

•(مسألة)• ان قيل فما معنى قوله تعالى (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) • فجوابنا أنه تعالى لما ضرب مثل آلهتهم بالذباب (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) وضرب أيضاً مثلهم بالعنكبوت وضعف نسجه قال الكفار طعناً في ذلك كيف يضرب تعالى مثل آلهتنا بهذه المحقرات فأنزل الله تعالى هذه الآية وأراد أنه انما يضرب المثل بما هو أليق بالقصة وأصلح في التشبيه فاذا ضرب مثلهم في باب الضعف كان ذكر الحقير في المنظر من الحيوان أحسن موقعاً ومعنى قوله (بعوضة فما فوقها) أي في الصغر والضعف وعجائب الحكمة في البعوضة وصغار الحيوان أزيد من عجائبها في كبار الحيوان لمن تأمل

•(مسألة)• قالوا فقد قال تعالى (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد

الله بهذا مثلا) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وذلك يدل على أنه تعالى يضل ويهدي لا كما تقولون بأنه تعالى لا يجوز عليه ذلك « قلنا » انا انما ننكر أن يضل تعالى عن الدين بخلق الكفر والمعاصي وارادتها كما ننكر أن يأمر بها ويرغب فيها ولا ننكر أن يضل من استحق الضلال بكفره وفسقه وقد نص الله تعالى على ما نقوله في تفسير هذه الآية ودل عليه لانه قال (وما يضل به الا الفاسقين) فنبه بذلك على أن قوله « يضل به كثيرا » أريد به يضل بالكفر به كثيرا والا كان لا يكون لقوله « وما يضل به الا الفاسقين » معنى لان غير الفاسقين يضلهم على قول القوم ثم انه تعالى وصف من يضله فقال « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون » فبين تعالى أنه يضلهم بهذه الخصال لأنه يدوم بالضلالة وعلى هذا الوجه قال « فريقاً هدى » أي الى الثواب « وفريقاً حق عليهم الضلالة » بين كيف حق ذلك فقال « انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله » وعلى هذا الوجه قال « و يضل الله الظالمين » فخصهم بذلك وقال « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » أي الى الثواب وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) وقال (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقال (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بالالطاف والتأييد و قال تعالى (ان علينا للهدى) أي بالادلة وقال (و إنك لتهدي الى صراط مستقيم) أي بالأدلة وقال (كذلك يضل الله من هو مسرف كذاب) وقال تعالى (ومن يهد الله فهو المهتدي) أي بقبوله لذلك وقال (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا) وذم تعالى الشيطان وفرعون والسامري بما كان منهم من الضلال فالاضلال من الله تعالى مخالف لاضلالهم لا كما يقوله المجبرة والقدرية

الذين يضيفون تقدير الفواحش إلى ربهم فنقول إنه تعالى هدى الخلق بالأدلة والبيان ويهدي من آمن بالثواب خاصة ويهديهم أيضاً بالالطاف ونقول انه يضل من استحق العقاب بالمعاقبة وبأن يعدلهم عن طريق الجنة وبأن لا يفعل بهم من الألطاف ما ينفعهم ولا نقول انه يضل عن الدين بأن يخلق الضلال فيهم ولا انه يريده ولا انه يدعوهم اليه لان ذلك هو الذي يليق بالشياطين والفراعنة وانما قال تعالى (يضل به كثيراً) وأراد يعاقب بالكفر به (ويهدي به كثيراً) أي يثيب بالايمان به كثيراً ويجوز اضافة هذا الضلال إلى نفسه وقد قيل أيضاً انهم لما ضلوا عنده جاز أن يضاف إلى نفسه كما قال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) ثم قال من بعد (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم) فأضاف ايمانهم وكفرهم إلى السورة لما آمن بعضهم عند نزولها وكفر بعضهم فكذلك أضاف هذا الضلال إلى نفسه لما كفروا بالمثل عند نزوله ثم بين تعالى بقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم) على أن الكفر من قبلهم وانهم قد كفروا نعمة ربهم وعدد نعمه عليهم معظماً لذنبهم وكفرهم لأن عظم النعمة تعظم معصية المنعم ونعم الله علينا لا يدانيها نعم فلذلك يكون اليسير من المعاصي عظيما كما يكون اليسير من عقوق الوالد البار عظيما ودلّ بذلك على بطلان قول من يقول خلق الله فريقاً للكفر وفريقاً للايمان لان ذلك لو صح لكان لا نعمة له على من خلقه للكفر والنار .

٥(مسألة)٥ قالوا ما معنى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) . وجوابنا ان المراد ثم قصد خلق السماء لأنّ الاستواء عليه تعالى على الحد الذي يجوز على اشخاص لا يجوز ولذلك قال تعالى بعده (فسواهن سبع سموات)

٥(مسألة)٥ ان قيل أنتم تنزهون الملائكة عن المعاصي فكيف قال

تعالى (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أفليس هذا القول منهم كالاعتراض على ربهم • وجوابنا انه تعالى أعلمهم طريقهم في العبادة وانه سيسكن الارض من يقع من بعضهم الفساد والقتل فلما قال تعالى وقد صور آدم وخلقه (إني جاعل في الارض خليفة) قالوا على وجه المسألة والتعرف (أتجعل فيها من يفسد فيها) وعلى هذا الوجه يحسن ذلك ولذلك جعل تعالى جوابهم (إني أعلم مالا تعلمون) فبين سبحانه وتعالى انه العالم بالمصالح المستقبلة فاذا كان في معلومها ما يظهر من الفضل والعلم من الانبياء والمؤمنين كان ذلك أصلح في الحكم

٥(مسألة)٥ قالوا أفما يدل قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء) على ان الامر بما لا يطاق يحسن لأن الملائكة لم تقدر على هذه الاسماء ولذلك قالت (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) • وجوابنا ان ذلك جعله الله تعالى معجزة لآدم ودلالة على نبوته من حيث عرفه أسماء المسميات جميعاً فعرفت الملائكة بذلك انه نبي وعظمته وجعل الله تعالى ذلك مقدمة الى ما أمرهم به من تعظيمه بقوله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) والمراد عظموه بتوجيه السجود اليه وان كنتم تعبدون الله تعالى بذلك ولذلك قال تعالى (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) وانه تعالى قد عرف الملائكة بما كتب في أم الكتاب من الآجال والارزاق وغيرهما انه عالم بذاته بكل شيء فقال لهم (ألم أقل لكم) ألم أدلكم منبها على ان الذي خص به آدم من الاسماء لم يخصهم به ارادة لاظهار نبوته وتعظيمه

وقوله (أنبؤني) هو على وجه التحدي وتقدير عجزهم ولذلك كان جوابهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) ولذلك قال (ان كنتم صادقين) ومن لا علم له لا سبيل له الى العلم بانه صادق فى الاخبار عما لا يعلم ومعلوم انهم لو أخبروا لجاز أن يكونوا كذبة ولا يجوز أن يأمر تعالى بما هذا حاله

ه(مسألة)ه قالوا كيف استثنى تعالى ابليس من الملائكة وهو من الجن في قوله (فسجدوا الا ابليس) وجوابنا انه لما دخل معهم في الأمر له بأن يسجد لآدم وأريد منه ذلك بهذا القول فصح الاستثناء لأن الاستثناء من جهة المعنى لا يكون الا كذلك وذم الله تعالى له بأنه لم يسجد وتكفيره اياه يدل على قدرته على السجود بخلاف قول القدرية انه تعالى يأمر بما لا يقدر العبد عليه وقوله تعالى فى وصف ابليس (أبى) يدل أيضاً على بطلان قولهم لانه لا يقال أبى الا اذا قدر على الشيء ثم امتنع منه اذ أبى فعل نفسه

(مسألة) يقال كيف أسكن آدم تعالى وحواء الجنة وكيف أذلهما الشيطان عنها وكيف نفذ قول ابليس عليهما مخالفا أمر الله تعالى وكيف فعلا ما عوقبا عنده على الاخراج من الجنة . وجوابنا انه لا يمتنع فى سكنى تلك الجنة أن يكون صلاحا اذا لم يفعلا أمراً من الأمور وغير صلاح اذ افعلا ذلك فلما وقع منهما أكل الشجرة التي هي من جنس ما نهى الله تعالى عنه ويقال انها العنب ويقال التين ويقال الحنطة والاول أقرب أخرجهما تعالى من تلك الجنة ولم يخرجهما عقوبة لان معاصي الأنبياء لا تكون الا صغائر ولو فعلوا كبائر لحسن ذمهم ولعنهم والنبوة تمنع من ذلك فلما عصيا كان الصلاح اخراجهما الى الارض لما في المعلوم من العواقب الحميدة وكان ابليس يظهر لهما فوسوس اليهما وكان عندهما أن الله تعالى انما نهى عن شجرة بعينها وأراد الله تعالى ذلك الجنس كله فذهلا

عن هذا التأويل ولذلك قال تعالى (فنسي ولم نجد له عزما) ولو علما ان النهي عام في ذلك الجنس لم يقدما على اكل ذلك ثم من بعد تاب الله عليهما فزال تأثير تلك المعصية فلذلك قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وكان الله تعالى يعظم محل الانبياء لعلمهم كيف يتوبون وما الذي يؤدون من الكلمات ثم انه تعالى ذكر من بعد نعمه على بني اسرائيل وذكر أولادهم نعمه على الآباء لأن النعمة على الآباء بحيث تخلصوا من قتل الاعداء اياهم نعمة على الاولاد الذين لولا ذلك الخلاص لم يوجدوا فعلى هذا الوجه خاطبهم بهذه النعم وأمرهم بالوفاء بعهده لقوله تعالى (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) وهو المجازاة (واياي فارهبون) أي يجب ان تخافوا معصيتي فان ذلك يوقعكم في العقاب وآمنوا بما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) فقد كانوا يطمعون في الضعفاء فيضلونهم ويصرفونهم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) ثم قال (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) فدل بذلك على وجوب اظهار الحق بالدعاء اليه ودل به على ان من لبس الحق بالتشبيه فقد أقدم على عظيم وبين ان المرء كما يجب أن يدعو الى الخير يجب أن يتمسك به ومن لم يتمسك به لم يؤثر دعاؤه للغير فقال (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة) فجمع بذكر الصبر جميع ما منع تعالى منه وبذكر الصلاة جميع ما أمر به وبين ان الصلاة كبيرة (الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقو ربهم) أى ثواب ربهم فيعلمون المجازاة فيعظم خوفهم ويعلمون انهم اليه راجعون وبين لبني اسرائيل ولنا بقوله (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) ان من حكم ذلك اليوم ان المرء ينتفع

بعمله دون هذه الامور وان أهل العقاب لا يتخلصون الا بما يكون منهم في الدنيا من التوبة وتلافي المعصية ثم قال عز وجل (واذ نجيناكم من آل فرعون) فمن عليهم بما كان منه تعالى من نجاة آبائهم على ما ذكرنا وذكر نعمه حالا بعد حال الى قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا) وقوله في خلال هذه الآيات (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) يدل على ان الرؤية على الله تعالى لا تجوز وقوله (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) يدل على قدرة الله تعالى على الامور العجيبة وان عصا موسى كانت من الآيات العظام فمرة كانت تصير بيده ثعبانا فيتلقف إفك السحرة ومرة كان يضرب بها على الحجر فينفجر منه من الماء ما يحتاجون اليه ومرة كان يضرب بها على البحر فينفلق ويصير لهم طريقا يبسا ولما ذكر قوله (واني فضلتكم على العالمين) ظن بعضهم ان بني اسرائيل أفضل من سائر الانبياء وليس الامر كذلك وانما أراد به فضلهم على عالمي زمانهم وكذلك كانوا في أيام موسى صلى الله عليه وسلم دينا ودنيا

•(مسألة)• وربما قالوا في قوله تعالى (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) كيف يدخل قتل النفس في التوبة . وجوابنا انه تعالى أوجب أن يقتل بعضهم بعضا لعلمه بأن ذلك صلاحهم لان ذلك من شروط التوبة لان التوبة مقبولة اذا صحت بدون غيرها

•(مسألة)• وسألوا عن معنى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله) فقالوا كأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم وهذا كالمتناقض . وجوابنا ان المراد في الذين آمنوا الاستمرار على ايمانهم وفي الذين هادوا الانتقال الى الايمان وذلك صحيح وقد قيل ان المراد بأن

الذين آمنوا من أظهر الاسلام والمراد بمن آمن منهم كمال الايمان وذلك مستقيم

•(مسألة)• وقد قيل كيف قال (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ونحن نعلم ان المؤمنين قد يخافون ويحزنون . وجوابنا انه تعالى أراد ذلك في الآخرة كما قال تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال (لا يحزنهم الفزع الأكبر) وكل ذلك ترغيب في التمسك بالايمان والطاعة

(مسألة) قالوا في قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) كيف يأمر بذلك ثم يأمر بذبح بقرة لها صفة ثم بأخرى لها صفة أوليس ذلك يدل على البداء . وجوابنا انه أمر أولا بذبح بقرة على أي صفة كانت فلما عصوا كان الصلاح التشديد عليهم ثم كذلك حالا بعد حال الى أن أمرهم آخرا بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها فيقال طلبوها فاشتروها بمال عظيم لأنه لم يوجد بتلك الصفة سواها وكان السبب في ذلك ما بينه بقوله (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) وكان هناك قتيل وكتموا القاتل فأخفوه فأراد الله تعالى اظهاره باحياء القتيل عند ضربه ببعض البقرة ليذكر ذلك المقتول قاتله فيقام عليه حد الله تعالى والله تعالى وان كان قادرا على احياء ذلك القتيل من دون أن يضرب ببعض البقرة فقد كان لطفا لهم لان عادتهم كانت التقرب بذبح البقرة كما تعبدنا الله تعالى بذبحها في الاضحية وكان ذلك من معجزات موسى عليه السلام

(مسألة) يقال وقد قال تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) كيف يجوز ان يفضل قلبهم في القسوة على الحجارة والحجارة لا قسوة فيها أصلا وكيف قال (وان منها لما يهبط من خشية الله) وذلك لا يصح على

الحجارة • وجوابنا ان ذلك على وجه المثل ضربه الله تعالى لقلبهم فى القسوة لأن الظاهر ان القسوة تكون لصلابة القلب فكذلك القول فى الخشية أورده على وجه المثل وقد قيل أن المراد ولو جعل الحجر حيا لكان يحصل فيه من الخشية ماليس فى قلبهم والاول أقوى لأن الحجارة اذا جعلت حية لا تكون حجارة

(مسألة) قالوا كيف يقول تعالى (افتطمعون أن يؤمنوا لكم) يعنى اليهود ثم يقولون من بعد (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) فنفى فى الاول وأثبت فى الثانى وذلك تناقض • وجوابنا ان المراد (افتطمعون أن يؤمنوا) ايمانا ظاهرا و باطنا والذى عناه فى قوله (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) ما أوردوه ظاهرا على وجه النفاق فالكلام مستقيم ولذلك قال (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) فذمهم بذلك على هذه الطريقة التى هى النفاق و بين انهم يحرفون التوراة و يشترون بها ثمنا قليلا وانهم كانوا يفعلون ذلك ليستأكلوا ضعفاءهم فقال تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم) ودل بذلك على ان كتمان الحق فى الدين يوجب الويل وقوله تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) زجر عظيم لمن يعصى ربه كما ان قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ترغيب عظيم فى التمسك بطاعته . ثم ذكر انه أخذ ميثاق بنى اسرائيل فى أن لا يعبدوا الا الله وفى أن يتمسكوا بسائر ما ذكر بعد ذلك وانهم خالفوا وتولوا الا قليلا وانهم سفكوا الدماء و بين تعالى ان جزاء ذلك الخزي فى الحياة الدنيا وان يردوا الى أشد العذاب وزجر بذلك عن مثل فعلهم وذمهم على التكذيب بالقرآن بقوله (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما نزل علينا ويكفرون بما وراءه) كل ذلك زجر عن فعل مثلهم

(مسألة) وقالوا قال تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فقالوا كيف يجوز تعليله لانزاله القرآن بانهم أعداؤه . وجوابنا انه أراد توكيد ذمهم بانه بالمحل الذى ينزل به الوحى والقرآن لاجله على الرسل وزجرهم بذلك عن عداوتهم ثم بين ان من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فالله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين)

(مسألة) وسألوا عن قوله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) وقالوا الآية تدل على ان السحر من عند الله وان الملائكة أنزلت به وعلى انه اذا أدى الى مضرة فباذن الله . وجوابنا انه تعالى حكى عن اليهود انهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وانهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين والمراد بذلك ما تخبر به الشياطين على ملك سليمان ويكذبون عليه فانهم يتبرؤون من نبوته أعنى اليهود وينسبوه الى السحر كما حكت الشياطين فقال تعالى (وما كفر سليمان) نزهه عن السحر الذى نسبوه اليه ثم قال (ولكن الشياطين كفروا) بان نسبوا السحر الى سليمان على وجه الكذب وجحدوا نبوته ثم قال تعالى فى وصفه الشياطين (يعلمون الناس السحر) على وجه الاضرار ثم قال تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) فبين انه تعالى أنزل ببابل السحر عليهما ليعرفا الناس فيتحرزوا من ضرره لان تعريف الشر حسن ومعه يصح الاحتراز ولذلك قال تعالى (وما يعلمان من أحد) يعنى الملكين (حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) فبين ان مرادهم بتعليم السحر لا ان يعمل به لكن لكى يعرف فيتحرز من فاعله و يتحرز من التمسك به ثم قوله تعالى (و يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وهو ذم لمن يتعلم من الملكين فلا يتحرز بل يعمل به فهو بمنزلة أن يعرف من الرسول الزنا وغيره من الفواحش فبعضهم يعمل بذلك فلا

يخرج بيان النبي صلى الله عليه وسلم لذلك من أن يكون حسنا فكأنه قال (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان) واتبعوا (ما أنزل على الملكين) فيما يعملون على وجه الذم لهم . وقد روى عن الحسن انه كان يقرأ (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) ويقول كانا علجين أقلفين يأمران بالسحر ويتمسكان به والقراءة المشهورة خلاف ذلك وقد قيل فى تأويله ان المراد واتبعوا ماتتلوا الشياطين أى تحكى وتخبر على ملك سليمان وما أنزل على الملكين ببابل فكأنهم كما كذبوا على ملك سليمان كذبوا أيضا على ما أنزل على الملكين لأنهما أنزلا ليعلما السحر ويكون قوله (ويتعلمون منهما) أى من السحر والكفر والوجه الاول أقوى . فان قيل وما السحر الذى هو كفر أتقولون ان جميعه كفر أو بعضه وما حقيقته . قيل له ان السحر فى الاصل هو مالطف مأخذه مما يقصد به الاضرار والاحتيال لكن فى الناس من يوهم انه يفعل مالا حقيقة له كما يدعى بعضهم أنه يطير بلا جناح ويركب المكانس وغيرها فيبعد بالوقت اليسير وانه يخبط الناس ويصور المرء بخلاف صورته الى ما شاكل ذلك وهو الذى قال صلى الله عليه وسلم (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقهما فيما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد) لانهم يوهمون انهم يعلمون الغيب وذلك كذب منهم وربما صدق فى هذا الزمان بعض المنجمين فى مثل ذلك وهو عظيم يوجب الطعن فى نبوة الانبياء صلوات الله عليهم الذين انما عرفت نبوتهم بان اظهروا علم الغيب نحو قوله عز وجل فى وصف عيسى عليه السلام (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم) فمن أوهم ذلك فهو كافر فى الحقيقة فاما السحر الذى يصح وقوعه فهو مالم يلطف من هذه الافعال التى تجرى مجرى الحيل فالاول هو الكفر والثانى يحتمل أن يكون كفرا ويحتمل خلاف ذلك فان أوهم انه يفرق بين المرء

وزوجه بان يفعل فى قلب الزوج أو قلبها مالا يمكن ويكون معجزا فهو كالاول وان أوهم انه يزيل العقل ويحدث العيوب فى أحدهما فهو كالاول وان ذكر انه يحتال بما يمكن المرء أن يفعله حتى يفرق بينهما أو يقتل أو يفعل ما يؤدى الى المرض فذلك فسق ليس بكفر وقد ذكر بعض مشايخ المتكلمين ممن عمل كتاب المتشابه ان رجلا تزوج امرأة على أخرى فعظم ذلك علي الاولى وانها استعانت بغيرها فتوصل الى أن قال للثانية ان أردت أن تغرس محبتك فى قلب الزوج ليختارك على الاولى فخذى موسى فاقطعى ثلاث شعرات من لحيته وهى مايقارب الحلق وألقى الى الزوج بأن هذه المرأة ستحتال عليه بالقتل فلما قربت الموسى منه فى المحل الذي حرره لم يشك الزوج بان الامر علي ما قال الرجل من انها قصدت قتله فقام اليها وقتلها وكان ذلك تفرقة وقيل توصل اليها بهذه الحيلة فما يجرى هذا المجرى يكون فسقا ولا يكون كفرا وكل ذلك مما يصح تعرفه من الانبياء لكنهم يعلمون ذلك لكى يتحرز منه فيحسن ذلك والشياطين يعلمون ليعمل به فيقبح ذلك فهذا تأويل الآية وقوله تعالى (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) يحتمل أن يكون المراد بهذا الاذن العلم دون الامر ويحتمل أن يكون المراد فعلهم نفسه فيما عنده يفعل الله تعالى ما يضر من يضر غيره فيكون ذلك منسوبا الى الله تعالى وما يفعله من حيث يقع بارادته يجوز أن يقال انه باذنه وبين ان من يفعل ذلك ماله عند الله من خلاق وزجر بذلك عن التمسك بالسحر والحيل ثم قال (ولبئس ماشروا به أنفسهم) لان من باع نفسه بما يأتيه من السحر فهو خاسر الصفقة فى هذه التجارة

(مسألة) قالوا مامعنى قوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا المثوبة من عند الله خير) وكيف تكون المثوبة خيرا من السحر والسحر لاخير فيه . وجوابنا ان قوله

(ولو أنهم آمنوا واتقو) يدل على ان الايمان باختيارهم يقع وانهم اذا لم يؤمنوا فهم مقصرون بخلاف من يقول انه تعالى يخلق ذلك فيهم ورغب بذلك في الايمان والتقوى ومعنى قوله فى المثوبة انها خير أى أنما يؤدى اليها أولى أن يتمسك به وهذا كقوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) وانما أراد ان جنة الخلد هو الخير دون النار

(مسألة) يقال ما معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا) ومعناهما واحد فكيف يصح الامر بكلمة والنهى عن الاخرى والفائدة لا تختلف. وجوابنا ان المنقول فى الخبر ان اليهود كانت تقول للنبى صلى الله عليه وسلم (راعِنا) بكسر العين وتقصد الهزؤ وقوله تعالى (واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) يدل على ذلك فامر الله تعالى بالعدول عنه الى نظيره وهو قوله انظرنا وفى ذلك دلالة على وجوب تجنب الكلمة اذا أوهمت الخطأ وقوله تعالى فى آخر الآية (وللكافرين عذاب أليم) يدل على ما قلناه من انهم قصدوا أمرا مذموما فى راعنا فلذلك نقل الله تعالى المؤمنين عنها الى قوله (انظرنا)

(مسألة) وقالوا كيف يجوز أن ينسخ تعالى شيئا بشئ كما قال (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهل يدل ذلك على ان الآية لا تنسخ الا بآية. وجوابنا انه يتعبد المكلف فى كل وقت بما هو مصلحة له واذا كان فى زمن الوحى ربما يكون الصلاح انتظار نقل المكلف من عبادة الى عبادة فعلى هذا الوجه ينسخ تعالى العبادة بغيرها كما يفعل تعالى البرد بعد الحر والليل بعد النهار وقوله (نأت بخير منها) أى بما هو أصلح من الاولى ولا فرق بين أن يعلمنا ذلك بقرآن أو بوحى الى الرسول عليه السلام ثم بين انه تعالى على هذه المصالح

قدير بان بينها كاشاء فلا يدل ذلك على ان كل شئ داخل فى قدرته كنحو افعال العباد من كفر وايمان وقد يقال هو قدير على كل شئ لانه الذى يقدر غيره كما يقال للملك انه مالك البلاد وما فيها لما كان مقتدرا على أن يملك الغير ويسلبه ملكه ولذلك قال (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) وزجر المرء عن ان يتكل الا على عبادته

(مسألة) قالوا كيف قال تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وكيف منع من مسألة الرسول وقد نصبه الله تعالى معلما ومبينا. وجوابنا ان المراد المنع من مسألته على الرد والتعنت لا على وجه التفهم ولذلك قال (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)

(مسألة) وربما قالوا كيف يبدأ تعالى بقوله (أم تريدون) وعند العرب لا يبتدأ بذلك الاستفهام بل يبنى على كلام متقدم. وجوابنا انه قد يحذف المتقدم اذا دل الكلام عليه وذلك كقوله (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) ثم قال (أم يقولون افتراه) وقد قيل ان معناه بل تريدون أن تسألوا رسولكم بقول ذلك لليهود وقد تقدم ذكرهم

(مسألة) وسألوا فقالوا كيف قال (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسكم من بعد ما تبين لهم الحق) أفتقولون كانوا يعرفون الاسلام والنبوّة مع اظهارهم اليهودية. وجوابنا ان ظاهر الآية يدل على ذلك لأن كثيرا منهم كان يعرف ذلك ويبقى على اليهودية لاعراض الدنيا وقوله تعالى (حسدا من عند أنفسهم) يدل على ان حسدهم للرسول والمؤمنين لم يكن من خلق الله تعالى والا لم يضفه الى أنفسهم ورغب تعالى بقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) وبقوله (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) على هذه الاعمال

•(مسألة)• وقالوا ان قوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أونصارى) لا يصح لان الذين كان يحكى عنهم ان كانوا من اليهود لا يقولون ذلك فى النصارى وان كانوا من النصارى لايقولون ذلك فى اليهود فكيف تصح هذه الحكاية • وجوابنا ان الفائدة معقولة والمراد ان اليهود قالت (لن يدخل الجنة الا من كان هودا) والنصارى قالت لن يدخل الجنة الا من كان نصارى لان ذكر أهل الكتاب قد تقدم وحالهم فى طعن كل واحد منهم فى الآخر معلومة فلا بد من أن يكون المراد ما ذكرنا ثم بين تعالى ان تلك أمانيهم لابرهان عليه ثم قال (بلى من أسلم وجهه لله) يعنى بالتعبد (وهو محسن) وأراد بذلك مجانبة المعاصى (فله أجره عند ربه) لجمع بين الامرين فى حصول الثواب لئلا يغتر المكلف فيقصر فى أحدهما

•(مسألة)• وربما قيل مافائدة قوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) وذلك معلوم من حالهم فاى فائدة فى وصفهم بذلك • وجوابنا ان الفائدة بذلك قوله (وهم يتلون الكتاب) فبين انهم ذهلوا عما تدل عليه كتبهم من تصديق البعض للبعض فيما أودعه الله تعالى فى الكتب وقد يقال ان فلانا ليس على شئ وان كان فى جملة مايقوله ماهو حق اذا لم يتكامل تمسكه بالحق كما يقول فيمن يخالف فى التوحيد والعدل ليس هو على شئ وان كان يقول بالحق فى بعض الاشياء ولذلك قال تعالى بعده (الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

•(مسألة)• وقالوا قد قال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) الآية كيف يصح ذلك ومعلوم انهم قد يدخلون المساجد وليسوا

مخالفين وما معنى سعيهم فى خرابها ولم يتفق ذلك • وجوابنا انه قد روى ان أبابكر الصديق كان بنى مسجدا بمكة يدعو الناس الى الله تعالى فسعى الكفار فى تخريبه فانزل الله تعالى ذلك وقد قيل ان المراد منعهم الرسول صلى الله عليه عليه وسلم والصحابة حتى اضطروا الى الهجرة فبين الله تعالى انهم كما أخافوهم حتى فارقوا مسجد مكة فسيرفعه بحيث لا يدخلونه الا خائفين ومعنى قوله وسعى فى خرابها فى المنع عن عمارتها بالصلاة وسائر ما يبنى له المسجد كقوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) فكما جعل ذلك عمارة له جعل المنع من ذلك سعيا فى خرابه فان حمل الكلام على المسجد الحرام لم يكن لهؤلاء الكفار أن يدخلوها الا على وجه الخوف والا فان حمل على سائر المساجد كما قاله قوم فالمراد انهم اذا دخلوا يكونون خائفين من المسلمين فلا يدخلونها الا لمحاكمة أوغيرها فيكونون خائفين ثم قال تعالى (لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)

•(مسألة)• وربما قيل أمايدل قوله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) على المكان قلنا المراد ان هناك يوجد رضا الله كقول القائل لغيره من شغلك أن تصلى لوجه الله أى طلبا لمرضاته لاعلى وجه الرياء والسمعة ولو كان المراد بذلك المكان لوجب أن يكون تعالى فى وقت واحد في أماكن بحسب صلاة المصلين وقد يذكر الوجه ويراد به ذات الله وقد يقول القائل لغيره وقد سأله حاجة أحب أن تفعل ذلك لوجه الله تعالى أى تقربا الى الله فاما معنى قوله (فاينما تولوا فثم وجه الله) ان ذلك لكم بحسب الاجتهاد اذ يراد به في الظلمة اذا عميت القبلة أو في النافلة في السفر أو في المسايفة وذلك مذكور في الكتب

•(مسألة)• وسألوا عن قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له

ماقي السموات والارض كل له قانتون) فقالوا كيف يكون ماذكره آخر ابطلا لما قالوا . فجوابنا انه بين ان من يخلق هذه الامور و يعمل عليها لا يكون الاقديما مخالفا لمن تصح عليه الولادة ولذلك اتبعه بقوله (بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فبين تعالى بكل ذلك انه مخالف للاجسام التي تصح عليها الولادة وقالوا ان قوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون يدل على ان كل ما يفعله يفعله بهذا القول وان ذلك يوجب ان قوله وكلامه ليس بمحدث لانه لو كان محدثا لكان يحدثه بقول آخر و يؤدى الى مالانهاية له فجوابنا ان ماقالوه متناقض لان الظاهر يقتضى أنه يقول له كن وهذه اللفظة مشتملة على حرفين أحدهما يتقدمه الآخر والآخر يتأخر عنه على اتصال بينهما وماهذا حاله لا يكون الا محدثا فلا يصح اذا ما قالوا ولان قوله (انما يقول له كن فيكون) يقتضى انه يقول ذلك مستقبلا وذلك علامة الحدوث ولانه عطف المكوّن على القول بحرف الفاء ومن حقه أن يكون عقيبا له وما كان المحدث عقيبه لا يكون الا محدثا وعندنا ان المراد بذلك انه اذا قضى أمرا يكوّنه و يفعله من غير منع وذكر هذا القول على وجه التوسع ومثل ذلك في اللغة كما قال الشاعر

امتلأ الحوض وقال قطنى ٭ والحوض لا يقول ولكن المراد انه اذا امتلأ فحسبه من الماء

وأراد تعالى بذلك ان الاشياء لا تتعذر عليه كما تتعذر على سائر القادرين وقوله تعالى عقيب ذلك (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) ومعناه هلا يكلمنا الله يدل على انه تعالى يفعل الكلام في المستقبل فكيف يجوز أن يكون قديما وقوله تعالى (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) والمراد بشيرا لمن أطاع ونذيرا لمن عصى وهو ترغيب في الطاعة وزجر عن المعاصي وقوله من بعد لرسوله صلى الله عليه عليه وسلم (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم

مالك من الله من ولي ولا نصير) دلالة على ان النبوّة لا تعصمه من الوعيد اذا عصى فكيف يكون حال غيره

(٭ مسألة)٭ وما معنى قوله تعالى (واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) كيف يجوز في كلمات الله ان يتمها ابراهيم . وجوابنا ان المراد فيه انه ابتلاه بما يدل عليه الكلمات من العبادات وانه بامتثال ذلك أتم ما يلزمه وقد قيل انه علمه من أسمائه الحسنى مايصير بذلك من أهل النبوّة ولذلك قال تعالى بعده (انى جاعلك للناس اماما) فبين ان هذه الكلمات هي كالمقدمة لذلك و بين تعالى انه قد يكون في ذريته من يكون ظالما فلا يستحق النبوّة والامامة فقال (لا ينال عهدي الظالمين) و بين تعالى انه جعل بيته الذى هو الكعبة (مثابة للناس وأمنا) يثوبون اليه حالا بعد حال للعبادة فقد كان في شريعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم الحج على قريب مما هو في شريعتنا وجعل الله تعالى الحرم امنا في أشياء كثيرة ثم أمر أن يسأل ربه أن يجعل الحرم امنا وأن يؤتيهم من الطيبات وقد فعل تعالى لكنه سأل ذلك للمؤمنين فاجابه الله تعالى للكل فقال (ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار) وذلك لان عادة الله تعالى في الدنيا أن يعم خلقه بالارزاق بحسب المصالح فلا يحرم العاصي بمعصيته ولا يفضل المؤمن لايمانه لكنه يدبرهم بحسب الصلاح ودل قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) على انهما تعبدا ببناء البيت فلذلك قالا (ربنا تقبل منا) الى سائر ما دعوا الله تعالى

٭(مسألة)٭ قالوا مامعنى (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ان كان الاسلام من فعل العبد . وجوابنا ان المراد مسألة الالطاف والتسهيل في أن يصيرا مسلمين لان المرء وان كان يفعل الاسلام فلا يستغنى عن زيادات

الهدى والالطاف ولولا ذلك لما صح الامر والنهى بالاسلام والكفر ولماجاز المدح عليه ولم يكن لقوله تعالى (وأرنا مناسكناوتب علينا) معنى والوالد اذاتوصل الى تأديب ولده بأمور جاز أن يقال جعله أديبًا عالمًا لفعله الاسباب التى عندها تعلم وقيل ان المراد بذلك الانقياد لاالاسلام الذى هو تمسك بالعبادات ودلوا على ذلك بالاضافة فى قوله (مسلمين لك) ودلواعليه بما بعده من قوله (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) ومن يفعل الاسلام التى هى العبادات لايوصف بأنه أسلم لله ويوصف اذا أريد بهالاسلام و الانقياد وقوله من بعد (ان الله اصطفى لكم الدين)والمراد اختاره لكم يدل على أن لاسلام فعلهم

٥(مسألة)٥ ان قيل لم قال (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وما فائدة تعليق الاسلام بالموت وهو واجب في كل حال ٠وجوابنا انه لما كان المرء يخاف الموت في كل وقت صار ذكر الموت دلالة على وجوب التمسك بالاسلام والخوف من تركه في كل وقت ويكون ذلك في التحذير أقوى

٥(مسألة)٥ وسألوا فقالوا كيف قال (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) مع قوله في غير موضع انهم غيروا الكتاب وحرفوه ٠ فجوابنا انه تعالى أراد القرآن وأراد من أهل الكتاب من آمن ولذلك قال (يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) والكتب المتقدمة لايجب فيها هذه التلاوة وقد قيل ان المراد يتلون التوراة على حقها من غير تحريف لان من آمن بالرسول كان هذا حالهم فهذا أيضا يحتمله الكلام

٥(مسألة)٥ وسألوا فقالوا كيف يقول تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا) فكيف يصح ان ينفى ان يكون عليهم حجة ثم يقول الا الذين ظلموا فيكون لهم الحجة ٠ وجوابنا لكن للذين ظلموا الحجة فانهم يحتجون

عليكم بالباطل وذلك استثناء منقطع

٥(مسألة)٥ وقالوا كيف قال تعالى (وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) فخصهم بهذا الهدى ٠ وجوابنا ان هذا الهدى من جنس اللطف الذى يتأتى في المؤمنين كقوله (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقد بينا ان الهدى العام هو الدلالة ومتى أريد به الاثابة أوالالطاف فذلك خاص

٥(مسألة)٥ وسألوا عن قوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقالوا كيف يصح ذلك في الايمان وقد تقضى ٠ وجوابنا ان المراد ابطال ثوابه وقد قيل انه نزل في صلاتهم الى بيت المقدس فبين انه وان نسخها فانها محفوظ لمن لم يفسد ذلك بكفر أوكبيرة

٥(مسألة)٥ وسألوا عن قوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) قالوا لو عرف أهل الكتاب نبوته لما صح مع كثرتهم أن ينكروا ذلك و يجحدوه فكيف يصح ما أخبر به تعالى عنهم ٠وجوابنا ان المراد من كان يعرف ذلك منهم وهم طبقة من علمائهم دون العامة منهم ولذلك قال (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ولا يجوز ذلك على جميعهم لعلمنا باعتقاداتهم وتجويزه على من ذكرناهم يصح

٥(مسألة)٥ قالوا ان قوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول) يدل على انه تعالى انما يعلم من يتبع الرسول ومن لا يتبعه عند جعل القبلة كذلك وهذا يوجب ان علمه تعالى محدث ٠ وجوابنا أن المراد الا ليفعلوا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر العلم وأراد المعلوم لان المعلوم لا يكون الا بحسب العلم فذكر العلم يدل على حال المعلوم وذلك كقوله تعالى (حتى نعلم المجاهدين منكم) والمراد حتى يجاهدوا ونحن بذلك عالمون وقد قيل

انه تعالى ذكر نفسه وأراد رسوله كقوله تعالى (ان الذين يؤذون الله) والمراد يؤذون أنبياءه وكانه قال الا ليعلم الرسول من يتبعه

•(مسألة)• وسألوا عن قوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فقالوا كانه قال أفيضوا أيها الناس من حيث أفاض الناس وذلك لا يفيد . وجوابنا أنهم قبل الاسلام كانوا يقفون بمزدلفة و بعضهم كان يقف بعرفة فأمروا في الاسلام أن يقفوا بعرفة ثم يفيضوا منها الى المزدلفة وجعل ذلك شرعا وقال بعضهم أراد بقوله من حيث أفاض الناس أى ابراهيم ومن يتبعه لانه صلى الله عليه وسلم فى الحج أمر فى اكثره باتباع طريقة ابراهيم صلى الله عليه وسلم

•(مسألة)• قالوا وقال تعالى (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) ثم قال (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) وليس لذلك تعلق بالاول فما الفائدة فى ذلك . وجوابنا ان المراد فاذكروا الله كذكركم آباءكم بأن تسألوه مصالحكم فى الدين والدنيا ولذلك قال (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) فكانه قال اذكروا الله فى أمر دينكم ودنياكم كما ان هؤلاء الناس يقولون ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وضرب الله تعالى المثل بالآباء لان المعتاد ان المرء ينشأ على محبتهم وذكرهم والا فنعم الله تعالى أعظم من ذلك فذكرهم الله يجب أن يكون اكثر من ذكرهم لآبائهم

•(مسألة)• قالوا فى قوله (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) كيف يصح الرجوع الى الله وليس هو فى مكان . وجوابنا ان المراد به الرجوع الى الله حيث لاحكم ينفذ الا لله تعالى كما يقال فى الخصمين رجع أمرهما الى الحاكم أوالى الامير والمراد انه صار المتولى لذلك وقد جرت

العادة في الدنيا ان غير الله تعالى يملك الامور بان ملكه الله وفى الآخرة خلاف ذلك وهذه الآية تدل على ان غير الانبياء يجوز أن يقال فيهم صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى ذكر فى الصابرين على المصائب (ان عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وان كانت العادة فى تعظيم الانبياء قد جرت بان يخصوا بذلك وزجر تعالى عن كتمان الحق زجرا عظيما بقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل ان المراد باللاعنين الملائكة وذلك نهاية الزجر فى كتمان الحق . ثم بين أن هذا اللعن يزول بالتوبة فقال (الا الذين تابوا وأصلحوا و بينوا) ما كتموه ونبه تعالى بقوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة) على ان من تاب من الكفار خارج عن هذا الحكم و بين تعالى بقوله والهكم إله واحد لااله الا هو) ان الواجب فى العبادة أن توجه اليه وحده و بين الادلة عليه وعلى وحدانيته بقوله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) فذكر هذه الآيات الدالة على الله تعالى وعلى انه المنفرد بالالهية و بين فى آخره بقوله (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) ان الواجب على العقلاء أن يتدبروا هذه الامور فى سائر حالاتهم كما قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا) فالمعلوم ان العبادة بالصلاة والصيام وغيرهما تلزمهم فى حال دون حال والعبادة بذكر الله ومعرفته والتفكر فى نعمائه والقيام بشكر إفضاله تلزم فى كل حال وعلى هذا الوجه قال (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) فذم من لم ينظر فى هذين أحدهما التفكر فى سائر ما خلق ليقر به توحيده والآخر التفكر فى قرب الاجل والحزر

من ترك التوبة والاستعداد فنبه تعالى على وجوب هذين فى كل حال يذكرهما المرء . وبعد ذلك قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) وبين ان الذين آمنوا أشد حبا لله أى لعبادته وتعظيمه وبين ان هؤلاء اذا رأوا العذاب علموا أن القوة لله جميعا دون الانداد وتبرأ من اتبع ممن اتبعهم عند رؤية العذاب والذين يتبعون يتمنون الرجوع مرة أخرى حتى يتبرؤا ممن تبرأمنهم ثم بين انه يريهم أعمالهم حسرات عليهم ومن تفكر فى هذه الآيات يستغني بتأملها عن كل تذكر . ثم قال (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا)فشرط فيه كلا الشرطين (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الذى يزين لكم اللهو والهوى فانه عدو مبين . فخالفوه الى ماهو حلال وانشق عليكم ثم قال (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) فحذر من الشيطان بهذا النوع من التحذير وقبح قول من حكى عنهم أنهم اذا قيل لهم (اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فاختاروا تقليدالآباء واتباع طريقهم على ما بينه الله تعالى من الحق ومثلهم بقوله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالا يسمع الا دعاء ونداء) فوصف المنعوق بأنه وان سمع فهو بمنزلة الصم البكم لمالم يؤثر قول من دعاه الى عبادة الله فيه وبين بعد ذلك ما أحل وما حرم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) وبين ان ذلك وما أشبهه هو الحرام الا المضطر وأعاد زجر من يكتم الحق ويشترى به ثمنا قليلا وبين انهم يأكلون فى بطونهم نارا تحقيقا لما يستحقونه من العذاب وانهم اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) ثم انه تمم هذا الزجر والوعظ بقوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) وبين ان ذلك غير مقبول الا بأن يؤمن المرء بالله فيعرفه حق المعرفة ويؤمن بالملائكة

والنبيين ويؤتى المال وهو يحبه (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويوفى بعهد الله اذا عاهده وبعهد الناس ويصبر على البأساء والضراء يعنى فيما ينزل به من جهة الله من الشدائد والامراض قال تعالى (اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وذكر في موضع آخر (انما يتقبل الله من المتقين) وبين تعالى حكم القصاص فى آيات فقال (ولكم فى القصاص حياة) لان من تصور انه اذا قتل يقتل كف عن القتل فيبقى حيا من قتله ثم ذكر تعالى فيمن يحضره الموت الوصية للوالدين والاقربين وهذا وان نسخ وجوبه فهو مرغب فيه من الثلث اوما دونه ثم قال (فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه) ترغيبا فى ازالة الخلاف وبقاء الالفة . ثم بين تعالى حكم الصيام فى ايات كثيرة وأوجب صيام شهر رمضان على المقيم الصحيح وزجر عن خلافه

(مسألة) فان قيل فلماذا قال (وعلى الذين يطيقونه فدية) . وجوابنا ان ذلك كان من قبل فانه كان المرء مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ثم نسخ بوجوب الصيام وانما رخص فى ذلك لمن لا يطيق أو لمن خاف من الصيام ودل تعالى بقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) على انه اذا كان لم يرد التشديد فى الصوم مع السفر والمرض رحمة بالعبد فبأن لا يريد منه ما يؤديه الى النار أولى وقوله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) لم يرد به تعالى قرب المكان وهذا كقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وكقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وكقوله (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) وذلك مثله يحسن في الكلام البليغ وقد يقول المرء لغلامه وقد وكله فى ضيعة على وجه التهديد له انى معك حيث تكون يريد معرفته باحواله والله تعالى بكل مكان

على وجه التدبير للاماكن وعلى سبيل المعرفة بما يبطنه المرء ويظهره فهذا معنى الكلام ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون قريبا ممن بالشرق وممن بالغرب وان يكون فى الاماكن المتباعدة تعالى الله عن ذلك فانه قد كان ولا مكان وهو خالق الامكنة . وبين تعالى انه يجيب دعوة الداع اذا دعاه لكن ذلك بشرط أن لاتكون فسادا والذين يدعون لا يعرفون ذلك فلأجل ذاك ربما تقع الاجابة وربما لاتقع وربما تقدم وربما تأخر ، وقد كان من قبل يحرم على الصائم الاكل الا عند الافطار ثم أباحه الله تعالى وأباح غيره طول الليل فهو معنى قوله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) فقد كان من بعض الصحابة اقدام على الوطء ثم تاب من بعد ذلك فهو معنى قوله (فتاب عليكم وعفا عنكم) ثم أباحه بقوله (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر) وروى عن بعض الصحابة ومن بعدهم انه كان يبيح الاكل الى قريب من طلوع الشمس والصحيح انه انما يحل الى طلوع الفجر الثانى وهو الذى عليه العلماء والظاهر يدل عليه

•(مسألة)• وسألوا عن قوله (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فقالوا ان ذلك يدل على انه استبطاء النصر من جهة الله فكيف يجوز ذلك على الانبياء . وجوابنا انهم لم يقولوا ذلك استبطاء بل قالوه على وجه المسألة والدعاء وخوفا على مايلحق المسلمين من جهة الكفار فبين تعالى ان نصره قريب وآمنهم مما خافوه وذلك مما يحسن

•(مسألة)• ويقال كيف يجوز أن يقول تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) وما كتبه الله علينا لا يجوز أن يكره لانه من مصالحنا . وجوابنا

أن المرء تنفر نفسه عن ذلك لما فيه من المشقة وليس المراد انه يكره ذلك كيف يصح هذا وقد أوجب الله تعالى أن يعزم عليه وأن يراد وكذلك معنى قوله (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) والمراد به كراهة المشقة والنفار والمراد بقوله (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) محبة الميل والشهوة وقوله من بعد (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يبين صحة ما ذكرناه وهو أنه عالم بالمصالح وبما يؤدى اليه ما يشق من المنافع وبما يؤدى اليه مايتلذذ به من المضار

•(مسألة)• وقيل كيف يقول تعالى ان في الخمر والميسر منافع للناس مع الاثم العظيم . وجوابنا انه لا يمتنع أن يحصل فى شربه منافع ترجع الى مصالح البدن فاما ان يراد به منافع الآخرة فالذي بينه من أن الاثم فى شربه أكثر من نفعه يبطل ذلك وهذه الآية من أقوى ما يدل على تحريم الخمر لان اثم شربها اذا كان كبيراً فيجب أن تكون محرمة ومعنى قوله (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم) يدل على اباحة خلط أموالهم باموالنا واستعمال الاجتهاد فيما يكثرمنها ويحصل فيها النماء وكان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخ بان ينظر فى أموالهم متميزة من أموالنا وتطلب لهم فيها المنفعة

•(مسألة)• وقيل كيف قال تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ثم قال بعد ذلك (أولئك يدعون الى النار) وكذلك الفساق ربما دعوا الى النار ويحل نكاح نسائهم . وجوابنا ان الكفار قبل قوة الاسلام في حال غلبتهم كان الله تعالى حرم نكاح نسائهم لهذه العلة ثم أباح نكاح الكتابيات وقد قوى الاسلام وذلوا باداء الجزية فخرجوا من أن يكون فيهم هذه العلة ولذلك قال تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب

من قبلكم) فنبه تعالى بقوله (اليوم أحل لكم) على ان ذلك شرع متجدد وهذا قول عامة الفقهاء وان كان في الناس من يحرّم نكاحهن في هذا الوقت أيضا فاما الفاسق من جملة من ينتحل الاسلام فانه لا يوصف بانه يدعوالى النار

٥(مسألة)٥ وربما سألوا فقالوا قدقال (ولامة مؤمنة خير من مشركة) ومع ذلك فعندكم ان الحرة الكتابية يقدم نكاحها على نكاح الامة فكيف يصح ذلك وجوابنا ان المراد تقديم الأمة المؤمنة على الأمة الكافرة فلا يدل على ماذكرته كانه تعالى لما أباح نكاح الحرائر نفى تحريم نكاح الاماء منهن أصلا أو تحريم تقديم نكاحهن اذا كن إماء على نكاح الامة المؤمنة وقد حصل في الكتابية اذا كانت أمة النقص من وجهين فلذلك تقدم الامة المسلمة على نكاحها عند كثير من العلماء

٥(مسألة)٥ وسألوا عن قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ان تبروا) قالوا فكيف يمنع من ذلك مع البر وذلك غير مكروه . وجوابنا ان المراد ان لا تبروا ومثل ذلك شائع في اللغة كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) ومعناه أن لا تضلوا وقد قيل ان المراد كراهة الاكثار من اليمين وان بر فيه الحالف فيعظم ذكره جل وعز عن هذه الطريقة

٥(مسألة) ٥ وسألوا عن قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) فقالوا كيف يصح وقد يقع ذلك تعمدا . وجوابنا أن المراد أنه تعالى لا يؤاخذكم به على حد المؤاخذة بالايمان اذا كان ذلك يقع منه لا عن قصد الى عقد اليمين وان كان قاصدا الى نفس الكلام وهذا كما تعلم أن الاكل في شهر رمضان سهوا لا يؤاخذ به من حيث قصد نفسه الاول وان كان ذلك الاكل مما يقبح

٥(مسألة)٥ وسألوا عن قوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) فقالوا كيف يصح ذلك وقد ثبت في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

تعالى لا يؤاخذ أمته بما تحدث به نفسها مالم تعمل به . وجوابنا ان كسب القلب اذا كان من باب الاعتقاد أو من باب الارادة والكراهة يؤاخذ المرء به وانما أراد تعالى بهذا الكلام مؤاخذة الحالف على ما يقصد اليه من الايمان والمراد أيضا المؤاخذة في باب مايلزمه فيه الكفارة وليس لحديث النفس في ذلك مدخل ولا يؤاخذ المرء بحديث النفس اذا كان على وجه من التمني فانه يتمنى أن يرزقه الله تعالى مال زيد اوامرأة زيد اذا مات على الوجه المباح فالمرء الذى يعمل في ذلك عملا غير محرم لا يكون عليه في ذلك اثم

٥(مسألة)٥ وسألوا فيما قيل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) فقالوا جعلهما من شعائر الله وذلك يقتضى التعبد ثم قال (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) وذلك يدل على الاباحة فكيف يصح ذلك . وجوابنا ان في المتقدمين من قال أن المراد بذلك فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما كانه تعالى بين ان ذلك وان كان من الشعائر فليس بواجب وفي الناس من قال قد كان المشركون يمنعون من ذلك أشد منع فورد عن الله تعالى ازالة هذا المنع بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما ولا يمتنع ان ذلك ينصرف الى ازالة المنع من التعبد ويقولون قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وقوله ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) عقيب ذلك كالدلالة على ان ذلك تعبد لكنه يقوى الوجه الاول في انه ليس بواجب . وبعد فان رفع الجناح يقتضى ان ذلك ليس بقبيح ثم الكلام كيف حاله هل هو واجب أو ليس بواجب يقف على الدليل فليس في الآية تناقض كما زعموا

٥(مسألة)٥ وسألوا عن معنى قوله (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) فقالوا كيف جعل له أن يقصر في حقها لمكان اليمين . وجوابنا انه تعالى منع

من ذلك بقوله (فان فاؤا) فان المراد فان فاؤا فيها وخالفوا ما اقتضاه يمينهم فان الله غفور رحيم فمنع الزوج من أن يفعل ما يقتضيه يمينه فالامر بالضد مما سألوا عنه والمراد بقوله فان فاؤا العود الى خلاف مامنع نفسه منه باليمين وأباح له مع ذلك الطلاق اذا أراد بشرط أن لا يقصد الى مضارتها لمكان اليمين ثم بين انه ان طلق فعلى المطلقة العدة و بين تلك العدة فبين ان في حال العدة لبعولتهن الرجعة ان أرادوا ذلك • و بين ان بعد الرجعة لهن حق كما أن عليهن حقا فبين كيف يطلق المرأة وكيف يخالع امرأته عند المضارة فبين في الطلاق الثلاث انها تحرم الا بعد زوج وان ذلك مخالف للطلقة والطلقتين • فبين تعالى مافيه الرجعة ممالا رجعة فيه • و بين ان هذه الحدود متى لم يتمسك المرء بها عظم اثمه ثم بين في هذه الآيات مايلزمه من أدب الدين في أحكام الزوجات وأحكام الرضاع وأحكام العدة وغيرها الي قوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فاكد وجوب المحافظة على هذه الوسطى ولم يبينها فربما يكون ترك بيانها أصلح كما نقول في ليلة القدر لانها اذا لم تبين مفصلة يكون المرء أقرب الى مايلزم في حق عبادته وان كان العلماء قد اختلفوا في ذلك فذكروا الصبح والظهر والعصر وذكروا المغرب والذى يقوى في الخبر هو العصر

•(مسألة)• وقالوا كيف يقول (وقوموا لله قانتين) ثم يقول (فان خفتم فرجالا أو ركبانا) • وجوابنا أنه فصل تعالى بين حال الامن و بين حال الخوف الشديد لكن يتمسك المرء بالمحافظة وان لم يتمكن من القيام والتوجه في سائر الاركان كما يجب فقد روى في الخبر أن المراد بقوله (فرجالا أو ركبانا) مستقبلي القبلة وغير مستقبليها اذا كان حال المسايفة والمحاربة ولذلك قال تعالى (فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم) أى كما حده و بينه من اركان الصلاة

(مسألة) وربما قيل ما حده الله تعالى في المعتدة عن وفاة زوجها من الحول الذى بينه في قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول) كيف يجوز أن يكون منسوخا بقوله (والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا) مع أنه المتأخر في القرآن فكيف يجوز في المنسوخ أن يكون هو المتأخر ومعلوم من حال الناسخ أن يكون آخرا وجوابنا أنه متأخر في نظم التلاوة وهو متقدم في الانزال على الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو المعتبر وهذا بمنزلة ما يثبت أن الناسخ فيه مقارن المنسوخ وان وجب أن يكون متأخرا • ومن إصحابه أيضا أن ينزل تعالى المنسوخ أولا ويتعبد بالتوقف فيه ثم يرد الناسخ فعنده يؤمر بالعمل به ثم بالعمل بالناسخ ويكون معهما قرائن وجعل الله على النساء الفراق بالموت أو الطلاق أو الفسخ مدة عدم احتياط الانسان فاذ لم يقع الدخول فلا عدة في الطلاق وتجب المدة في الوفاة • وجملة العدة تكون في الوفاة أربعة أشهر وعشرا اذا لم يكن حمل فان حصل الوضع قبلها انقضت العدة به وفي الطلاق بانقضاء أيام الحيض وهى ثلاث حيض واذا لم يكن الحيض ممكنا فبالشهور وهي ثلاثة أشهر في الحرائر وفي الاماء على النصف من عدة الحرة وكل ذلك مالم يكن حمل فاذا كان فالعدة تنقضى بوضع الحمل وقد بين الله تعالى كل ذلك و بين أيضا مايجب للزوجات من نفقة وغيرها

(مسألة) وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وهو أمر بالاعتداء وكيف يجوز ذلك والاعتداء قبيح • وجوابنا انه تعالى أجري اسم الاعتداء على ماهو مقابل له من الجزاء كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ولايجوز عليه تعالى أن يأمر بالاعتداء مع قبحه

مسألة وربما قيل كيف قال تعالى (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات

عليهم) كيف يصح أن يريهم ذلك في الآخرة . وجوابنا أنه يحتمل أن يريهم ذلك في الصحف ويحتمل أن يريهم ثواب عملهم من الجنة لو كانوا قد أطاعوا فاذا صرف ذلك الى غيرهم كثرت حسراتهم

•(مسألة)• وربما قيل كيف قال تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وكيف يصح ذلك ويتعالى الله عن جواز الاتيان عليه • وجوابنا ان المراد إتيان الملائكة أو متحملي أمره كما قال تعالى في سورة النحل (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) وهذا كقوله (وجاء ربك) والمراد رسل ربك

(مسألة) وربما قيل كيف قال (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ولا يجوز عليه أن يزين الكفر . وجوابنا انه لم يقل من الذى زين والمراد الشياطين وغيرهم ممن يحسن ذلك للكفار ويحتمل أن يراد ان الله تعالى زين الحياة الدنيا بالشهوات ليكون المكلف بالامتناع من ذلك مستحقا للثواب وهذا يكون من قبل الله تعالى لكنه يضيف الى ذلك النهي والزجر ولذلك قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة) ومعلوم في الثلاثة والسبعة انها عشرة فاى فائدة في ذلك وجوابنا ان المراد انها كاملة في الاجر لانه كان يجوز أن يقدر ان الهدى أعظم أجرا من هذا الصيام اذا لم يجد الهدى فبين تعالى انه مثل ذلك في الاجر ويحتمل أن يكو المراد ان أجرها في الكمال كاجر من أقام على احرامه ولم يتحلل ولم يتمتع وقد قيل ان المراد أن صوم السبعة وان فارق صوم الثلاثة فهو كامل كما يكمل لو اتصل . وقيل ان المراد بكاملة مكملة فكأنه قال تعالى فاكملوا صومها وقيل

إن المراد قطع التوهم بوجوب شئ آخر بعدها

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) ولا اتصال لذلك بما تقدم • وجوابنا ان المراد انه سميع لقول القائل عليم بفعله رغب بذلك في الجهاد والقيام به كما يجب

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) وعندكم قد هدى الله كل الخلق • وجوابنا أنه خصهم لما اختصوا بان قبلوا وعملوا كقوله في أول السورة (هدى للمتقين)

(مسألة) وربما قيل كيف قال (ولو شاء الله لأعنتكم) ولا يجوز عليه عندكم ذلك . وجوابنا أن قوله لو يدل على نفى ما ذكر فدل بذلك على انه تعالى لا يشاء ما يكون قبيحا من العنت وغيره •

•(مسألة)• وربما قيل ما معنى قوله في قصة طالوت (والله يؤتى ملكه من يشاء) وعندكم ان الملك في الظلم لا يكون من قبل الله تعالى . وجوابنا أن المراد بالملك الاقتدار والنعمة والرأى الصادر عن العقل وكل ذلك من جهة الله أما نفس الظلم فلا يكون من فعله وهو سيئة •

(مسألة) وربما قالوا في قوله عز وجل (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ان ذلك يدل على ان كل غلبة من المحاربين من قبل الله . وجوابنا ان الاذن قد يراد به التخلية وذلك يكون من قبله تعالى لانه لا يأمر بما يقبح فأما الغلب في الجهاد فانه من قبل الله من حيث وقع بأمره وترغيبه •

(مسألة) وربما قيل في قوله (قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) كيف قطعوا بذلك وهو حكاية عن طالوت والذين آمنوا معه . وجوابنا ان المراد بذلك انه لا طاقة لنا الا من قبله على وجه الاتكال على الله تعالى واضافة الحول

والقوة اليه وقد قيل انذلك هو من قول أهل الشرك فيهم لامن قول المؤمنين .

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) وكيف قال (ولوشاء الله ما اقتتلوا) أومايدل ذلك على انه يريد القتال من الكفار أيضاً وانه لم يرده من المؤمنين . وجوابنا أن المراد مشيئة الا كراه والمراد لوشاء الله أن يلجئهم فلم يقتتلوا لكن لم يشأ ذلك بل مكن من الامرين تعريضاً للثواب وقيل ان المراد بذلك ولوشاء الله أن لايقتتلوا بسلب عقولهم لفعل ذلك لكن اختلفوا لما أعطاهم العقول فى القدر ولما اختلفوا فلو شاء الله أيضاً ما اقتتل الذين من بعدهم بأن يمنعهم من القتال بالقتال .

(مسئلة) وربما قيل إن قوله فى قصة طالوت (ربنا أفرغ علينا صبراً) يدل على ان الصبر من قبل الله وأنتم تقولون انه من فعل العبد . وجوابنا انهم سألوا من الالطاف فيقوى نفوسهم على الصبر على القتال كما ذكرناه فى قوله (اهدنا الصراط المستقيم) .

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقالوا ان ذلك يدل على ان الاسلام من فعل الله فيهم وجوابنا ان ذلك كقوله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) ومعلوم انهم لم يفعلوا فيهم الكفر لكنهم رغبوا ودعوا الى ذلك فالمراد انه تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور بالالطاف التى يفعلها فى هذا الباب والاخراج من الكفر والايمان فى الحقيقة لا يجوز وانما يذكر على وجه المجاز والتشبيه فى انتقال الاجسام .

(مسألة) وربما قالوا ان قوله تعالى (ولايحيطون بشئ من علمه) يدل على انه تعالى عالم بعلم وأنتم تقولون أنه عالم بذاته . وجوابنا ان المراد بذلك المعلومات

ولذلك قال (إلا بما شاء) فأدخل فيه مايدل على التبعيض وذلك لايتأتى الا فى المعلومات .

(مسألة) وربما قالوا كيف قال (وسع كرسيه السموات والارض) أفما يدل ذلك على انه يستوى على الكرسى . وجوابنا أن المراد بهذه الاضافة انه مكان لعبادة الملائكة كما يقال فى الكعبة إنها بيت الله وقد قيل ان المراد بالكرسى العلم والقدرة والاول أصح أراد تعالى أن يبين قدرته على العظيم من خلقه لتعلم بذلك قدرته على ماعداه .

(مسألة) وربما قيل ان قوله (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى) يدل على جواز الشك على الانبياء فى مثل ذلك . وجوابنا أن طلبه لذلك أن يريه ذلك عياناً من غير تدريج كما يخلق تعالى الحي من النطفة والعلقة لا انه لم يعرف الله فطلب زيادة شرح الصدر ولذلك قال (بلى ولكن ليطمئن قلبى)

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله (ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك) ان قوله بعد قول ذلك الكافر (أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) يدل على ان ابراهيم انقطع فى القول الاول وذلك لا يجوز على الانبياء . وجوابنا فى ذلك من وجوه (أحدها) ان خصمه المنقطع لان ابراهيم عليه السلام أراد إحياء من لا حياة فيه فلم يكن لمفىذلك حيلة وادعى الاحياء على وجه التبقية ومع ذلك زاده بيانا آخر لا يمكنه التمويه فيه (وثانيها) انه أراد اثبات الالوهية بأمر لا يصح منا وذكر إحياء الميت لدخوله في هذه الجلة فاذا عدل الى ذكر الشمس وطلوعها فانما عدل عن مثال الى مثال لأن الامثلة تذكر للايضاح (وثالثها) انه بين له انه لم يقدر على أن يأتى بالشمس من المغرب مع ان ذلك من جنس الحركات التى يقدر

العبد عليا فكيف يصح منه ما ادعاه في إحياء الميت (ورابعها) أنه استأنف له حجة أخرى لما انقطع في الاول وادعى ماهو خارج عن طوق الاحياء (وخامسها) أن المحاجة من الانبياء تقع على طريقة الاستدعاء فلهم أن يؤدوا حالا بعد حال ما يكون أقرب الى الاستجابة ولا يقع ذلك على طريقة المناظرة واذا كان الله تعالى نبه المكلفين بذكر الادلة على وجه التحقيق يكلهم بذلك الى التدبر والتفكر فالأنبياء صلى الله عليهم مثل ذلك بحسب ما يغلب في ظنهم من تأثيره فيمن يخاطب بذلك فلذلك قال تعالى بعده (فبهت الذى كفر) لانه في الفصل الثاني تحير ولم يتمكن من إيراد شبهته كما أورد في الفصل الاول (فان قيل) فلو إنه قال لابراهيم صلى الله عليه وسلم عند قوله (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) إن كان الله تعالى يأتى بها من المشرق فليأت بها من المغرب فكيف يكون حاله (قيل له) لو قال ذلك يسأل ربه أن يأتى به من المغرب حتى يصير مشاهداً لها وقوله تعالى بعد ذلك (والله لا يهدى القوم الظالمين) يدل على أنه أراد بالهداية الاثابة أو طريقة الجنة أو الالطاف التى هى زيادات الهدى فان الهدى الذى هو الدلالة قدهدى به الظالمين كما هدى به المتقين وفى هذه الآية دلالة على بطلان التقليد لانّ الأنبياء صلى الله عليهم وسلم اذا لم يقتصروا على قولهم بل استعملوا المحاجة مع خصومهم فكيف يسوغ لاحد في الديانات التقليد .

(مسألة) وربما قيل مافائدة قوله في الذي (مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم بعثه قال كم لبثت) وأى معنى في هذا السؤال . وجوابنا التنبيه على قدرته تعالى لانه ظن انه لبث يوما أو بعض يوم فأراه الله تعالى في أمر الطعام والشراب والحمار

ماعرف به قدرته ولا يجوز في جوابه أن يحمل الاعلى الظن لأن الميت لايعرف مقدار ما بقي ميتاً إلا ان أحياه الله وكل ذلك يظهر ويكون معجزة لبعض الأنبياء .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى) كيف يبطل ذلك . وجوابنا ان المراد بطلان ثوابها بما يقع من المتصدق من المنّ عليهم وأذية قلوبهم نحو أن يقول المتصدق للفقير ما أشد إبرامك وخلصنا منكم الله الى ما يجرى هذا المجرى فأدب الله تعالى المتصدق بأن لا يكسر قلب الفقير فكما أحسن في الفعل يحسن في القول ولذلك مثله (بصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً) وأدب أيضا بقوله (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) لان ماينفق لله وطلبا للثواب يجب أن لاتكون منزلته دون منزلة مايتلذذ به في الدنيا وهذا تأديب حسن وأدب أيضا بقوله (الشيطان يعدكم الفقر) فيبعث على البخل وترك الصدقة (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فيبعثكم على الصدقة وعلى خلاف الفحشاء والمعاصى و بعث الله تعالى أيضاً على اخفاء الصدقة بقوله (إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) والعلماء يقولون ان الاولى في الواجب أن يظهر وفيما عداه أن يكتم فيكون أقرب الى أن يكون مفعولا لذات الله تعالى . وربما قيل ما معنى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) مع أن الله تعالى بعثه هاديا ومبيناً . وجوابنا ان المراد ليس هو الدلالة لان الله تعالى قال (وإنك لتهدى الى صراط مستقيم) بل المراد اللطف لان ذلك ليس في مقدوره صلى الله عليه وسلم ولا يعلم الحال فيه فلذلك قال (ولكن الله يهدى من يشاء) ويحتمل أن يريد به الثواب لان ذلك في مقدوره تعالى فقد كان صلى الله عليه وسلم يغتم اذا لم يؤمنوا فبين ان ذلك ليس اليه

(مسألة) وربما قيل ان قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) كيف يصح ذلك وعندكم ان الشيطان لا يقدر على مثل ذلك . وجوابنا ان مس الشيطان إنما هو بالوسوسة كما قال تعالى في قصة أيوب (مسنى الشيطان بنصب وعذاب) كما يقال فيمن تفكر في شئ يغمه قد مسه التعب و بين ذلك قوله في صفة الشيطان (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) ولو كان يقدر على أن يخبط لصرف همته الى العلماء والزهاد وأهل العقول لاالى من يعتريه الضعف واذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة فتغلب عليه المرة فيتخبط كما يتفق ذلك في كثير من الانس اذا فعلوا ذلك بغيرهم .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فجعل العلة ما يعترى من النسيان وذلك قائم في الرجلين أيضا فكيف يقتصر عليهما في الشهادة وجوابنا ان الاغلب في النساء لنقصهن جواز النسيان وليس كذلك في الرجال فلذلك فصل بين الامرين .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) ان هذا يدل على جواز تكليف مالا يطاق والا لم يكن لهذه المسئلة معنى . وجوابنا ان مسئلة الشئ لاتدل على أن خلافه يحسن أن يفعل يبين ذلك قوله تعالى (قل رب احكم بالحق) ولايجوز أن يحكم بغيره وقول ابراهيم عليه السلام (ولاتخزنى يوم يبعثون) ولايجوز أن يخزى الله تعالى الانبياء فبطل ما ذكرته وبعد فيجوز أن يكون المراد بذلك (لاتحملنا مالاطاقة لنا به) من العذاب في الآخرة والطف بنا حتى ننصرف عما يؤدى الى ذلك .

﴿ سورة آل عمران ﴾

ه(مسألة)ه ربما قيل اذا كان في القرآن ما يخالف ما في التوراة والانجيل من النسخ وغيره فكيف يقال (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) . وجوابنا ان الناسخ به لا يكون مخالفا لان المنسوخ تعبد به في وقت والناسخ تعبد به بعد ذلك الوقت فلا خلاف فيه وفي شريعتنا ناسخ ومنسوخ وليس ذلك يوجب ان لا يصدق بعضه بعضا .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) أفما يدل ذلك على ان الواجب علينا ان ننظر فيهما كما ننظر في القرآن وجوابنا ان من عرف تلك اللغة وأمن التحريف يحسن منه أن ينظر فيهما لكنه لايجب من حيث كان العقل والقرآن يغنى عن ذلك وانما يمنع من النظر فيها لما يجرى من التحريف الذى لا يميزه مما لا تحريف فيه .

ه(مسألة)ه وربما قيل ما معنى قوله (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات) كيف يجوز أن ينزل ما يشتبه والمراد البيان . وجوابنا ان ذلك ربما يكون أصلح وأقوى في المعرفة وفي رغبة كل الناس في النظر في القرآن اذا طلبوا آية تدل على قولهم ويكون أقرب اذا اشتبه الى النظر بالعقل ومراجعة العلماء وهذا يجوز أن يعرف المدرس انه اذا ألقى المسئلة الى المتعلم من دون جواب يكون أصلح ليتكل على نفسه وغيره .

ه(مسألة)ه وربما قيل فما معنى قوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) كيف يجوز في بعض القرآن أن لا يعلمه العلماء وانما يؤمنون به وقد أنزله الله بيانا وشفاء . وجوابنا ان في العلماء من يتأوله على ما تؤول اليه أحوال الناس في الثواب والعقاب وغيرهما فبين تعالى انه جل جلاله يعلم ذلك

وهو تأويله وان الراسخين في العلم يؤمنون بجملة ذلك ولا يعرفونه ولم يعن بذلك الأحكام والتعبد وهـذا كقوله هل (ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) وأراد به المتأول وقال بعض العلماء المراد ان الراسخين يعلمون أيضاً وهم مع ذلك يؤمنون به فيجمعون بين الامرين بأنه قد يعلم معنى الكلام من لا يؤمن به وقد يؤمن به من لا يعلم معناه بقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) أى والا الراسخون فى العلم و يقولون مع ذلك (آمنا به كل من عند ربنا) وكلا الجوابين صحيح و بين تعالى ان من فى قلبه زيغ يتبع المتشابه • كاتباع المشبهة والمجبرة ظاهر ما فى القرآن فـذمهم بذلك والواجب اتباع الدليل وليس فى المتشابه آية الا و يقترن بها ما يدل على المراد • والعقل يدل على ذلك فالله تعالى جعل بعض القرآن متشابها ليؤدى الى أثارة العلم والى أن لا يتكلوا على تقليد القرآن ففيه مصلحة كبيرة وقد قيل إن المراد لا يعلم تأويله على التفصيل عاجلا أو آجلا الا الله تعالى وان كان الراسخون فى العلم يعلمون ذلك على الجملة دون التفصيل •

(مسألة) وربما سألوا فى قوله فى أول السورة (نزل عليك الكتاب بالحق) و يقولون انه تعالى ذكر ذلك ثم كرره بقوله (وأنزل الفرقان) وأنتم تمنعون من مثل هذا التكرار فى كتاب الله تعالى . وجوابنا ان المعنى والغرض اذا اختلفا لم يكن تكرارا ففى الاول بين انه أنزل الكتاب بالحق وأنه مصدق لما بين يديه من الكتب وفي الثانى ان التوراة والانجيل كما جعلهما هدى للناس كذلك الفرقان جعله هدى ومفرقا بين الحق والباطل .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) ما فائدة الشهادة

منه تعالى ومن لا يعلم و يعرف بصفاته وعدله لا يوثق بقوله وكذلك شهادة الملائكة فما الفائدة فى ذلك • وجوابنا أنه تعالى قد نبه على طريق معرفته في مثل قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم) وفي آية المحاجة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فأراد تعالى أن يحقق التوحيد بذكر شهادة الملائكة والعلماء ومثل ذلك بعد البيان يكون مصلحة وليس المراد بذلك الشهادة التى هى مثل البينات في الحقوق بل المراد التنبيه على وضوح الشئ ووضوح أدلته وبعث السامعين على تأمل طريقته .

•(مسألة)• وربما قالوا في قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا) ان ذلك كالدلالة على أنه يزيغ قلوب البعض من العباد وانه يصرفهم عن الهدى • وجوابنا ما تقدم من أن السائل قد يسأل ما المعلوم أنه تعالى لا يفعل خلافه فليس في هذه المسألة دلالة على أنه تعالى يفعل ببعضهم زيغ القلب كما ليس في قوله (رب احكم بالحق) دلالة على انه يحكم بالباطل والمراد أنهم سألوا أن يلطف بهم في أن لا يزيغ قلبهم بعد الهدى لأن المهتدى قد يحتاج الى الالطاف ليثبت على ذلك ويزداد هدى الى هدى .

•(مسألة)• وربما قالوا فعلى هذا التأويل سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في أن لا يزيغ قلبهم عن الهدى وهو اللطف فيجب في قوله (وهب لنا من لدنك رحمة) أن يكون تكراراً لأنّ الاول أيضاً رحمة ونعمة . وجوابنا ان المسألة الاولى هى اللطف فى باب الدين والثانية في التفضل في المعجل في مصالح الدنيا فالمعنى مختلف •

•(مسألة)• قالوا لم ذكر تعالى في قوله (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) ولا تعلق لوصفه تعالى بأنه سريع الحساب بقوله ومن يكفر

بآيات الله فكيف يصح ذلك . وجوابنا ان المراد بالحساب المجازاة على ما يأتيه المرء لان العلماء في الحساب مختلفون فنهم من يقول المراد به بيان ما يستحقه المرء على عمله ومنهم من يقول بل المراد نفس المجازاة وعلى الوجهين جميعاً فالثانى تعلق بالاول فكانه قال (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع) المحاسبة له ولغيره فيظهر ما يستحقه ويحل به وهذا نهاية فى التهديد وفى بيان العدل لانه تنبيه على ماينزل به من العقاب فهو بحسب ما يستحقه لانه يفعل به على وجه المجازاة ولذلك قال تعالى بعده (والله يرزق من يشاء بغير حساب) لما كان من باب التفضل .

(مسألة) وربما سألوا عن قوله (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) ما الفائدة فى ذكر قتل الأنبياء بعد الكفر وقتل المؤمنين ومعلوم انهم يستحقون العقاب على كفرهم وان لم يفعلوا شيئاً من ذلك . وجوابنا ان ما بشر به من العذاب لا يجب أن يرجع الى مجموع ذلك بل يرجع الى كل خصلة منه فكأنه قال (ان الذين يكفرون بآيات الله فبشرهم بعذاب أليم ان الذين يقتلون النبيين بغير حق) فكذلك ذلك فلا يدل ذكر الكل على ما ذكره لان الوعيد راجع الى كل واحد وقد قيل ان الآية نزلت فى اليهود الذين كان سلفهم بهذه الصفات .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (والله يؤيد بنصره من يشاء) إنه يقع من العباد فكيف أضافه الله اليه . وجوابنا ان النصر قد يقع من العباد بعضهم على بعض والأكثر منه مايقع من الله بأمور يفعلها فتقوى القلوب عندها فى الجهاد وغيره .

(مسألة) وقالوا فى قوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) الخ

اذ كان تعالى زينه فكيف يعاقب العبد على مازينه له . وجوابنا انه تعالى لم يذكر من الذى زين فيحتمل أن يريد من يدعو الى المعاصي من شياطين الانس والجن و يحتمل أنه تعالى زين لهم بالشهوات وخلق المشتهى لكنه يضم الى ذلك فيما هو معصية التخويف والوعيد وذلك مما يحسن ولذلك ذكر المال والخيل والاولاد ثم قال فى آخره (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) فرغب فى الآخرة العاقبة وزهد فى العاجلة فلهذا تأولناه على ان المراد ماجبل العباد عليه من الشهوات واللذات ولذلك قال بعده (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم) ثم وصفها بما ذكره بعده وأضاف الى ذلك رضوان الله تعالى ثم اتبعه بقوله (والله بصير بالعباد) ليتصور المرء فى كل ما يأتيه أنه تعالى مطلع عليه وذكر فى وصف الجنة (وأزواج مطهرة) والمراد بذلك انهن مطهرات مما ينفر في الدنيا من حيض وغيره وقيل من الذنوب والاول أقرب لأن فيهن من لم يكلف ومن كلف منهن فليست الحال حال تكليف فيذكر ذلك .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم) كيف يكون العلم وحصوله طريقا للاختلاف المذموم . وجوابنا ان من علم فعاند و بغى فذلك يكون عقابه أعظم فيحتمل أن يريد بذلك أهل الكتاب الذين عرفوا فعاندوا ولذلك خص الله تعالى أهل الكتاب بالذكر و يحتمل أن يكون المراد بقوله (من بعد ماجاءهم العلم) الدلالة وماهو طريق العلم لان من قصر في النظر فيه يعظم عقابه و يوصف بأنه قد بغى في ذلك .

(مسألة) وربما قالوا في قوله (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن) فيقولون كيف يبطل بذلك محاجتهم . وجوابنا ان المحاجة اذا كانت

بغير الحجاج لاتدفع الابمثل ذلك فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بين وكرر ذلك البين ثم وقع منهم محاجة صح دفعها بمثل هـذا الكلام والواحد منا اذا بين لمن خالف الحق حالا بعد حال لصح من بعد وقد كرر على المخالف أن يقول أنا أتوكل على الله وأستسلم له وأسلمك فيما تأتيـه الى خالقك وربما يكون ذلك أوكد وأرفع لباطله ممن أراد الحجاج عليه حالا بعـد حال ولذلك قال تعالى بعده (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ) فنبه بذلك على ان الابلاغ قد تقدم منه صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال .

•(مسألة)• وربما سألوا عن قوله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير) فقالوا أضاف تعالى ملك الملوك الى نفسه وأنه يفصل بين الظالم والعادل وقال مع ذلك (بيدك الخير) والطاعة أجمع من الخير فيجب أن تكون من فعله . فجوابنا أن الاصـل فى كل ملك هو العقدة والعقل والتمـكين ولا يكون ذلك الامنه تعالى وانما يختلف حال الملوك فيما عدا ذلك فمنهم من يفعل بعد ذلك أنواعا من أنواع الظلم فيقوى بها . ومنهم من لا يتعدى . فاذا حملنا الملك على ما ذكرناه أولا وهو الاصل فـكل ذلك مضاف الى الله تعالى وهو الذى يؤتيه وهو الذى ينزعه فأما العز فلا يكون فى الحقيقة الا من الله تعالى على كل حال لان من يعز بالمعاصى فهو ذليل ولذلك لا يعد الـكفر عزاً وان كان بعضهم يعز بعضاً بذلك . وبعد فانه تعالى ذكر أولا انه مالك الملك وان ما يملـكه يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء فلا يدخل فى ذلك مالا يضاف الى ملـكه من ظلم الظلمة . فأما قوله تعالى (بيدك الخـير) فالمراد انه لا وصول الى الخير الا بالله تعالى وعلى هذا الوجه نقول فى الطاعات إنها

من الله لما كان المطيع لا يصل الى فعلها الا بأمور من قبله وقصده بتلك الامور أن يفعل الطاعة فينال الثواب ولذلك قال تعالى بعده (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ وترزق من تشاء بغير حساب) فذكر ماهو كالاصول لمنافع الخلق وسائر مايصلون به الى الملك وغيره

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله (لا يتخذ المؤمنون الـكافرين أولياء من دون المؤمنين) كيف يصح ذلك ومعلوم من حال كثير منهم أنهم يتخذونهم أولياء وجوابنا ان ذلك بمعنى النهى ولذلك قال بعده (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) فان قيـل فما المراد بهذه الولاية . فجوابنا أنها الولاية الراجعة الى الدين دون ما يتصـل بأمور الدنيا لان للمؤمن معاملة الـكافر ومعاوضته ومعاشرته فى الاكل وغيره وانما يحرم عليه أن يتولاه فى باب الدين بالمدح و بالذب عنه فيما يتصل بالدين .

•(مسألة)• وربما قيل ما معنى قوله (ويحذركم الله نفسه) ان المحذر غير المحذر منه فـكيف يصح ذلك . وجوابنا أنه تعالى يذكر نفسه على وجه التأكيد وطريقة اللغة تشهد بذلك والمراد بذلك التحذير من عقوبته ليتوقى المرء من المعصية لاجل ذلك وذلك معقول فى الشاهـد لان الوالد قد يقول لولده وقد نهاه عن العقوق وغيره وأنا أحذرك نفسى فاتق الله فيما تأتى وتذر و يعنى بذلك المجازاة والتأديب ولذلك قال بعده (والله رؤوف بالعباد) لأن من جملة الرأفة هذا التحذير الذى هو طريق الثواب وزوال العقاب .

•(مسألة)• وربمـا سألوا فى قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) وذلك يدل على أنه يخصهم بهذا الفضل وذلك يوجب أن فضلهم من قبل الله تعالى . وجوابنا ان المراد أنه اصطفاهم بالنبوة

والرسالة وذلك لا يكون الا من قبله تعالى وان كان جل وعزلا يختارهم الالامور كثيرة كانت من قبلهم وتكون أيضاً من قبلهم فيمابعد . وربما أورد ذلك من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة . وجوابنا أن المراد بذلك اصطفاهم بالرسالة على عالمى زمانهم وذلك لايتأتى في الملائكة لان الملائكة كلها رسل على ماذكره الله تعالى . واختلفوا في العالمين فقال بعضهم يدخل فيه كل الخلق وقال بعضهم العقلاء ومن هو من جنسهم وقال بعضهم الناس دون غيرهم لانهم الذين يظهر فيهم الجمع والتفريق ولذلك يقول القائل جاء في عالم من الناس ولا يقول جاء في عالم من البقر وكل ذلك يزيل هذه الشبهة خصوصاً وقد ثبت بآيات كثيرة أن الملائكة أفضل كما ثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل فكما لا يمكن في هذه الآية أن يقال ان هؤلاء الانبياء أفضل من رسولنا صلى الله عليه وسلم فكذلك ما ذكرناه فى الملائكة .

(مسألة)ه ورباما قيل في قوله تعالى (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك) انه يدل على أنه جعلها صالحة لانها لم تكن نبية . وجوابنا أنه تعالى خصها بولادة عيسى عليه السلام من بين سائر الانبياء وذلك من قبل تعبدها .

(ه مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما في بطنى محررا) كيف يصح تحريرمافي البطن . وجوابنا ان المراد بذلك أنها نذرت أن يكون ما في بطنها مسلما لله تعالى ذكرا كان أو أنثى موفرا على عبادة الله تعالى وقد كان مثل ذلك من عبادات ذلك الزمان فلذلك قال تعالى (فتقبل منى) ولذلك قال (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) وكل ذلك لما في المعلوم من أمر عيسى عليه السلام .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (وليس الذكر كالانثى)ماالفائدة

في ذكر ذلك . وجوابنا ان التعبد فيما يحرر من الحمل في الذكر يخالف التعبد في الانثى فلذلك قال (وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) فبين حكم الانثى وبين انه يخالف لحكم الذكر .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا) كيف يجوز ذلك وليست نبية والمعجزات لا تظهر الا على الانبياء . فان قلتم ظهر على زكريا فكيف يصح أن يسألها فتقول هو من عند الله وعليه ظهر . وجوابنا ان ذلك من معجزات زكريا فانما قال لها أنى لك هذا لا لأنه لم يعلم أن ذلك من معجزاته لكن ليعرف حالها وماتعتقده في ذلك فلذلك قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه) لانه عرف منها اليقين فلما أعجبه ذلك سأل الله أن يرزقه ولدا فبشره الله بيحيى على مانطق به الكتاب

(مسألة) وربما قيل في قوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) كيف يصح ذلك وقد كان هذا الخبر موجودا عند النصارى وغيرهم . وجوابنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يخالطهم مخالطة يقف بها على تفصيل هذه الامور وكان كسائر العرب فبين تعالى انه قد خصه بهذا الغيب ليعرف بهصحة نبوته ولذلك قال (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) فحكى تفصيل ما كان يجرى في أمر مريم وذلك من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وربما قيل في قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح) كيف قالت الملائكة لها وليست بنبية . وجوابنا أنها قالت في زمن نبي وهو زكريا وذلك مما يجوز عندنا وعلى هذا الوجه يحمل ما روى أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية الكلبي بحيث يراه الناس .

(مسألة) وربما قيل ما معنى يبشرك بكلمة منه وما فائدة تسمية عيسى

عليه السلام كلمة مع أنه جسم والكلمة لاتكون الا عرضاً . وجوابنا أن ذلك في وصف عيسى مجاز عندنا والمراد أنه يكون حجة ودلالة كالكلام وان كان في العلماء من يحمله على الحقيقة ويزعم أنه مخلوق من كلمة كن فهواذاً كلمة وربما جعلوه كلمة لا من جنس الكلام والذى قلناه أصوب .

(مسألة) ويقال كيف يجوز أن يتكلم في المهد وذلك مخالف للعادة وكيف يقوى لسان الصبي على الكلام ويتكامل عقله . وجوابنا أنه من حيث خرج عن العادة صار معجزا وانما قواه الله على الكلام وأكمل عقله في ذلك الحال وجعل ذلك معجزة لشدة الحاجة في براءة ساحة أمه عما كان يذكر عند ولادتها ولو تأخر ذلك لكان مفسدة ومتى ظهر ذلك منه وهو صغير كان أقوى في الباب والبالغ انما يكمل عقله وقوته بعد ذلك فالله تعالى هو قادر على ذلك في حال الصغر وانما لايفعل في غيره الا في حال الكبر للعادة والمصلحة فان للآباء مصالح في نشوء الاولاد على هذا الترتيب ولولا ذلك لكان الصغير كالكبير في جواز كمال العقل ولذلك يختلف كمال العقل فهو في واحد أسرع منه في آخر .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (انى أخلق لكم من الطين) لايجوز أن يكون عيسى خالقا . وجوابنا انه من حيث اللغة كل من قدر فعله ضربا من التقدير يوصف بذلك وان كان من حيث الشرع لايطلق فيه بل يقيد كالا يقال أن فلانا رب دون أن يقيد بذكر داره وعبده (فان قيل) أفكان يحيى الموتى كما أضافه الله تعالى اليه (قيل) له ليس كذلك لانه تعالى أضاف اليه خلق الطير من الطين ولم يضف اليه الاحياء بل قال وأحيي الموتى باذن الله فأضافه الي الله لما كان هو المحيي عند ادعائه النبوة وانما أضيف اليه من حيث كان هو السبب في ذلك وجعل من معجزاته أيضاً انه ينبئهم بما يأكلون وما

يدخرون في بيوتهم لان مثل ذلك لا يعرفه الغائب الا من جهة الله تعالى فلذلك قال (ان في ذلك لآية لكم) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله (انى متوفيك ورافعك الىّ) كيف يصح مع أن الله لم يتوفه بل رفعه الله . وجوابنا ان العطف بالواو لا يوجب الترتيب فرفعه الله ثم توفاه وذلك جائز أيضاً أن يكون توفاه من حيث لم يشعر به ثم رفعه فأعاد حياته وربما سألوا في ذلك عن قوله (ومطهرك من الذين كفروا) وما الفائدة في ذلك . وجوابنا أن المراد يطهرك من أعمال الكفار ومن أحكامهم ومن الاضلال بهم على وجه يؤثر في حال النبوة . وربما سئل أيضاً عن قوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) فقيل مامعنى ذلك ومعلوم أن من اتبعه لا شك أنه فوق الكفار . وجوابنا ان المراد أنه جعلهم فوقهم فى كثير من مصالح الدنيا لان ذلك هو الذى يصح الاشتراك فيه دون مايتصل بأمر الآخرة مما لايصح الاشتراك فيه بين المسلم والكافر ولذلك قال (ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة) فيقال أنهم فى الدنيا يتمتعون لا يلحقهم شئ من العذاب فكيف يصح . وجوابنا أن ذلك في الكفار المخصوصين فى أيام عيسى صلى الله عليه وسلم فلا يمنع أن يلحقهم بعض عذاب الدنيا ولو لم يكن الا الذم واللعن والحدود لكان ذلك كافيا فى عذاب الدنيا والكفار فى أيامنا قد يلحقهم العذاب من القتل والقتال ومن أخذ الجزية الى ماشاكله واختلفوا فقال بعضهم في أمراضهم أنها تجوز أن تكون عذابا وان كان في العلماء من يمنع ذلك .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم

خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) كيف يجوز أن يخلقه ثم يقول (كن فيكون) وقد تقدم خلقه له وذلك يتناقض . وجوابنا أن المراد خلق آدم من تراب ثم قال له كن حيا وعلى سائر الصفات فالذى كونه من حياته وغيرها هو غير الذى خلقه من قبل وكذلك القول في عيسى أنه خلق الصورة ثم قال له كن على هذا المثال هذا متى حمل قوله كن على الحقيقة فأما اذا أريد بذلك أنه كوّنه فالمراد أنه كوّنه حيا بعد أن خلق الشخص فلا تناقض فى ذلك وانما بين تعالى بأنه مثل آدم أنه مخلوق لا من شئ متقدم يجرى مجرى الاصل له كالنطفة والعلقة لتعرف قدرته على ابتدائه وليعلم أصحاب الطبائع بطلان قولهم فقد كان فى ذلك الزمان فيهم كثرة

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم) كيف ترفع محاجة النصارى في عيسى اذ قالوا انه الله وانه ابن الله ومحاجة اليهود اذ كذّبوا بولادته من غير ذكر بالمباهلة التى ذكرها الله . وجوابنا أن الحجة فى ابطال قولهم اذا ظهرت ولم يقع القبول وعلم الله تعالى أن في المباهلة مصلحة لم يمنع ذلك ومعلوم ان عند المباهلة والملاعنة يخاف المبطل فربما يكون ذلك من أسباب تركه الباطل إما ظاهرا واما باطنا ولذلك قال تعالى بعده (ان هذا لهو القصص الحق) لان ما ينذر ويخوف يوصف بذلك ثم قال (وما من إله الا الله) دفعا لقول النصارى في باب التثليث ثم قال (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) ثم قال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً) دفعا لقول النصارى ثم قال (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ثم بين بطلان قولهم ان ابراهيم كان على ملتهم بقوله (لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) و بين بقوله (فلم تحاجون فيما

ليس لكم به علم) ان المقلد والمبطل فى المحاجة مخطئ لانه يحاج فيما لا علم له به و بعث بذلك على النظر في الادلة لان هذا الناظر العالم هو الذى اذا حاج غيره يكون محاجا فيما له به علم و بين ان أولى الناس بابراهيم من اتبعه ونبينا صلى الله عليه وسلم لانه على ملته فى الحج وغيره وانما وصف ابراهيم بأنه كان حنيفا مسلما لانه كان على هذه الملة وان كان فى شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم زيادات وتفصيلات وفى قوله بعد ذلك (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم) دلالة على ان الله تعالى لا يضل عباده ولا يخلق الضلال والكفر فيهم لانه لو كان كذلك لما نسب الاضلال الى أهل الكتاب ولما نسب اضلالهم الى أنفسهم .

(مسألة) ويقال كيف قال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) ثم قال (وأنتم تشهدون) كيف يكونون كفارا بما يشهدون . وجوابنا أن المراد انهم يكفرون بالآيات وهم يعرفونها و يشاهدونها فينصرفون عن النظر فيها و يتبعون الشبهة والتقليد ولذلك قال بعده (لم تلبسون الحق بالباطل) ولا يمتنع انه كان فيهم من يعرف الحق فى نبوّة نبينا صلى الله عليه وسلم و يعاند فقد كان فيهم من علم البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب وكانوا يلبسون ذلك على العامة ثم ذكر بعده (إن الفضل بيد الله) يعنى الالطاف وانه يخص بذلك من يشاء ممن المعلوم أنه عند ذلك يختار الايمان ثم بين تعالى بقوله (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) ان ليهم ألسنتهم بذلك من فعلهم لا من خلق الله فيهم ولو كان حق من ينسب ذلك اليه هو الله تعالى لوجب أن يقال هو من عند الله ولما صح أن يقول تعالى (و يقولون على الله الكذب) ونزه

تعالى عيسى عن قول النصارى لقوله (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) فان أكثر النصارى يقولون بعبادة عيسى صلى الله عليه وسلم

(مسألة) وربما قيل في قوله (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) كيف يصح ذلك وقوله (أفغير دين الله يبغون) يدل على نفي الاسلام عنهم وقوله (وله أسلم) يدل على اثبات الاسلام وهذا يتناقض • وجوابنا ان المراد بقوله (وله أسلم) الاستسلام والانقياد وليس المراد اختيار الدين والاسلام فبين تعالى انه قادر على أن يجعلهم كذلك لكنه لا ينفعهم الا اذا اتبعوه اختيارا فلذلك قال طوعا وكرها وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول (قل آمنا بالله) الى قوله (لانفرق بين أحد منهم) فبين انه قد آمن ومع ذلك هو مسلم أي منقاد لله تعالى على وجه الاختيار وان هذا هو الذى ينفع وبين بقوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ان الدين كله هو الاسلام والاسلام هو الدين وان ما عدا ذلك ليس من الدين والاسلام وبين أن من ليس بمسلم من الخاسرين في الآخرة •

(مسألة) وربما قيل كيف يقول تعالى (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) وعندكم أن الله قد هدى الكافرين • وجوابنا انه قد هداهم بالادلة والمراد بهذا الهدى هو الثواب وطريق الثواب ولذلك قال بعده (والله لا يهدى القوم الظالمين) فخصهم بنفى الهدى عنهم ثم بين ما نفاه عنهم بقوله (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب) فبين انه لم يهدهم الى الجنة بل عاقبهم بهذه العقوبة •

• (مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) وكيف يجوز أن يتوبوا فلا تقبل توبتهم مع بقاء التكليف • وجوابنا أنه لم يذكر متى تابوا فيحتمل انهم كفروا ثم تابوا وأرادوا الكفر ومن ازداد كفرا فتوبته المتقدمة لا تؤثر لانه قد أفسدها بزيادة الكفر ولذلك قال بعده (وأولئك هم الضالون) وهذا خبر عن قوم مخصوصين كان هذا حالهم فلا يمكن أن يقال ان توبة كل كافر لا تقبل ويحتمل أن توبتهم عند المعاقبة لا تقبل وقد روى أيضا أن الآية نزلت في قوم ارتدوا وقالوا مانقيم أقنا على ارتداد فاذا حصلنا عند أهلنا أظهرنا التوبة لتقبل ذلك منا فمن يظهر التوبة وباطنه بخلاف ذلك لا تقبل توبته ومعنى قوله ثم ازدادوا كفرا انهم جحدوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم •

(مسألة) وربما قيل مامعنى قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقد ينفق المرء مالا يحبه ويعد في البر • وجوابنا ان كل ما يخرجه المرء من وجوه البر لابد من أن يحبه المرء ويريد الانتفاع به ولولا ذلك لم يستحق الثواب عليه ويحتمل أن يريد تعالى ترغيب المرء في أن لا يتصدق الا بأحب الأموال وأنفسها كما قال تعالى (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ولذلك قال بعده (وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) فيجازى بحسب ذلك •

(مسألة) وربما قيل ما معنى قوله (إلا ما حرم اسرائيل على نفسه) والتحريم يكون من قبل الله تعالى لا من قبل الانبياء • وجوابنا انه لا يمتنع في شريعته أن يحرم على نفسه الشئ فيحرم كما ان في شريعتنا أن توجب على أنفسنا أشياء بالنذر فتجب فهذا أقرب ما يتأول عليه وذلك لان سبب التحريم والايجاب من قبل العبد وان كان الله تعالى أوجب ذلك وهذا كما اذا أحرم المرء لزمه من المناسك ما كان لا يلزمه لولا احرامه وذلك كثير في العبادات •

(مسألة) وربما قيل ما معنى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) ومعلوم ان قبله كانت الدنيا والمنازل . وجوابنا ان معنى قوله (وضع للناس) ليعبد الله عنده فهو أول بيت وضع لذلك ولذلك قال (وهدى للعالمين) في وصفه ولذلك قال بعده (فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) ولذلك قال بعده (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وهذا من أقوى ما يدل على ان الانسان قادر قبل أن يحج وقبل دخوله في الحج بخلاف قول المجبرة والقدرية .

(مسألة) وربما قيل فلماذا قال (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وما المراد بذلك وما الفائدة في أنه غني عنهم اذا كفروا وهذه صفتهم لو آمنوا أيضاً . وجوابنا ان المراد ومن كفر بأن جحد وجوب الحج وقصد هذا البيت و بين بقوله (فان الله غنى عن العالمين) ان ما الزمهم عند هذا البيت انما أوجبه لمصالحهم لئلا يقدر أنه تعالى يوجب لا لهذا الوجه فلذلك أطلق قوله بأنه غنى عن كل العالمين وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسجد الحرام أول مسجد وضع ثم المسجد الاقصى وروي أن اليهود فضلت بين المقدس على الكعبة وفضل المسلمون الكعبة فنزلت هذه الآية تصديقا لقول المسلمين .

(مسألة) ويقال ما معنى قوله (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) ومعلوم ان هذين الامرين قد كفر بهما الخلق وهما لا يوجبان ايمان المكلفين فما الفائدة في ذلك . فجوابنا ان قوله (كيف تكفرون) هو على التوبيخ والذم لهم من حيث كفروا مع ظهور آيات الله وظهور أمر الرسول مع ان ذلك يوجب الايمان ايجابا وانما يقتضي أن يختار المرء للايمان وقد ظهرا واتضحا ولذلك قال بعده (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) والمراد من يعتصم

بكتابه وبرسله فيعمل بما يقتضيان العمل به (فقد هدى الى صراط مستقيم) ومن لم يفعل فقد ضل وكفر .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) انه يدل على لزوم التقوى فوق استطاعته فقد روى عن بعض من لا يحصل انه منسوخ بقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) . وجوابنا ان حق تقاته لا يكون الا ما يستطيعون لانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا اختلاف بين الآيتين ولذلك قال (ولا تموتن) فان من حق تقاته أن يتمنى المرء حتى يموت مسلماً ولذلك قال بعده (واعتصموا بحبل الله جميعا) فدعا الى الاجتماع أيضاً وعلى التقوى وترك الاختلاف فيه ولذلك قال بعده (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) فان من أعظم نعم الله زوال التحاسد والتباغض والتنافس عن القوم ولهذا أقوى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لما انقادوا له على عظم محلهم وكان من قبل لا ينقاد بعضهم لبعض وحبل الله هو دينه وشرعه والتمسك بكتابه وسنة رسوله ولذلك قال (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ولذلك قال (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) والمراد لكي تهتدوا فدل بذلك على انه أراد الاهتداء من جميعهم وقوله تعالى بعده (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) يدل على انه أوجب على طائفة ممن يهتدون بالآيات أن يدعوا الى الخير ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانهم المفلحون وهم العلماء الذين يدعون الى الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسول على عباد الله

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) فيقال أفما يدل ذلك على ان ليس في المكلفين الا كافر ومؤمن بخلاف قولكم ان بينهما فاسقا لا يوصف

بأنه مؤمن ولا كافر . فجوابنا ان ذلك ان دل على ماقلت فيجب أن يدل على أن ليس فيهم الا كافر مرتد لقوله (أ كفرتم بعد ايمانكم) وقد ثبت خلاف ذلك واذا جاز اثبات كافر أصلي لم يذكره تعالى جاز اثبات فاسق لم يذكره تعالى ومعلوم ان الموحد المصدق بالله ورسوله اذا أقدم على شرب الخمر والسرقة والزنا لا يوصف بأنه مؤمن مطلقا لأن المؤمن هو الذى يمدح ويعظم وهؤلاء يلعنون ولا يوصف بأنه كافر لان الكافر هو الذي يختص بأحكام من قبله وغيره وليس فى اثبات وصفين دلالة على نفى ثالث واتبعه تعالى بقوله (تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) فبين انه لا يريد الا الحق ونزه نفسه عن ارادة الظلم .

ه(مسألة)ه ورىما قيل في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) كيف يصح ذلك وفى جملة أمته الفساق ومن يفسد فى الارض ومن هذا حاله لا يوصف بهذا الوصف . وجوابنا ان ذلك اشارة الى أمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أيامه والمراد ان الخيار فيهم أ كثر والتفاضل اذا كان فى جميع لا يراد به كل عين فمتى قيل ان أهل بلد أصلح من أهل بلد آخر لا يراد به ذكر كل واحد بل المراد ما يرجع الى جماعتهم من كثرة خيارهن وبين ذلك بقوله (تأمرون بالمعروف) وذلك لا يرجع الى كل واحد وقد قيل أراد تعالى أهل الصلاح فيهم فلا يدخل من عداهم فيه بدليل قوله من بعد (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأ كثرهم الفاسقون) فبين فى هذه الآية انها خالصة عن الشر بخلاف أهل الكتاب وفى قوله (وأ كثرهم الفاسقون) مايدل على صحة الجواب الاول فنبه بأن الا كثر منهم فساق بخلاف هذه الامة التى الا كثر منها أهل الخير ويقوى من يقول بالوجه الآخر قوله تعالى (ليسوا سواء من

أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر) فدل ذلك على ان المراد بالاول من يختص بالخير دون أهل الشر .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) ثم قال (مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) كيف يصح ذلك والمعلوم من حال الكفار انه ينتفع بما ينفقه في وجوه البر ويكون ذلك تخفيفا في عقابه . وجوابنا أن المراد بذلك ان ماينفقه لا يحصل له ثمرته من الثواب وان كان عقابه أقل من عقاب كافر لم يفعل من البر ما فعله ولذلك قال تعالى بعده (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) وهذا دلالة على انه تعالى منزه عن الظلم ولو كان هو الذي خلق الكافر وكفره ليدرجه الى النار لما صح هذا التنزيه .

ه(مسألة)ه وربما سألوا عن قوله (لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) والله تعالى قال بعده (منهم المؤمنون) وذلك تناقض . وجوابنا أن المراد لو آمن من لم يؤمن منهم لانه لا يصح الا فيهم وقوله (منهم المؤمنون) يعنى من تقدم ايمانهم فلا تناقض في ذلك .

ه(مسألة)ه وربما قالوا كيف يقول تعالى (لن يضروكم الا أذى) والاذى هو الضرر فكأنه قال لن يضروكم الا ضررا . وجوابنا ان المراد انهم لا يتمكنون الامن الضرر اليسير بما يكون من كلامهم ولذلك قال بعده (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) وقال (ضربت عليهم الذلة) وبين انهم لا يضرون المسلمين الضرر الذي يظنون وانما ينالهم من جهتهم التأذي فالكلام متفق .

(مسألة) وربما قيل ثم وصف جل وعز أهل الكتاب الى أن قال (وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله

و يقتلون الانبياء بغير حق) ثم قال (ليسوا سواء) فما المراد بذلك وقد وصفهم بالكفر و بهذه الصفات . وجوابنا انه لما قصد وصف الكثير منهم بذلك بين انهم يقاربون في ذلك لئلا يقدر بأن حالتهم واحدة و يحتمل ان بعضهم آمن فلذلك قال (ليسوا سواء) وقوله من بعد (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله) يقوى الوجه الثاني .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) الى قوله (واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) كيف يجوز أن نحبهم مع نفاقهم وجوابنا ان المنافق والكافر يلزمنا ان نحب صلاحه في الدين والدنيا وان كانوا لا يحبون شيئاً من مصالحنا وهذا كما يريد تعالى صلاحهما وان يلطف لهم وان كانوا هم لا يحبون طاعة ربهم وعبادته .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله (ان الله بما يعملون محيط) كيف يصح أن يكون محيطا بعملنا والاحاطة لا تجوز الا على الاجسام وما يجري مجراها وجوابنا ان المراد احاطة علمه بما نعمل وذلك مشبه بالجسم المحيط بغيره فكما ان ذلك الغير لا يخرج عن ما أحاط به فكذلك أعمالنا لا تخرج عن أن تكون معلومة لله وذلك من الله تعالى ترغيب في عمل الخير وتحذير من المعاصي .

•(مسألة)• وربما قيل كيف قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) كيف يوصف الفضلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أذلة وجوابنا انه تعالى نبه بقوله (ولقد نصركم الله ببدر) على ان المراد بقوله (وأنتم أذلة) قلة العدد والعدة والآلات والخوف من غلبة الكفار ولم يرد الذل الذي يجري مجري الذم والنقص ومنه يقال لقليل العدد اذا كان في مقابلتهم الجيش العظيم انهم أذلة ولذلك قال بعده (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم

ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) فبين انه نصرهم بهم وأخرجهم من أن يكونوا أذلة .

•(مسألة)• وربما قيل كيف يجوز (أن يمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة) مع ان صورة الملائكة بخلاف صورة البشر منا فكيف يصح ذلك وجوابنا انه تعالى يغير خلقهم حتى يكون الظاهر منهم مثل صورة الانس رجالا وركبانا والله تعالى قادر على ذلك و بهذا القدر لا يخرجون من أن يكونوا ملائكة لان ما لأجله صاروا ملائكة من الصورة ثابت فيهم .

•(مسئلة)• وربما سألوا فقالوا كيف يقال للكفار (قل موتوا بغيظكم) فيأمر نبيه بأن يبقوا على الكفر لانهم إن لم يبقوا عليه لم يموتوا بغيظ المؤمنين . وجوابنا ان ذلك بصورة الامر وهو دعاء بهلاكهم كما يقول الانسان لمن يخالف في الحق مت كمداً وذلك مشهور في اللغة .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله) ان ذلك يدل على ان فعل المجاهد خلقه . وجوابنا أن المراد ان مجموع النصر لا يتم إلا بأمور من قبله وان كان لا بد من سعي المجاهد وهذا كما تقول في فضل الابن وعلمه انهما من جهة الوالد لما كان ذلك لم يتم الا من قبله ولذلك قال بعده (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم) .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) أنه قد نفى أن يكون له صلى الله عليه وسلم فعل وصنع وذلك بخلاف قولكم . وجوابنا أن المراد أنه ليس له في تدبير مصالح العباد وما يكون صلاحا لهم في الدين شيء لان كل ذلك من قبله تعالى وليس المراد نفي صنعه وفعله وكيف يجوز ذلك وقد نصبه مبشراً ونذيراً وقال (لئن أشركت ليحبطن عملك) وأضاف له الطاعة ومدحه

بضروب المدح وقوله تعالى من بعد (أن يتوب عليهم او يعذبهم) يدل على أن المراد بذلك ماقدمنا لانه بين أن صلاحهم يحصل بالتوبة ولا يحصل بمحبته صلى الله عليه وسلم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين ويقولون فيمن ليس بكافر من الفساق إنه يدخلها وكيف يصح من العباد اتقاء النار وهم يقهرون عليها . وجوابنا أن المراد بقوله (واتقوا النار) اتقاء المعاصى التى توجب استحقاق عقاب النار وذلك ظاهر اذا قيل للمرء اتق ربك واتق السلطان أن المراد اتقاء مايؤدى الى تأديبهم فأما قوله (أعدت للكافرين) فلا يمنع من كونها معدة لغيرهم لان ذلك الشئ بحكمه لاينفى ان ماعداه مثله وهذا كقوله تعالى فى وصف النار (وسيجنبها الاتقى) ومعلوم أن من لا يوصف بذلك من الحور والاطفال يجنبون النار أيضاً .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) كيف يصح فى الجنة وهى فى السماء أن يكون عرضها السموات والارض . وجوابنا أنه قادر فى نفس السماء والارض أن يزيد فيها أضعافا كثيرة وكذلك يقدر على الجنة التى عرضها كعرض السماء والارض وزيادة على ذلك وقوله تعالى بعده (أعدت للمتقين) وان كان يدخلها من ليس بمتق فبطل قولهم انه لما ذكر (أعدت للكافرين) دل على أنه لا يدخلها سواهم ثم بين تعالى صفة المتقين الذين يستحقون الجنة فقال (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن

يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا) ثم قال تعالى بعده (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار) ثم قال تعالى بعده (ونعم أجر العاملين) وكل ذلك ترغيب في التمسك بطاعة الله والتوبة والانابة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (هذا بيان للناس) فعم ثم قال (وهدى وموعظة للمتقين) لماذا فرق بين الأمرين وعندكم أنه بيان للكل وهدى وموعظة للكل . وجوابنا أنه بيان وهدى للكل لكنه تعالى في كونه بيانا عم وفي كونه هدى وموعظة خص المتقين من حيث تمسكوا به فصار كأنه ليس بهدى ولا موعظة الا لهم كما ذكرناه في أول سورة البقرة في قوله هدى للمتقين) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) كيف يصح أن يقول ذلك في الكافرين وكيف يصح أن يقول (وليعلم الله الذين آمنوا) والله تعالى عالم لم يزل قبل أن يمس القوم القرح الذى ذكره . وجوابنا أنه تعالى قد قوي الكافر ومكنه بالآيات وغيرها وأمره ونهاه كما فعل ذلك بالمؤمن وان خص المؤمن بالالطاف وغيرها فصح لذلك أن يقول فى تلك الايام (نداولها بين الناس) ولذلك قال بعده (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) وقال (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فجعل تعالى المداولة محنة على الكافرين ونعمة على المؤمنين وأما (وليعلم الله الذين آمنوا) فالمراد وقوع المعلوم ونبه بذكر العلم عليه لما كان معلوم العلم يجب أن يكون على ماتناوله العلم ولذلك قال الله تعالى بعده (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) فنبه بذكر العلم على وقوع الجهاد منهم لان ذلك هو الذي يستحق به الجنة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن

تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) كيف يصح أن يلقى الموت وهو ينظر . وجوابنا أن المراد رؤيته أسباب الموت ومقدماته دون نفس الموت لان الميت لا يتمكن من أن يكيف الموت ويراه وهو كقوله تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) والمراد به المرض الذي يخاف منه وهو كقوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام (انى أرى في المنام أنى أذبحك) والمراد الاضجاع الذي هو مقدمة الذبح . وربما سألوا فى هذه الآية فقالوا أليس تمنيهم الموت هو تمنى قتل الكفار لهم وذلك مما يقبح فكيف يصح ذلك . وجوابنا ان الموت غير القتل أو يكون من قبل الله تعالى لا من قبل الكفار فيصح أن يتمنوه تخفيفا للتكليف عليهم فبعث بذلك على الجهاد لكى لا يزهدوا فيه خوف الموت وقد يتمنى ذلك على وجه لا يحصل معه من الثواب ما يحصل بالموت في الجهاد .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ان ذلك لا تعلق له بما تقدم من الترغيب في الجهاد . وجوابنا ان المروي في ذلك انهم قالوا لما انهزم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد قتل فنحن نعود إلى ديننا الاول فقال الله تعالى (أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وقال أيضاً (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) فلما انهزمتم وقد رغبكم الله في الثواب العظيم ان أنتم ضربتم وان أتى القتل عليكم .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا) ان ذلك يدل على أن قتل الكفار لهم يوم أحد من قبل الله لا من فعل الكفار . وجوابنا انه تعالى أراد بالاذن العلم والكتابة ولم يرد الامر لان الموت لا يؤمر ولا الميت يؤمر بالموت ويحتمل اذنه تعالى الملائكة بالتوفي

والامانة وليس في الآية ذكر القتل ولو دخل فيها كان لا يمتنع لان المجاهد في الاكثر يجرح ثم تكون الامانة من قبل الله تعالى وفي العلماء من يقول انه وان دخل فلا بد من وجود الموت من قبل الله تعالى فيه ونبه بقوله تعالى من بعد (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) على أن اختيار الراحة بترك الجهاد ليس فيها الا النفع المعجل وفي المصابرة على الجهاد ثواب الآخرة فرغب تعالى بذلك في المجاهدة .

(مسألة) وربما قيل مامعنى قوله تعالى (وسنجزى الشاكرين) بعد ذكر الموت وانه لا يكون إلا باذنه تعالى . وجوابنا أنه أراد مجازاة الصابرين على الجهاد وجعل صبرهم على الجهاد شكراً من حيث عبدوه تعالى تقربا اليه وطلبا لمرضاته وهذا كقوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) فجعل عبادتهم شكراً لله تعالى لما فعلوه تعظيما له كما يشكر المنعم على وجه التعظيم .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) كيف يصح ذلك ونحن قد نجد في الذين كفروا من لا رعب في قلبه وربما يكون الرعب في قلوب المؤمنين وجوابنا انه لا كافر يلقى الحرب مع المسلمين الا وفي قلبه رعب كما ذكره الله تعالى لانه لا يرجع في مقاتلته الى دين يسكن اليه كالمؤمن ولأن المؤمن يزداد لطفا الى لطف ويعرف ذلك عنه الكافر وهذا كقوله (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقيل ان ذلك نزل في كفار مخصوصين يوم أحد وهم الذين قال الله تعالى بحقهم (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) فبين تعالى انه سيلقى الرعب في قلوبهم فيغلبهم المسلمون .

(مسألة) وربما قيل قد قال (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) وذلك في يوم أحد وهو كالدلالة على أنه تعالى يفعل فيهم الاقدار والصرف . وجوابنا أنه تعالى

ذمهم في قوله (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) فأراد انه يوم بدر أراهم مايحبون لما لم يعصوا و يوم أحد عصوا وقد كان صلى الله عليه وسلم رتب لهم فى مجاهدة الكفار ترتيبا خالفوه فلما لم يثبتوا في المحاربة على ما رسمه لهم لم يلطف لهم لاجل المعصية بل شدد التكليف عليهم فجاز أن يقول (ثم صرفكم عنهم) ولذلك قال تعالى (ليبتليكم) أي ليمتحنكم بمصالح العاقبة ثم قال (ولقد عفا عنكم) ولو كان الصرف من خلق الله تعالى فيهم لم يكن لذلك معنى وانما ضمن لهم النصرة بشرط طاعة الرسول فلما خالفوه ولحقهم بذلك الغم الصارف جاز أن يصفهم تعالى بذلك ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يقولون هل لنا من الامر شئ) وفي قوله من بعد (قل ان الامر كله لله) أن ذلك يدل على ان لا صنع للعبد · وجوابنا أنه تعالي حكى عنهم ما ذمهم عليه وهو قوله (لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا) فلا دلالة فيما حكاه عنهم فأما قوله تعالى (قل ان الامر كله لله) فالمراد به ما يتصل بالنصرة والتمكين ولولا ذلك لما أمرهم بالجهاد ولما ذمهم على تركه ولذلك قال بعده (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) فنبه على انه تعالى يعلم من حالهم مالا يعلمه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى بعد ذلك (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ترغيب للرسول صلى الله عليه وسلم في جميل الاخلاق ليكون قبولهم أقرب ويدل على أن صرفهم فعلهم لانه لو كان خلقا من الله فيهم لما صح أن يقول (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) لانه لا يصح منا أن نشاور فيما يخلقه تعالى ولما صح قوله (فاذا عزمت فتوكل على الله) ولما صح قوله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) لان ما يوجد في الغالب والمغلوب هو من قبل الله تعالى ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) كيف يصح ذلك على الانبياء · وجوابنا ان المراد ما كان له أن ينتسب إلى ذلك في إحدى القراءتين وفي القراءة الاخرى ما كان له أن يفعل فنزهه عن الامرين ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) كيف يصح ذلك وقد قتلوا وماتوا · وجوابنا ان المراد شهداء يوم أحد بين تعالى أنه قد أحياهم فلا ينبغى أن يظن فيهم انهم أموات وذلك صحيح وقد قال بعضهم مثل ذلك في كل الشهداء اذا ماتوا على توبة وطهارة ·

(مسألة) وربما قيل في قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما) كيف يصح أن يبقيهم لتقع منهم المعاصى · وجوابنا أن المراد عاقبة أمرهم وذلك كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) والا فمراده من جميعهم العبادة والطاعة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ·

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا) كيف يصح ذلك ممن يدين بالاله أن يقول ذلك · وجوابنا أن حكاية الله تعالى عنهم وقد ثبتت حكمته لا طعن فيه فمن سلم حكمته فلا كلام له وان لم يسلم دللنا على الأصل ولم نتكلم في الفروع فقد كان في العرب على ما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام من يقول ذلك حتى يجعل من الانعام نصيبا من الله ولا يمتنع فى المشبهة أن يكون فيهم من يقول ذلك فاذا جاز أن يدينوا بأنه تعالى رمدت عينه فعادته الملائكة الى غير ذلك لم ينكر ما حكاه الله عنهم ومن اليهود من يقول بنهاية التشبيه فيصح أن يكون هذا قوله

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا

ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فما الفائدة في أن كرر قوله (ولا تحسبن) . وجوابنا أنه قد حكى ان قوما من اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس واجماع كلمتهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه فقوله أولا (لا تحسبن الذين يفرحون) أراد به ما ذكرناه أولا وقوله (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أراد به ما ذكرناه ثانيا ويصح ايراد ذلك اذا طال الكلام بعض الطول فيكون من باب التوكيد الذي يحتاج اليه ثم ذكر تعالى قوله (إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) والمراد بذلك أن يعتبر الخلق بالنظر في ذلك ويستدلون به على الله تعالى وقوله (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) يدل على ان الواجب على المرء أن لا يفارق ذكر الله تعالى على اختلاف أحواله ولذلك قال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض) ويقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا) ولو كان تعالى يخلق الظلم وسائر القبائح لما صح ذلك ولما صح قوله (سبحانك) لان معنى ذلك تنزيهه تعالى عن كل سوء كما روى عنه صلى الله عليه وسلم .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة) كيف يصح أن يسألوا ذلك وخلافه لا يجوز على الله تعالى . وجوابنا أن المسألة بالمعلوم أنه تعالى يفعله تحسن اذا كان فيه فائدة للمكلف وعلى هذا الوجه يقول في الدعاء اللهم صل على محمد ويقول اللهم اغفر للمؤمنين ولذلك قال (فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم) فبين أنه يفعل ذلك وأنه لا يضيع أعمال المكلف بل يجازى عليها على ما فيه من التفاضل والتفاوت وفي ذلك اثبات العمل للعبد لانه تعالى لو خلق ذلك لكان انما يجازى على عمل نفسه والله يتعالى عن ذلك .

(سورة النساء)

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) ما الفائدة في ذكر الارحام مع ذكر الله . وجوابنا أنه تعالى ذكر الارحام ليرغب الناس فيما يلزم من حقها وذكرها مع ذكره إعظاما لذلك ولذلك قال بعده (ان الله كان عليكم رقيباً) يعلم ما تقدمون عليه فى حق عبادته وما تفعلونه فى حق ذى الارحام فهذا هو الفائدة

٥(مسألة)٥ وربما قيل في معنى قوله تعالى (فان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وأى تعلق لهذا بحديث الايتام . وجوابنا أن فى الرواية أن من كان يقوم بحق اليتامى كان ربما يطمع فى تزوجهن والبسط فى أموالهن ويقفون أنفسهم عليهن للطمع فأباح الله تعالى هذا النكاح من غيرهن وحرم البسط فى أموالهن ولذلك قال من بعده (وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا) وقال بعده (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) وكل ذلك يؤيد ما قلنا وأمر من كان غنياً في أموال اليتامي أن يستعفف ومن كان فقيرا أن يأخذ من أموالهم ما يجرى مجرى الاجرة على ما يأتيه من الاحتياط فى أموالهم ثم قال تعالى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) لان ذلك هو الاحتياط من وجهين أحدهما أن لا يقصر فيما سلف والآخر أن يعرف حال اليتامى فيما دفع اليهم من افساد واصلاح .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) ماالفائدة في ذكر النساء مع الرجال وذلك معلوم . وجوابنا انهم كانوا من قبل يورثون الرجال دون النساء وكان ذلك عادة لهم فأنزل الله تعالى ذلك ليعلم ان النساء كالرجال في حق الارث ثم بينه تعالى فيما بعد قطعا لهم عن العادة المتقدمة .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) ما الفائدة في ذلك ولاحق لهم في التركة . وجوابنا أن ذلك كان قديما مما أوجبه الله كما كان تعالى أوجب الوصية للوالدين والاقربين اذا لم يرثوا ثم نسخ ذلك بآيات المواريث فبين الله تعالى فيها حق كل ذى حق وصارت هذه العطية مندوبا اليها وتكون عطية من جهة الورثة وندب تعالى الى حفظ المال لمكان الورثة بقوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله) وعلى هذا الوجه ثبت الحجر بالمرض المخوف لحق الورثة خصوصاً اذا كانوا ذرية ضعافا وبين في آيات المواريث ما أنعم الله تعالى به عليهم وان كان سببه موت المورث فذكر جملة المال وأنه يرثه من له حق التعصيب إما بانفراده وإما مع الاناث وذكر في الانصباء الثلثين والنصف والثلث والربع والسدس والثمن فهذا جملتها التى يقع عليه القيمة في المواريث ثم قال تعالى معظما للتعدى في ذلك (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) فأوجب النار لمن تعدى فيما يتولى جل وعز قسمته .

ه(مسألة) وربما قيل كيف أوجب تعالى فيمن يأتى الفاحشة من النساء الامساك في البيوت وقد أوجب فيهن الحدود والرجم وكذلك في اللذين يأتيان

النساء أوجب الأذى مع ايجاب الحد . وجوابنا ان ذلك كان قديما ثم نسخ بالجلد والرجم فالجلد في البكرين والرجم في المحصنين اذا حصلت شرط الاحصان ويوجب تعالى في العبد النصف من الجلد وذلك مبين في كتب الفقه .

ه(مسألة)ه وربما قيل كيف قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) كيف يصح أن لا تفيد هذه التوبة . وجوابنا ان ذلك ورد فيمن أيس من الحياة لانه عند ذلك يصير المرء ملجأ الى ترك المعصية وانما يقبل التوبة ممن يتردد بين خوف ورجاء فيشق عليه التوبة فأما في حال الالجاء فذلك لا ينفع كما لا ينفع أهل النار التوبة والندامة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) ما الفائدة في ذلك ولا يحل أخذ المال من أحد كرها . وجوابنا انه انما خص النساء لما يحصل لهن من الاختلاط بالازواج حتى يتوهم في مال أحدهما انه مال الآخر فبين تعالى أن ذلك لا يمنع من تحريم أخذ مالهن من دون الرضا ولذلك قال (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) والمراد بذلك المنع من الطمع فبين وعلى هذا الوجه حرم الله تعالى الخلع الا عند ضرب من الخوف على ما ذكره في قوله (وان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) كيف يصح ذلك وانما يحسن أن يكره ما يكون قبيحاً ولا يجوز أن يجعل الله تعالى في القبائح خيرا كثيرا . وجوابنا أن المراد بالكراهة في هذا الموضع نفار الطبع لا الكراهة التى هى في مقابلة الارادة فذكر الله تعالى ذلك في كراهة النساء بأن يكون نافر الطبع عن عشرتها ويبين ان ذلك

اذا صبر عليه ربما حصل الخير الكثير فى عاقبته لان المرء قد يكره بعض النساء في وقت ثم يتفق فيما بعد أن يعظم محبته لهن وانتفاعه بهن فلا ينبغي لمن تزوج أن يقدم على مايقتضيه نفار طبعه بل يتوقف و يتبصر لجواز تغير الحال عليه وعليهن فهذا هو المقصد والله أعلم • ويحتمل وعسى أن تكرهوا فراقهن و يكون في ذلك خير كثير على نحو قوله تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) ولذلك قال تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) و بين أنما يؤتيهن من الصداق لا يحل له أن يأخذ منه شيئاً •

•(مسألة)• وربما قيل مامعنى قوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا و إثما مبينا) كيف يكون أخذه ما أعطاهن من الصداق بهتانا والبهتان من صفات الكلام فهو الكذب • وجوابنا انه شبهه بالكذب من حيث كان أخذه كالنقض للعطية والخلف لها فعظمه الله تعالى بأن شبهه بالكذب الذى مخبره على خلاف ما هو به من حيث كان كالمتكفل بالعقد والدفع اليها بأن لا يأخذ ذلك فاما كونه إثما مبينا فبين لان وصفه وتجليه وظهوره مبين •

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء الا ما قد سلف) كيف استثنى ما سلف من هذا النهي ومثل ذلك يستحيل لأنّ ما سلف لا يصح أن يباح و يحظر • وجوابنا أن النهي يتضمن التحريم واذا كان محرما بالشرع في المستقبل وما سلف جرى على حد الاباحة لم يمتنع ذلك فكأنه قال ما نكح آباؤكم من النساء حرام عليكم الا ما قد سلف فانه وقع مباحا و يكون المعنى صحيحاً وقد قيل إن المراد به سوى ماقد سلف كما يقول الرجل لمن ينهاه عن بيع متاعه بعد ان كان قد أذن له لا تبع متاعى الا ما بعته

و يحتمل أن يكون المراد الا ما قد سلف فلا تؤاخذون به وقوله بعده (انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا) يقوى التأويل الأوّل لانه كأنه قال إن ذلك فاحشة دون ما سلف فانه ليس كذلك •

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم) أليس ذلك يقتضي اباحة سوى من ذكر لقوله وأحل لكم ماوراء ذلكم • وجوابنا أنه قد دخل تحت الأمهات كل من له حظ في الولادة وذلك معلوم بالاجماع وان كان نفس اللفظ لا يوجبه لأنّ الأم اذا أطلق فالمراد به من لها الولادة خاصة وعلى هذا الوجه لم يعقل من قوله تعالى (وورثه أبواه فلأمه الثلث) الجدة فحرم الله تعالى على الانسان أمه وكل أم له بواسطة وحرم عليه ابنته وكل ابنة له بواسطة وكما حرم عليه ذلك حرم عليه الاخوات وأولادهن وان كان ذلك بواسطة وحرم عليه بنات جده من العمات والخالات ولم يحرم أولادهن فجملة ما حرم من النساء لمكان النسب هذه السبعة وحرم بالنسب أيضا سبعة فحرم حليلة الابن وحرم أمهات نسائه وحرم بنات نسائه وهن الربائب بشرط الدخول بالأم وحرم الجمع بين الاختين وحرم بالرضاع مثل ماحرم بالنسب فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان تعالى انما نص على الامهات والأخوات وقد ثبت بالسنة تحريم الجمع بين العمة وبنت أخيها والخالة وبنت أختها وأجرى ذلك مجرى الجمع بين الأختين فهذا هو طريق بيان ماحرم الله تعالى من النساء فى عينهن وعلى وجه الجمع بين ما أحله من ذلك •

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) ان ذلك يدل على ان المتعة تحل كما يحل النكاح • وجوابنا ان من تعلق بذلك فقد اغتر بهذه

الفظة وانما أراد تعالى ان ما أحله من النساء محصنين غير مسافحين فله أن يستمتع ولم يذكر تعالى سبب الاستمتاع في هذه الآية وقد ذكر من قبل في قوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فانما أباح الاستماع بشرط النكاح على ما ذكرنا ولذلك قال من بعد (فآتوهن أجورهن فريضة) وذلك لا يليق الا بعقد وقد ثبت فيه الاجر المسمى ولذلك قال (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) يعنى بنقصان وزيادة ولذلك قال (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات) فكل ذا يزيل هذه الشبهة وانما ورد في الخبر المتعة وانه صلى الله عليه وسلم أباحه في حال الضرورة ثم حرمه وقد حرمه الله تعالى في كتابه بقوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وظهر عن الصحابة تحريم ذلك فان عمر بن الخطاب خطب بتحريمه على المنبر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفرون فصار ذلك كالاجماع وأنكر ذلك عليّ عليه السلام لما بلغه اباحة ذلك عن ابن عباس انكارا ظاهرا وقد حكى عنه رضى الله عنه الرجوع عن ذلك فصار حظره اجماعا من كل الصحابة وذكر تعالى عقيب هذه الآيات التي بين فيها ما يحل وما يحرم من النساء ما يريد من العبادة فقال تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فبين انه يريد الهداية والبيان والتوبة والعبادة دون اتباع الشهوات فأبطل بذلك قول من يقول إنه تعالى كما يريد الحسن يريد القبيح تعالى الله عن قولهم.

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) كيف يصح أن يأكل مال نفسه بالباطل. وجوابنا ان الله تعالى ذكر الاكل وأراد سائر التصرف ويحرّم على المرء في مال نفسه أن يتصرف فيه بالامور المحرمة وأن يسرف في ماله ويبذر وأن يتجر فيه بالربا وغيره فهذا هو المراد فأما أكل مال الغير بالباطل فالامر فيه ظاهر ولذلك قال تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم).

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) كيف يصح النهى عن ذلك ومعلوم ان الانسان ملجأ الى أن لا يقتل نفسه. وجوابنا ان المفسرين حملوه على ان المراد أن لا يقتل بعضهم بعضا على حد قوله (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) وقد ذكر فيه أن المراد وأن لا يتعرض المرء لاسباب التلف فيكون في حكم القاتل لنفسه على حد قوله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ويحتمل أن يكون المراد بذكر القتل الهلاك ويكون معناه مفارقة المعاصى لانها تؤدى الى الهلاك ولذلك قال تعالى بعده (إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا) ثم بين تعالى بعده ما يدل على ان الكبائر لا تغفر فقال (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) فشرط تعالى في تكفير السيآت التي ليست كبائرا اجتناب الكبائر فدل بذلك على أن المؤاخذة تقع بها ولا تقع المغفرة بنفس الكبائر وهذا أحد ما يدل على أن أهل الصلاة فيما يفعلون من الكبائر اذا أصروا عليها يؤاخذون بها وبالصغائر جميعا ودل قوله جل وعز (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أن تمنى ما يكون حسدا يقبح وان الواجب على المرء أن يتمنى ما يدبر عليه في أحوال الدنيا من نقصان وزيادة ولذلك قال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وفي الروايات ان العادة كانت في الميراث وغيره أن يختص

به الرجال في أول الاسلام فنزلت هذه الآية وعلم بها ان النساء كالرجال وأن لهن حقا في الميراث وفي سائر أسباب التملك ثم ذكر تعالى أن الواجب على المرء أن يسأل ربه ما يريده من الفضل في الدنيا و يعدل عن طريقة التمني فلذلك قال (واسألوا الله من فضله) .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) كيف يصح ذلك و بالمعاقدة لا يرث المرء . وجوابنا أن ذلك قد كان في أول الاسلام ثم نسخ بآية المواريث كما قد كانوا يرثون بالهجرة ثم نسخ .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (الرجال قوّامون على النساء) كيف أوجب ذلك لاجل انه فضل بعضهم على بعض ولاجل انفاقهم لاموالهم فقد تكون المرأة أفضل من الرجل وأكثر انفاقا . وجوابنا أنه تعالى جعل ذلك علة في جملة الرجال لا في آحادهم لان الغالب انهم أفضل في التدبير والرأي وطلب المعاش من النساء في أحوال كثيرة وأنهم الذين يتولون الانفاق والعلة اذا صارت للجملة لم يطعن فيها بالنادر في الآحاد والله تعالى جعلهم بهذا الوصف في مقابلة انه جعل النساء حافظات للغيب على الرجال مؤتمنات على ما يتصل بتدبير المنزل فلكل فريق في ذلك من الحظ ما ليس للآخر .

•(مسألة)• وربما قيل كيف يصح قوله تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) ومعلوم أن نشوزهن اذا زال بالوعظ لم يحسن الهجران والضرب فكيف جمع تعالى بين الثلاثة . وجوابنا أن المراد بذلك الترتيب لا الجمع فمن يؤمل زوال نشوز امرأته بالوعظ لم يحسن منه الهجران ومن يرجو ذلك بالهجران لم يحسن منه الضرب واذا لم يرج زوال ذلك الا بالضرب على وجه التأديب يحسن منه ذلك فكأنه تعالى قال فعظوهن

واهجروهن اذا لم ينفع ذلك أو اضربوهن ان لم يؤثر ذلك وانما صح ذلك لأن مراد المرء فيما يغمه من غيره أن لا يقع ذلك فاذا أمكنه التوصل الى أن لا يقع بالسهل لم يكن له أن يعدل الى ما فوقه وهكذ مذهبنا في النهي عن المنكر ومثل ذلك يتعلق حسنه باجتهاد المرء فكأنه تعالى بين أن الذي يحسن منه عند نشوز المرأة أحد هذه الثلاثة على الترتيب الذي ذكرناه ولذلك قال تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) فنبه بذلك على ان لا سبيل لكم عليها اذا أطاعت بالموعظة فدل بذلك على صحة ما ذكرناه .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ان الله كان عليّاً كبيراً) بعد قوله (فلا تبغوا عليهن سبيلا) كيف تعلق ذلك بهذا النهي . وجوابنا انه تحذير من هذا الفعل لان معنى قوله ان الله كان عليّاً كبيراً انه مقتدر على المؤاخذة بما نها كم عنه وكذلك قوله (كبيراً) فحذر تعالى من المخالفة بذكر هذين الوصفين .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) فما يدل ذلك على انه تعالى يفعل فيهما الموافقة وان فعلهما من خلق الله تعالى . وجوابنا ان التوفيق لا يكون الا من قبل الله تعالى وهو الامر الذي يدعوا العبد الى الصلاح فعند الشقاق أمر تعالى بالحكمين من قبل الرجل والمرأة ثم بين أن ذلك معنى وأن بذل الجهد غير التوفيق من الله فليس الامر كما قدروه بل يدل على ان فعل العبد من جهته لأنه لو كان من خلق الله تعالى فيه لاستغنى عن التوفيق ولذلك قال تعالى في هذا التوفيق ان من شرطه أن يريدا اصلاحا لا افسادا ليتخفف ذلك الواقع من قبله تعالى .

(فصل) ولما بين لنا ما نعامل به النساء عند الصلاح وعند النشوز وعند الشقاق بين أيضاً ما يلزم المرء أن يفعله لصلاح دينه فقال (واعبدوا الله ولا تشركوا

به شيئاً) وذلك يجمع كل العبادات والطاعات التي تختص به ثم قال (و بالوالدين إحسانا و بذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم) يجمع تعالى بذلك الاحسان الى كل محتاج وان كان بعضهم أقرب الى المرء كنحو ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وملك اليمين و بعضهم أبعد كنحو اليتامى والمساكين وابن السبيل فأمر بالاحسان الى الكل ثم من بعد ذلك نبه المرء على طريقة التواضع فقال (ان الله لا يحب من كان مختالا فخوراً) فهذه الآية جامعة لكل مايحتاج المرء اليه فتدخل فيه العبادات بكمالها وضروب الاحسان والانفاق في سبيله والمنع من ضروب التكبر والعدول عنه الى التواضع فهو على اختصاره يجمع ما يدخل في المجلدات الكبار ثم قال تعالى (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله) فجعل ذلك من صفات من يكون مختالا فخورا فنبه بذلك على ان الانفاق هو الذى يخرجه من أن يكون فخوراً ومن أن يكون بخيلا فالذى يخرج من ذلك لا يكتم ما آتاه الله من فضله فيرى شكورا معترفا بنعم الله قولا وفعلا فكل ذلك تأديب من الله تعالى في باب الدين • و بين من بعد كيف ينبغى أن ينفق في ذات الله تعالى فقال (والذين ينفقون أموالهم رآء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) فرغب في ذلك حتى ختم الكلام بقوله جل وعز (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما) فبين كيف يدبر أمر المكلفين ولا يظلم أحدا منهم حتى يمنعه المصالح و يمنعه الثواب أو يزيد في عقابه و بين انه فى الحسنات يضاعف ثوابها و بين انه يؤتى المرء الاجر العظيم

على ماينزل به من الشدائد ودل بقوله إنه لا يظلم مثقال ذرة على بطلان قول هؤلاء القدرية الذين يقولون لا ظلم الا من قبل الله و بخلقه و إرادته . تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً ثم بين تعالى أنه صلى الله عليه وسلم يكون شاهدا على أمته بما يقع منهم من خير وشر فحذر بذلك من المعاصى وأن المرء اذا علم ان الرسول صلى الله عليه وسلم مع عظم محله يشهد عليه كان أبعد من المعصية و بين أن شهادته تكون يوم القيامة وان (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) فيتمنون أن يبقوا في التراب وفى القبر لما رأوه من العذاب و يصيرون بحيث لا يكتمون الله حديثا حتى تشهد عليهم أيديهم وألسنتهم بما كانوا يعملون فلو لم يتدبر المرء الاهذه الآيات لكفاه .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) كيف يصح ذلك والسكران لايخاطب لزوال عقله وجوابنا ان المراد المنع من السكر الذى لايمكن اقامة الصلاة معه لانه اذا سكر يؤمر و ينهي هذا هو الوجه وروى عن بعض الصحابة انه جعل ذلك أول دلالة على تحريم الخمر ودل قوله (حتى تعلموا ماتقولون) على ان الصلاة لا تصح إلا بقول فذلك احد ما يدل على وجوب الذكر والقراءة في الصلاة و يدل أيضاً على أن المصلى يجب أن يكون عالماً بصلاته و بقراءته متدبرا لها فلا يصلى وهو غافل ونهى تعالى الجنب ان يقرب الصلاة الا عابر سبيل حتى يغتسل فدل بذلك على انه متى لم يكن مسافرا لم تصح صلاته الا بالاغتسال ونبه جل وعز على انه اذا كان مسافرا يجوز ان يصلى بلا اغتسال بل بالتيمم .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم)

كيف يصح أولا أن يكون القرآن مصدقا لما معهم وكيف يصح في الوجوه ان ترد على أدبارها وذلك يخرجها من أن تكون وجوها • وجوابنا أن القرآن مصدق لكتبهم من حيث فيها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ومخالفة شريعتهم لما في القرآن لا يمنع من أن يكون مصدقا كما أن ثبوت الناسخ والمنسوخ في القرآن لا يمنع من ذلك • فأما طمس الوجوه وردها على أدبارها فمن عظيم ما يخوف به المرء من المعصية ولم يقل تعالى انه يعيدردها على أدبارها تكون وجوهاً لهم ولو قيل ذلك كان لا ينكر لان صورة الوجه اذا لم تتغير اجرى عليه هذا الاسم وبين تعالى من بعد انه لا يغفر ان يشرك به والمراد الاصرار على الشرك ثم (انه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والمراد مع الاصرار واذا صح ذلك فانما أراد أصحاب الصغائر دون أصحاب الكبائر لقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) • (مسألة) • وربما قيل في قوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وليس في اليهود من يعبد الصنم ويؤمن به فكيف يصح ذلك. وجوابنا انه ليس المراد بالجبت والطاغوت الأصنام بل المراد به الشيطان والسحرة على ماروي عن الحسن وغيره والمروى عن ابن عباس ان كعب بن الاشرف قال لقريش أنتم خير من محمد ووعدهم بمعونة عليه فقالوا له أنتم أهل الكتاب ولا نأمن ان يكون ذلك خديعة فان أردت ان نثق بقولك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فنزلت هذه الآية • وقد قيل ان المراد به الكهنة والسحرة كقوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • وبعد فليس في قوله (أوتوا نصيباً من الكتاب) انهم أهل كتاب لان كثيرا ممن بعث اليه موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم يدخلون في هذا الوصف وان لم يؤمنوا فلا يدل على ماذكروه وقد يقال لمن تبع طريقة من يعبدون الاصنام انه يؤمن

بها كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) لما اطاعوهم وكل ذلك يسقط هذه الشبهة.

(مسألة) وربما قالوا في قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ان ذلك يوجب تعذيب من لم يذنب أو تعذيب بعض من العاصي لم يكن بعضا له في حال الذنب ويوجب أيضا ان يصير الواحد من أهل النار على الايام في نهاية العظم بأن يخلق له الجلد حالا بعد حال وكل ذلك لا يحسن. وجوابنا ان المراد بهذا التنزيل انه تعالى يغير ذلك الجلد عن صورة الاحتراق الى صورة الصحة فيقال انه بدل وان كان الجلد ثانياً هو الذي كان أولا كما يقال في الماء انه قد تغير وتبدل اذا صار ملحا بعد ان كان عذبا • وقد قيل ان الله تعالى يخلق جلدا بعد جلد ولا يوجب ذلك فسادا لان المعذب هو العاصي دون ابعاضه ويصح عندنا ان يعظم الله تعالى جسد أهل النار على ما روى في الخبر ويعذبون وهذا كما يذم ويلعن الكافر وان صار بعد كفره سمينا ولا يؤدى الى العظم الذي ينكر فانه تعالى كما يخلق جلدا بعد جلد يفنى ذلك حالا بعد حال ولذلك قال تعالى (ليذوقوا العذاب) فجعل ذلك عذابا لهم لا للجلد

﴿ فصل ﴾

وقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به) يدل على ان العبد هو الفاعل والا لم يكن لهذا الامر معنى ولا للوعظ فائدة اذا كان تعالى هو الخالق لرد الامانة والحكم وأي نفع في هذا الوعظ ان كان مراده تعالى ذلك وأي تأثير بهذا الوعظ حتى يصفه بهذا الوصف وحتى يمن تعالى على عباده بذلك وكذلك قوله تعالى من بعد (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) لا يصح الا اذا كان

العبد هو المختار لفعله فيكون موافقا لما فى الكتاب ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولطريقة العلماء. وقد اختلفوا فى أولى الامر منكم فمنهم من قال الامراء ومنهم من قال العلماء. وقوله من بعد (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يدل على انهم الفاعلون لهذا الرد عند التنازع والا كان قوله (ان كنتم تؤمنون) لا يفيد اذ الفائدة فى ذلك ان إيمانكم بالله يقتضى امتثال أمره بهذا الرد وصف تعالى بعد ذلك المنافقين بأنهم يزعمون أنهم آمنوا بالله والرسول ويريدون مع ذلك (ان يتحا كموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به) والمراد بذلك شيطان الانس أو الجن على ما تقدم ذكره ولذلك قال بعده (ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا).

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أواخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم) كيف يصح ان يكلفهم قتل أنفسهم مع ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه . وجوابنا ان المراد قتل بعضهم لبعض كقوله تعالى (فسلموا على أنفسكم) وعلى هذا الوجه تأوله المفسرون ويحتمل ان يكون المراد التعرض لاسباب الهلكة وقد يقال لمن يفعل ذلك انه قتل نفسه ولذلك قال بعده (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم) فنبه بذلك على ان الايمان منهم مما يصح ويصح خلافه وذلك يدل على ان ذلك فعلهم لانه لا يقال لمن لا يصح منه الا القيام فقط لو فعل القعود لكان خيرا له وبين من بعد حال المطيع بما يرغب نهاية الترغيب فى الطاعة فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ثم رغب تعالى فى الجهاد فقال (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا)

ووصف بعده حال المنافقين بقوله (وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علىّ اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) ثم رغب تعالى فى الجهاد وبين ان للمجاهد الثواب قتل أو غلب فقال (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) لان الذى يحصل له هو تحمله المشقة لانه يقتل وقتل الكفار له مصيبة فبين أنه سواء قتل أو غلب فله الثواب الجزيل على ماتحمله من الكلفة.

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) كيف يصح ان يحكى ذلك عن الولدان وهم لا يعرفون ربهم وجوابنا انه تعالى ذكر جملة من يحب ان يهاجر ويتخلص من القرية الظالم أهلها والمراد بقوله ربنا أخرجنا من يصلح ان يقول ذلك كما يقال ان أهل البصرة معتزلة يقولون بالعدل والتوحيد ويراد بذلك كبارهم وان لم يفصل ولذلك قال (واجعل لنا من لدنك وليا) ومثل ذلك لا يقع من الولدان فهو كقوله (يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم) والمراد من تصح منه العبادة.

ه(مسألة)ه وربما قالوا كيف قال تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) مافائدة ذلك وقد علم كل أحد ان آخر أمره الموت. وجوابنا انه تعالى بعث على الجهاد وبين ان المؤمن يقاتل فى سبيل الله والكافر يقاتل فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم بين ان من كتب عليهم القتال قالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى

أجل قريب) وبين ان حياة الدنيا قليل وان الآخرة خير لمن اتقى ثم بين ان الذى لاجله تحذرون الجهاد نازل بكم وان كنتم فى القصور والبروج فلا وجه لرغبتكم عن الجهاد مع الثواب العظيم حذرا من ذلك

(مسألة) وربما قيل فى قوله (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله) أوما يدل على ان الحسنات والسيئات من خلق الله . وجوابنا ان المراد بهذه الحسنة الخصب والرخاء وبهذه السيئة الشدة والامراض فقد كانوا يقولون فى مثل ذلك انها بشؤم محمد صلى الله عليه وسلم ينفرون العوام عن اتباعه ولذلك قال تعالى عنهم (وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) والامر يذهب فى السيئات الى انها من عند غير المكتسب وغير الله يدل على ذلك قوله تعالى من بعد (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأراد بذلك ما يفعله المرء من الطاعة والمعصية ولولا صحة ما ذكرناه لكان الكلام متناقضاً وقالت العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تزعم فى القرآن انه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وقد وجدنا ذلك وانما عدلوا عن هذا القول لأن المراد بالاول المصائب والامراض وبالثانى المعاصى فأضافها الى نفس الانسان .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) كيف يصح أن يستثنى القليل وفضل الله ورحمته على الجميع وجوابنا أن هذا الاستثناء قد اختلف فيه فقال بعضهم انه راجع الى ما تقدم وهو قوله (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به) فكأنه قال أذاعوا به الا قليلا منهم وقال بعضهم هو راجع الى قوله (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الا قليلا وقال بعضهم هو راجع

الى قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) فكأنما كان يصح طعن هذا الطاعن لو لم يصح رجوع هذا الاستثناء الى هذا الوجه الآخر فأما اذا صح رجوعه الى الوجهين الأولين فقد زال الطعن ومع ذلك فانه يحتمل في هذا الفضل أن يكون المراد به اللطف في باب الدين فبين تعالى انه لولا ذلك اتبعوا الشيطان الا قليلا فانهم ممن لا لطف لهم واذا لم يكن لهم لطف لم يكن لفعل ذلك بهم معنى فهم يطيعون مع عدم هذا الفضل فهذا الطعن زائل على كل وجه .

ه(مسألة) ه وربما قيل في قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) ان ذلك يقتضى أنه المخصوص بتكليف الجهاد . وجوابنا ان المراد أنه لم يكلف هو الجهاد الا في نفسه ولم يكلف جهاد غيره وانما كلف فى غيره البعث على ذلك والامر به ولذلك قال تعالى بعده (وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (أتريدون ان تهدوا من أضل الله) انه يدل على انه يضل الكافر . وجوابنا ان ذلك دليلنا لانه تعالى قال فى المنافقين (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) فبين تقدم نفاقهم وبين نزول اللعن بهم ثم قال (أتريدون ان تهدوا) وأراد هنا الثواب والمدح من أضل الله على ما تقدم من كفره وقد بينا ذلك فى أول الكتاب .

(مسألة) وربما قيل فى قوله (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) أنه يدل على ان له أن يقتل خطأ . وجوابنا أن المراد ان ايمان المؤمن لا يثبت مع قتل المؤمن وقد ثبت مع قتل الخطأ فكأنه قال لا يصح وهو مؤمن أن يقتل مؤمناً الا أن يكون قتله خطأ ثم بين حكم قتل الخطأ فى الكفارة وقد قيل أن المراد لكن أن قتله خطأ وأنه استثناء منقطع والاول أبين .

●(مسألة)● وربما قيل في قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) أفما يدل ذلك على أن توبة قاتل العمد لا تقبل كما روى عن بعضهم . وجوابنا أنه تعالى قد قدر في العقول أن التوبة من كل المعاصي مقبولة وبينه أيضا في القرآن بقوله (إلا من تاب) في سورة الفرقان بعد تقدم ذكر الكفر والقتل والزنا فالمراد اذ فجزاؤه جهنم ان لم يكن معه توبة بين ذلك قوله (وغضب الله عليه ولعنه) ومعلوم من حال التائب انه حبيب الله وأنه لا يلعن ولا ينزل به الغضب من الله بل يناله الرضا من جهته .

(● مسألة)● وربما قيل في قوله تعالى (أولئك يعلم الله ما في قلوبهم) مافائدة هذا التخصيص وهو عالم بسرائر القلوب . وجوابنا أن ذلك تهديد من الله تعالى واذا خص قلوبهم بالذكر كان أقوى ولا يمنع من كونه عالما بكل شيء اذ العادة جارية في الوعيد أن يخص كقول القائل لوكيله احذر مخالفتى فانى عالم بما تأتيه .

(مسألة)● وربما قيل ما فائدة قوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) . وجوابنا أن ذلك كالدفع لتقدير من يقدر أن المراد في اكتسابها الطاعات ناقصة عن الرجل كنقصان حظها في الميراث فبين تعالى ان حالهم في الآخرة لا تختلف فلذلك قال من بعد (واسئلوا الله من فضله) فبين أنه في مصالحهما لا يتغير ما يفعله كالا يتغير مايستحقانه من الثواب .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ومن يكسب خطيئة أو إثما) لماذا كرر والمراد واحد ولماذا قال (ثم يرم به) ولم يقل بهما . وجوابنا ان من المعاصي ما يكون خطأ ومنها ما يكون عمدا فالاثم لا يكون إلا عمداً والخطيئة قد تقع وهو غير عالم بها وذلك نحو أن يأكل ويعلم أنه صائم وأن يأكل ولا يعلم ذلك وان كان في الامرين قد يكون عاصياً فلذلك ذكرهما تعالى ومعنى قوله (ثم يرم به)

أى يرم بذلك فأشار الى ماتقدم فلذلك لم يقل بهما .

●(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) كيف يشهد على نفسه . وجوابنا أن المراد بذلك ليس الشهادة التى تؤدى بل المراد المعرفة بما يأتى ويذر فأوجب أن يعرف من نفسه ما يكون معروفا وما يكون منكرا فيتركه ويتوب كما ينكر ذلك على غيره ولذلك قال بعده (أو الوالدين والأقربين فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) وتوعدهم بقوله (وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

●(مسألة)● وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) كيف يصح ذلك . وجوابنا ان المراد من آمن فأمره الله أن يدوم على ذلك ويثبت عليه في المستقبل ويحتمل أن يريد مجموع ما ذكره في قوله (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل) ان مجموع ذلك ربما لا يحصل للكثير من المؤمنين ولذلك قال بعده (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله) فتوعد بكل ذلك .

●(مسألة)● وربما قيل في قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) هلا قال علمت وذلك مما يعلم . وجوابنا ان النشوز من الزوج وان ظهر فان ذلك يبدو منه لا محالة ولا يعلم وانما يخاف ولاجل ذلك يستحب الصلح فلذلك ذكر الله تعالى الخوف دون العلم .

●(مسألة)● وربما قيل في قوله تعالى (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) كيف يصح ذلك والكثير منهم مات على كفره . وجوابنا انه خاص بقوم منهم ويحتمل أن يكون المراد عند المعاينة يعرفهم الله تعالى ذلك ويؤمنون به وان كانوا ملجئين الى ذلك .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات) كيف يصح لاجل ظلمهم ان يحرم عليهم ولهم فى اجتناب ذلك ثواب وهو نفع لهم فكيف يعاقبون به . وجوابنا ان المراد ان عندظلمهم كان الصلاح تحريم ذلك الا انه عقوبة لان التكليف نعمة وليس عقوبة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) كيف قال تعالى بعده (والمقيمين الصلاة) وذلك لايجوز فى اللغة . وجوابنا ان بعضهم قال هو نسق على ما التى في قوله بما أنزل اليك فكأنه قال انهم يؤمنون بما أنزل اليك و بالمقيمين الصلاة وقيل أيضاً قال بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك و بالملائكة المقيمين الصلاة وقيل كأنه قال و يؤمنون بالمقيمين الصلاة وقيل كأنه قال و باقام الصلاة وقيل لما طال الكلام نصب المقيمين على وجه المدح .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ألم ترى الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) أليس ظاهر الآية أنه يخص من يشاء بالتزكية . وجوابنا أن التزكية من الله هى المدح والثناء وذلك لا يكون الامن قبله أو بأمره .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أليس يدل على أنه يضل وأنه لا سبيل لمن ضل الى الهدى . وجوابنا ان المراد من أضله الله عن الجنة لا يصح أن يهديه الى الجنة والثواب وقدحكم عليه بالعقاب

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) أنه يدل على أن يسلط الكفار على المؤمنين . وجوابنا أن المراد به لو شاء لفعل لكنه لا يفعله لقبحه وذلك جائز عندنا .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وكان الله بكل شئ محيطا) ان ذلك

يوجب انه تعالى جسم يحيط بالاشياء . وجوابنا ان المراد به إحاطة العلم لقوله تعالى (ولا يحيطون بشئ من علمه)

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) كيف يصح ذلك وقد أمرنا أن نعدل بين النساء . وجوابنا أن المراد بذلك أن نعدل بينهن فى الشهوة والمحبة لانها يتصل بالنفقات والقسم وغيرها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هذا قسمى فيما أملك فلاتؤاخذنى فيما لا أملك فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الليالى بين نسائه على السواء لكنه فيما يرجع الى شهوة القلب كان لا يمكنه التسوية لان الشهوة من قبل الله تعالى .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) . فبين انه لاسبيل لهم الى ترك الكفر وهذا خلاف قولكم ان الله تعالى قد مكن وأزاح العلة . وجوابنا أن المراد انه لا يغفر لهم فى الآخرة ولا ليهديهم سبيلا الى الثواب .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) ان ظاهره يدل على انه منعهم من الايمان • وجوابنا أن المراد بالطبع والختم قد فسرناه وانه علامة وليس بمنع ولذلك قال تعالى (فلا يؤمنون الا قليلا) ولو كان منعا لمنع القليل كما يمنع الكثير . وربما قيل فى قوله تعالى (كذلك كنتم من قبل) أنه قال بعده (فمنّ الله عليكم) فدل بذلك ان الايمان من فعله . وجوابنا انا نقول فى الايمان انا وصلنا اليه بالله تعالى و بفضله وألطافه . و بعد فليس فى الظاهر ما قالوه بل المراد فمنّ الله عليكم بالأدلة والبيان و إرسال الرسل وذلك صحيح .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر

لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم) كيف يصح أن يهديهم الى طريق جهنم والهداية لا تكون الا فى المنافع . وجوابنا ان ذلك مجاز فشبه ذلك بالهداية الى الثواب لما كان طريقا اليها ويحتمل أن يريد لكن يسوقهم الى جهنم فيكون فى حكم المبتدأ من الكلام .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فان كانتا اثنتين) ما الفائدة فى اثنتين وقد عرف ذلك بقوله كانتا . وجوابنا انه كان يجوز أن يقال بعد قوله كانتا صغيرتين أو صالحتين الى غير ذلك من الصفات فأفاد بقوله اثنتين ان المراد العدد وذلك فائدة صحيحة .

﴿ سورة المائدة ﴾

•(مسألة •) وربما سألوا فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) كيف يليق بذلك قوله من بعد (أحلت لكم بهيمة الانعام) . وجوابنا أن قوله عز وجل أوفوا بالعقود قد دخل تحته عقد التكاليف كما يدخل تحته العقود فى المعاملات وغيرها فجعله تعالى مقدمة لذكر التعبد فلذلك قال (أحلت لكم بهيمة الانعام) ثم بين بعده ما حرمه من الميتة والدم وغيرهما ومثل ذلك يعظم موقعه من الحكيم اذا قدمه امام أمره ونهيه كما يحسن من أحدنا أن يقول لولده الزم عهدة البر فمن سبيلك أن لا تخالفنى فى كيت وكيت فالكلام متسق والحمد لله وقد قيل ان تقدير الكلام كأنه قال (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يا أيها الذين آمنوا أحلت لكم بهيمة الانعام فعلى هذا الوجه يكون الكلام أبين

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام) كيف يصح أن يحل الأماكن والأوقات . وجوابنا أن المراد أن لا يحل ما حرم فى هذه الاماكن والأوقات فلا يجرى ذلك مجرى الامور

التى يحل التصرف فيها مطلقا .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) كيف يصح ذلك ولم يكن الدين من قبل ناقصاً اذ لا يجوز أن يقال كان دينه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اليوم ناقصاً . وجوابنا أن المراد الكمال الذى لا يتغير بعده ولا ينسخ ويقال انه آخر ما أنزله الله على الرسول . والدّين وان كان كاملا فى كل وقت من حين بعثه الله تعالى فقد يصح فيه الزيادات فى الادلة وفيما يلزم المرء تبين الله تعالى استقرار ذلك وكذلك قوله تعالى بعد ذلك (ورضيت لكم الاسلام دينا) أن المراد انه استقر حتى لا يتغير لا انه كان من قبل غير مرضى وقد يكون الشئ كاملا مرضياً وهو أنقص من شئ آخر كامل وعلى هذا الوجه فقول فى الايمان والاسلام والدين انها تزيد وتنقص وعلى هذا الوجه يكون دين المسافر كاملاً وان قصر فى الصلاة وأفطر فى الصيام كما يكون دين المقيم كاملا وكذلك القول فى الغنى والفقير .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) كيف يصح ذلك وقد كان قبل ذلك اليوم حلالا وكيف يصح ذلك وقد أكل الله تعالى الدين من قبل . وجوابنا أن فى جملة ما أحله الله مالا يعلم الا بالشرع وهو نكاح الكتابيات وعلى هذا قال الفقهاء ان بذلك نعلم إباحة نكاحهن حتى قال بعضهم ان ذلك ناسخ لقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال بعضهم بل هو مخصص فلما كان ذلك فى جملة ما أحله الله تعالى جاز أن يقيده باليوم . و بعد فقد يقال اليوم أحل كذا وان كان حلالا من قبل وهذا هو اليوم الذى ذكر الله تعالى انه

أ كل فيه الدين فذلك داخل تحت الدين هـذا هو مذهب أ كثر القـدماء وقـد قال بعضهم إن المراد بقوله (والمحصنات من الذين أوتوا الـكتاب) من أسلم منهن ولم يجوز نكاحهن وهن على كفرهن والقول الاول أبين .

•(مسألة)• وربما قيـل فى قوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) كيف يصح الـكفر بالايمان وانما يكفر المرء بالله تعالى . وجوابنـا ان المراد جحد الايمان فان من جحده فقـد غطاه فشبه ذلك بالـكفر الذي هو التغطية كما يقال تكفر بالسلاح وعلى هذا الوجه قال تعالى فى آية الحج (ومن كفر فان الله غنىّ عن العالمين) ويقال ان فلانا كفر بالصلاة وكفر بالنبي والمراد ماقدمنا لـكنه لايطلق ذلك الا فى جحد هذه الشرائع اوالجهل بها .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (واذ كروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) كيف يصح ذلك والمكلف منا ومن غيرنا لا يذ كر ذلك ويعلم ان القول لم يقع منه قبل التكليف . وجوابنا ان ذلك أمر من الله تعالى أن يذ كروا ذلك والذ كر هو العلم بما يتجدد من النعم حالا بعـد حال ونفس العلم ربما علم باضطرار وان كان انما يعلم انه من نعم الله باستدلال فأما الميثاق من الله تعالى فهو العلم بما أودع فى العقل من التكليف ولا عاقل الا ويقر بانه يقبح منه الظلم القبيح فيجب عليه الانصاف وغيره فهذا هو المراد ولذلك قال بعده (واتقوا الله) يعنى فيما الزم وكلف (ان الله عليم بذات الصـدور) وقال قبله عند ذ كر التيمم (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) فدل تعالى بذلك على انه لم يضيق على المكلف بالطهارة والماء معوز بل وسع فألزم التيمم بالموجود من التراب فـكيف يصح مع ذلك أن يقال انه تعالى يكلف المرء الايمان وسائر الطاعات وهو لا يطيقه .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) ان ذلك يدل على انه تعالى يخلق قسوة القلوب وسائر المعاصى . وجوابنا ان قوله (فبما نقضهم ميثاقهم) دلالة على أنهم نقضوا وأنه لاجـل ذلك لعنهم فجعل قلوبهم قاسية ولا يصح ذلك الا والـكفر قد تقدم منهم واذا صح ذلك وجب حمل قوله (وجعلنا) على ان المراد حكمنا بذلك كما يقال جعلت الرجـل بخيلا اذا سألته فظهر بخله ويحتمل أن يريد تعالى أنه جعل قلبهم على صفة يحتاجون معها الى مزيد تكليف فى الطاعة ومثل ذلك يكون من قبل الله تعالى كما تقول فى الجبن والشجاعة والذكاء والبلادة ولفظة الجعل وان دلت على الفعل فقد يراد بها غير ذلك كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) والمراد اعتقدوا ذلك فسموهم وكقوله فى القصاص (فقد جعلنا لوليه سلطانا) والمراد حكمنا بذلك وقد قيل ان المراد به انا خليناهم وقد يقال للرجل اذا ترك أن يعمر أرضه قد جعله خرابا واذا لم يؤدب ولده يقال قد جعله فاسدا الى غير ذلك ولولا صحة ماذ كرناه لما قال بعده (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذ كروا به) فذمهم على ذلك .

•(مسألة)• وربما قيل كيف يجوز أن يقول تعالى (فأغرينا بينهم العـداوة والبغضاء الى يوم القيامة) والله تعالى لايغرى بالعداوة ولا يبعث عليها . وجوابنا أن الله تعالى ذ كر بنى اسرائيل ووعدهم بشرط أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بالرسول ثم قال (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم قال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) ثم قال من بعد (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) ثم قال (فأغرينا بينهم) لما لم يتمسكوا بالميثاق والمراد بذلك انه خلاهم عن الالطاف التى لو تمسكوا بطاعة الله لـكان يفعلها بهم فلما لم يتمسكوا بها لم يكن ذلك اللطف لطفا لهم فجاز أن يقال أغرى بينهم وهذا كقوله تعالى (إنا

أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) لما لم يلطف بهم وهذا كما يقال فلان يرسل كلبه اذا لم يمنعه وقد قيل ان ذم اليهود للنصارى على التثليث وذم النصارى لليهود على تكذيب عيسى مما يحسن فاذا أغرى تعالى بينهم فى ذلك حسن وعلى هذا الوجه يحسن من أحدنا معاداة الكفار ويحسن من الكافر الذى يعبد الصنم معاداة المبتغى للشبهة معاداة عابد الصنم ومثل هذه المعاداة ربما تكون لطفا فى التمسك بالحق .

(مسألة) وربما سألوا فى قوله تعالى (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) فقالوا كيف خص هؤلاء بأن يهديهم بالقرآن • وجوابنا لانهم اذا اختصوا بقبوله جاز أن يخصهم كما ذكرناه فى قوله تعالى (هدى للمتقين) .

(مسالة) وربما قيل فى قوله تعالى (يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) أن ذلك يدل على أن ترك الكفر وفعل الايمان من قبل الله تعالى . وجوابنا أن الظاهر أن الكتاب الذى هو القرآن يخرجهم من الظلمات الى النور باذن الله ومعلوم انه لا يخرج فى الحقيقة عن الكفر الى الايمان وإنما يقال ذلك لما كان سبباً لايمان الكافر فأما قوله باذنه فالمراد انه بأمر الله وعلمه وذلك صحيح لانه تعالى ألزم أمر الايمان .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) كيف يصح ذلك وليس فى النصارى من يطلق ذلك . وجوابنا ان من يقول منهم بأن الله تعالى اتخذ المسيح فصار لاهوتا بعد ان كان ناسوتا وانه يحيي الموتى وانه يلزم عبادته فهو قائل بهذا القول فى المعنى ولذلك قال تعالى بعده (وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فنبه بذلك على أن المراد ما ذكرنا .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) كيف يصح تحريم الجنة عليهم ولا اختيار لهم فيها • وجوابنا ان ذلك يقال فيما يقع الناس فيه من المنافع تشبيها بما يلزم المرء أن يجتنبه من المحرمات وذلك معقول فى اللغة والتعارف ولذلك قال تعالى بعده (ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ونبه بذلك على ان من يستحق العقاب والنار لا ناصر له .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) كيف يصح ذلك وليس فى النصاري من يقول هذا القول بل يقولون الاله واحد لكنه يوصف بأنه ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس . وجوابنا انه تعالى لم يحك عنهم انهم يقولون ثالث ثلاثة آلهة بل قال انهم يقولون ثالث ثلاثة وهو معنى قولهم اذ أثبتوا ابناوأبا وروحا قديمات وعلى هذا الوجه يقول فى هؤلاء المشبهة انهم يثبتون معبودهم ثالثا ورابعا وعاشرا اذا قالوا ان معه علما وقدرة وحياة قديمة ولا معتبر بالعبارات فى ذلك ولو لم يصح ماذكرناه لقطعنا على انه كان فيهم من يقول ذلك ولم نعلمه ولذلك قال بعده (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (قال رب اني لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين) كيف يصح أن يقول ذلك وقد كان فى زمانه مثل يوشع بن نون وغيره ممن صار نبيا . وجوابنا (انى لا أملك الا نفسى وأخى) أراد ملكا مخصوصاً حتى يجرى أخاه مجرى نفسه في كل وجه ولم يكن ذلك حال غيرهما فلا يصح ما ذكرته .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض) كيف يصح أن يبقوا يتيهون فيها هذه المدة الطويلة وعلى ما يقال

تلك البقعة انما هى فراسخ قليلة . وجوابنا ان ذلك جائز فى قدرة الله تعالى بأن يكونوا اذا قربوا من الطرف يحول الله تعالى الطرف وسطا فيكون حالهم أبدا وكذلك جائز فى أزمان الانبياء فيكون معجزة لهم ويجوز أيضا أن تتغير دواعيهم ومقاصدهم حالا بعد حال بأن يكون تعالى يطرح قلوبهم بأن يصرفهم عن الخروج عن التيه والتحير فيه .

ه(مسألة)ه ورىما قيل فى قوله تعالى (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك) كيف يجوز أن يقول هابيل هذا القابيل والاثم يختص هو به فى قتله أوليس ذلك يدل على ان من ليس بعاص قد يلحقه اثم العاصى . وجوابنا ان الذى فعله به من القتل لما كان متعلقا بهابيل جاز أن يقول ذلك وكأنه قال (انى أريد أن تبوء باثمى) يعنى قتلى واثمك يعنى سائر ما فعلته حتى وصلت الى قتلى وقد قيل كيف يصح أن يريد ذلك وهو قبيح . وجوابنا ان المراد ارادته للذم والعقاب لا لنفس القتل الذى هو معصية ولذلك قال بعده (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) فكأنه أظهر انه مريد لوقوعه فى النار من حيث فعل ذلك ليصرفه عن هذا القتل بهذا القول .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) أليس ذلك يدل على ان نفس الانسان سوى شخصه وهو يطيعها فيما يفعل . وجوابنا ان مثل ذلك قد يطلق فى اللغة فيقال أطاعه نفسه وعصت فيمن يتبع الهوى والشهوة أو يخالف فلا يدل على ما قاله ولذلك قال تعالى (فأصبح من الخاسرين) ولم يقل فأصبحت نفسه خاسرة .

ه(مسألة)ه وربما قيل كيف خفى عليه بعد قتله أن يدفنه فى الارض حتى ينبه على ذلك بما بعثه الله تعالى من الغراب فأراه ذلك . وجوابنا ان ذلك كان ابتداء القتل والموت لا تمتنع الشبهة فيه .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا هو كيف تصح التسوية بين من يقتل الواحد ومن يقتل الخلق جميعا وذلك بعيد عن متعارف الشرع وطبيعة العقل . وجوابنا ان بيان عظم هذا القتل فى العقاب وانه من حيث يقتدى به ويسهل سبيل القتل وغيره عظم اثمه كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها (فان قيل) أفتقطعون على ان من قتل هذه النفس فعقابه كعقاب من قتل الناس جميعاً (قيل له) ذكر الله تعالى ذلك فى بنى اسرائيل خاصة فلا يمنع مثل ذلك فيهم وان لم يجب فى غيرهم لان عظم المعاصى يختلف بالاوقات واختلاف الاحوال ويحتمل أن يراد به فكأنما قتل الناس جميعاً فى عظم ما فعل وان لم يبلغ ذلك الحد فى العقوبة لان الظاهر لا يدل الا على هذه الجملة . ومتى قيل فما معنى قوله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وذلك ليس فى مقدور أحد . فجوابنا ان المراد التخليص من القتل والهلاك وذلك يعظم في الواحد كما يعظم في الجماعة (فان قيل) أليس يدل فى قوله تعالى (فأصبح من النادمين) على أنه ندم والندم توبة . وجوابنا انه لم يندم من حيث انها معصية وقبيح بل ندم لما افتضح وكان ظن ان ذلك يخفى فلما ظهر قتله ندم لشىء يخصه .

ه(مسألة)ه ومتى قيل ما معنى قوله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) وكيف يصح أن يحاربوا الله . وجوابنا ان المراد محاربة أنبيائه فقدم ذكره تعالى تعظيما لذلك وبين ان من عادى رسله وحاربهم فقد عادى الله

تعالى فنبه بذلك على عظم هذا الفعل وفخامته والمراد بالمحاربين من ذكره العلماء من الكفار والمفسدين في الصحارى والبلاد ثم بين ان حكمهم فيما يأتون من القتل وأخذ الاموال لا يخرج عما ذكر تعالى من أن (يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) فيلزم ذلك فيهم بحسب جناياتهم ولذلك قال تعالى (أولئك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) و بين أن من تاب قبل القدرة عليه فهذه الاحكام عنه زائلة فيما كان من حق الله تعالى.

•(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) كيف يصح وهم ملجؤن الى أن لا يفعلوا القبيح وارادتهم ما حكم الله تعالى بخلافه تقبح • وجوابنا ان لعلماء التوحيد فى ذلك جوابين (أحدهما) أنه يصح أن يريدوا ذلك ويحسن وان كان الله تعالى لا يفعله وعلمهم بأنهم لا يخرجون من النار لا يمنع من حسن ذلك لو وقع فهذا القائل بحسنه على ظاهره (والثانى) ان المراد انه يقع منهم ما يقع من المريد فى دار الدنيا فوصفهم تعالى بالارادة لاجل ذلك ولذلك قال تعالى بعده (ولهم عذاب مقيم) .

•(مسئلة)• وربما قيل فى قوله تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) كيف يصح ذلك فى المنافقين واليهود وقد أراد الله عز وجل عندكم تطهير قلوب الخلق المكلفين من الكفر والمعاصى ومن قبل ذلك (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) • وجوابنا ان الفتنة قد يراد بها التشديد فى التكليف وقد يراد بها العقوبة والله يريد كلا الامرين فأما تطهير القلب فالمراد به انه عز وجل علم أن لا لطف لهم حتى يريده فيصير صارفا لهم عن المعاصى ويحتمل أنه لقى قلوبهم ليس عليهم سمة الايمان كما قال تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان)

•(مسألة)• وربما قيل كيف يصح قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ومعلوم ان كثيرا منهم ليس بكافر عندكم وقد كرر الله تعالى ذلك فقال مرة هم الكافرون وأخرى هم الظالمون واخرى هم الفاسقون • وجوابنا ان المراد به اليهود لان هذه الآيات واردة فيهم ولانه تعالى قال بعده (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم) وذلك صفة اليهود وهم كفار وقد قيل فيه ان المراد به من لا يحكم بما أنزل الله مستحلاله وقيل ان المراد ومن لم يحكم بشئ مما أنزل الله فلا يلزم ما قالوه وان تعلق بذلك الخوارج فلم يصح لا كثرهم ففيهم من لا يقول بأن من لم يحكم بما أنزل الله يكون كافراً اذا كان صغيرا أو كان على التأويل أو على السهو فلا بد من أن يرجع الى ما ذكرناه من التأويل .

•(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) كيف يصح ذلك وشريعة عيسى مخالفة لشريعة موسى • وجوابنا أن وقوع النسخ فى الشرائع لا يخرجها من أن تكون متفقة كما أن اختلاف الشرع فى الغنى والفقير والمقيم والمسافر لا يخرج الشرع من أن يكون متفقاً لان كل شئ من ذلك صلاح فى وقته وعلى هذا الوجه بين تعالى فى القرآن انه مصدق للتوراة والانجيل والزم رسوله اذا حكم بينهم أن يحكم بالقرآن وان لا يتبع أهواءهم التى هى بخلاف القرآن وبين بعد ذلك بقوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أن الذى يجمع الكل فى كونه مصلحة يخرجه من أن يكون مختلفاً بل يكون بعض مصدقاً لبعض ولذلك قال تعالى بعده (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فجعل اختلافهم ثابتاً فى المذاهب التى هى مخالفة للحق لا فى الشرائع الحقة

•(مسألة) وربما قيل فى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء بعضهم أولياء بعض) كيف يصح مع الذى بينهما من المعاداة . وجوابنا انه تعالى لم يعين البعض وبعض من النصارى أولياء بعض منهم وكذلك بعض اليهود ومع ذلك فاليهود والنصارى يتولى بعضهم بعضاً فيما يتفقون عليه من التكذيب لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بعده (ومن يتولهم منكم فانه منهم) فنبه بذلك على أنه أراد بالتولى الاجتماع على ماذكر وذكر بعد ذلك أحوال المنافقين الذين يتولون الكفار فى الباطن فقال (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم) وبين طريقهم مع المؤمنين وانهم يقولون (نخشى أن تصيبنا دائرة) ثم بين بعد انهم سيندمون اذا ظهرت النصرة من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما أسروا في أنفسهم) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ومعلوم من حال المؤمن انه يعز المؤمن ويعظمه ويتولاه . وجوابنا أن مراده تعالى بيان مايحصل بهم من القهر والغلبة للكفار وما يحصل لهم من اللين والخضوع للمؤمنين فوصف ذلك بالعزة وهذا بالذلة وهذا كما يقال لمن يخضع لغيره انه يذل له ويتذلل ولذلك قال تعالى بعده في وصفهم (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وبين تعالى ان جهادهم على هذا الوجه فضل من الله من حيث يوفق لذلك ومن حيث يؤديهم الى النعم العظيمة من الثواب وبين بعده جل وعز بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة من يتولى المؤمنين وأنه تعالى يتكفل بنصرتهم وغلبتهم

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (قل هل ننبؤكم بشر من ذلك مثوبة

عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) كيف يصح وصف من تقدم ذكره من أهل الكتاب والمنافقين بذلك ولم يكن فيهم من يعبد الطاغوت . وجوابنا انه تعالى قد ذكر من قبل أهل الكتاب بقوله (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) فلا يمتنع أن يرجع هذا الوصف اليهم ويحتمل فى الطاغوت أن يراد به شياطين الانس والجن فقد كان فيهم من يضل العوام ويدعوهم الى الكفر ومن يطع هؤلاء يسمى عابداً له كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) لما أطاعوهم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) كيف يصح ذلك وليس فيهم من يقول هذا القول لا على ظاهره ولا على وجه البخيل . وجوابنا ان فى التوراة أن قوماً منهم كانوا يستبطؤن الرزق من جهة الله تعالى وينسبونه الى البخل ففيهم نزلت هذه الآية فبين تعالى أن يده مبسوطة بالعطاء والافضال والرزق لكنه ينفق كيف شاء بحسب المصلحة ولم يرد تعالى بذكر اليدين الجارحة ولا صفة مجهولة كما يذهب اليه المشبهة بل أراد تعالى النعم وانما ثنى ذلك لانه أراد نعم الدنيا والدين والنعم الظاهرة والباطنة ولو أراد تعالى الجارحة لم يكن لذكر البسط والانفاق معنى لانه لا يثبت التكذيب فى قولهم الا بالانفاق فزال مانسبوه اليه من البخل وليس للجارحة فى ذلك مدخل .

(مسألة) وربما قيل مامعنى قوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكيف يكون الاكل على هذا الوجه . وجوابنا أنه تعالى فى كثير من القرآن يذكر الاكل ويعنى سائر وجوه الانتفاع نحو قوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) ومعلوم من حال الانتفاع انه يكون سببه ما ينزل من السماء وما ينبت من الارض وعلى هذا

الوجه قال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فكنى تعالى عن ذلك بهذين الحرفين اللذين يجمعان كل المنافع ثم بين تعالى ان منهم أمة مقتصدة وهم الذين أسلموا وسلكوا طريق الحق من قبل فنبه بذلك على ان كل أهل الكتاب ليسوا بالصفة التى ذكرها .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) معلوم انه اذالم يبلغ لم يبلغ الرسالة فما فائدة التكرار . وجوابنا ان المراد بقوله بلغ ما أنزل اليك من ربك هو القرآن وبين انه ان لم يبلغ القرآن لا يكون قد بلغ الرسالة أجمع فليس ذلك بتكرار بل هو تنبيه على ان فى جملة ما حمل من الرسالة مالاينطق القرآن به ومتى لم يبلغ القرآن لم يتم ابلاغ الرسالة أجمع فالفائدة في ذلك عظيمة ولذلك قال تعالى بعده (والله يعصمك من الناس) فأزال عن قلبه الخوف من ابلاغ كل الرسالة وعلى هذا الوجه نقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكتم شيئاً من الشرائع ولا ان يغير وبين بأنه تزال عنه سائر الموانع في ذلك .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر) كيف يصح ذلك فكأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم . وجوابنا ان قوله تعالى (من آمن منهم) يرجع الى الذين هادوا والى الصابئين والنصارى دون المؤمنين فالكلام مستقيم فكأنه قال ان الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحا و بعد فلو رجع الى الكل لكان المراد الايمان في المستقبل فكأنه قال ان الذين آمنوا من ثبت على ايمانه في المستقبل واستمر عليه وعمل صالحاً فيستقيم الكلام .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين

كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله) كيف يصح ذلك ومعلوم من حالهم انهم ماتوا ولم يمسهم من العذاب ما ذكره تعالى . وجوابنا انه أخبر عن المستقبل ولم يذكر الله ان ذلك يمسهم فى الدنيا فالمراد انه يمسهم ان ثبتوا على الكفر العذاب الاليم في الآخرة وان تابوا أزال ذلك عنهم وقد قيل ان المراد بذلك ما ينالهم من الذل والجزية وغيرهما لان ذلك صغار وعذاب .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) ما الفائدة في ذلك . وجوابنا انه بين بذلك أنه رسوله لا معبود ولا إله لان من جاز ذلك عليه واحتاج الى الطعام لا يجوز أن يكون إلها معبوداً فبين بذلك بطلان قول النصارى ولذلك قال بعده (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) ثم قال بعده أيضاً (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولانفعا) ثم قال بعده (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وكل ذلك يبين صحة ما قلنا وعظم تعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوله جل وعز (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الى آخر الآيات ثم عظم اثم من يتولى أعداء الله بقوله جل وعز (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) ثم قال تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) فدل بكل ذلك على ما يجب من تولى المؤمنين ومعاداة الكافرين والفاسقين

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ذلك كفارة أيمانكم) كيف يصح ذلك وما يستحقه من الاثم في اليمين أو في الحنث لا يزول بذلك . وجوابنا ان لهذه

الكفارة حظا في التكفير وان لم يزل الكل فلذلك سمى بهذا الاسم لا انه اذا فعلها لاجل يمينه وحنثه زال كل عقابه بل خففه فلذلك يحتاج الى التوبة ليقطع بها على زوال العقوبة لان قدر تأثير الكفارة غير معلوم وقد يقال ان ذلك كفارة لا لانها تكفر الاثم وعلى هذا الوجه يكون كفارة في عظم الامور ويكون كفارة فيما هو طاعة أيضاً .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) كيف يصح المنع من المسألة والتكفير وهي تعرف بحال ما سأل عنه السائل . وجوابنا أن المسألة في باب الدين تعرف الحق لا ينكر وليس هذا هو المراد بل المراد المسألة على وجه التعنت لقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الآيات فان ماجرى هذا المجرى يقبح وربما عظم حتى يبلغ حد الكفر اذا اقترن به القدح في النبوّة وبين تعالى بقوله (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وبقوله (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) ان كل ذلك من فعلهم ولو كان ما فعل العبد مخلوقا من جهة الله لما صح ذلك وبين بقوله (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) ان تقليد الآباء وغيرهم في باب الدين جرم عظيم .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ان ذلك يوجب أن يتشاغل المرء بنفسه ولا يفكر في حال غيره فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر . وجوابنا أن الاثر المروى عن أبي بكر الصديق في ذلك هو الجواب فانه قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب فبين ان منع الغير من الظلم والمنكر من الواجبات على من يتمكن فيضره اذا لم يمنعه والمراد بذلك ان أحدا لا يؤخذ بذنب غيره واذا لم يؤخذ بذلك غيره فكيف يؤاخذ الله تعالى بما يخلقه فيه فيوجبه .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا) كيف يصح منهم هذا القول وقد علموا بماذا أجابهم من دعوه الى الدين من الأمم . وجوابنا أن المراد لا علم لنا الا ما أنت يا رب به أعلم ولذلك قال بعده (إنك أنت علام الغيوب) ويحتمل أنهم قالوا لا علم لنا بباطن أمورهم لأنهم انما يعلمون الظاهر والله تعالى هو العالم بباطن ما فعلوه .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) كيف يجوز من الحواريين أن يجهلوا قدرة الله تعالى على ذلك . وجوابنا أنهم ذكروا الاستطاعة وأرادوا نفس الفعل ولذلك (قالوا نريد أن نأكل منها) ولذلك صار جواب قولهم أن عيسى عليه السلام قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) ولو كان مرادهم القدرة فقط ما كان لذلك معنى ويحتمل أن يكون المراد انزال مائدة تكون مصلحة للكل لأن ذلك ربما لم يدخل تحت القدرة كما نقول في باب الالطاف ولذلك قال تعالى بعده (إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين) .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) كيف يصح ذلك وعيسى لم يقل ذلك للناس وكيف يصح أن يقول (واذ قال الله) وذلك يخبر به عن الماضي

ولم يتقدم ذلك منه تعالى في الدنيا ۰ وجوابنا ان ذلك من الله تعالى على وجه التوبيخ والتقريع لمن قال ذلك وقد يجوز من الحكيم أن يخاطب بذلك منهما بفعل ليكون ردعا وتوبيخاً لمن فعل والله تعالى عالم بالأمور ولا يصح الاستفهام عليه فالمراد ماذكرنا فقد كان فيهم من يزعم ان عيسى صلى الله عليه وسلم أمرهم بأن يتخذوهما إلهين فيعبدوهما ويطيعوهما كطاعة المرء لله ولذلك قال بعده (ان كنت قلته فقد علمته) وقد قيل ان هذا القول وقع منه تعالى فى مخاطبة عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة عند ما رفعه الى السماء فلذلك قال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم) وقيل أيضاً واذ قال يستعمل فى المستقبل اذ قدر فيه تقدير الماضى كقوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) لما قدر فيه تقدير الماضى ولذلك قال تعالى بعده (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم)

٭(مسألة)٭ وربما قيل فى قوله تعالى (إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم) أليس ذلك من قول عيسى صلى الله عليه وسلم يدل على انه كان لا يعرف انه تعالى يعذب الكفار لامحالة ۰ وجوابنا ان المراد تفويض أمرهم الى الله وأنه يفعل بهم ما يريد مما يكون عدلا وحكمة ويحتمل أن يكون المراد بقوله (إن تعذبهم) من استمر على كفره وبقوله (وإن تغفرلهم) من آمن ۰

﴿ سورة الانعام ﴾

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) كيف يصح ذلك فى الجميع وقد بين فى غير موضع انه خلقهم من نطفة ۰ وجوابنا ان

المراد أصل الخلقة في آدم لانه خلق من طين على ماذكره تعالى فلما كان الكل يرجع في خلقهم الى آدم صح أن يقول تعالى خلقكم من طين ۰

(مسألة) وربما قالوا فى قوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) أليس ذلك يدل على أن للانسان أجلين وأنتم تمنعون من ذلك ۰ وجوابنا ان أجل الانسان في الحياة هو وقت حياته وأجله في الموت هو وقت موته فاذا كان موته لا يقع الا في وقت واحد في الدنيا كان مقتولا أو غير مقتول فأجله واحد والمراد بذلك ثم قضى أجلا في الدنيا لانها دار الفناء وأجل مسمى عنده وهو أوقات حياتهم في الآخرة التى لا انقطاع لها بين ذلك أن الآخرة دار البقاء ولذلك قال بعده (ثم أنتم تمترون) فانما وقع ذلك منهم في باب الاعادة في الآخرة ۰

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) كيف يصح أن يكون في مكانين وكيف يصح مكان لله تعالى وقد كان موجوداً ولا مكان أصلا ۰ وجوابنا ان المراد أنه في السموات والارض بأن يعلمهما ويحفظهما ويدبرهما وقد بين ذلك تعالى بقوله من بعد (يعلم سركم وجهركم)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم) ان الكذب يكون قبيحاً وأهل الآخرة ملجؤن الى أن لا يقع منهم القبيح ۰ فالمراد بذلك (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) أى في الدنيا لانهم كانوا يحسبون انهم بخلاف ذلك ثم قال (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) أى في دار الدنيا لانهم أخبروا عن أنفسهم بنفي الشرك وهم كانوا مشركين في الحقيقة فالكذب انما وقع منهم في الدنيا وأخبروا في الآخرة عن أحوالهم في الدنيا ومثل ذلك يكون

فتنة في الآخرة عليهم لانهم يخبرون بما ليس بعذر فلا ينفعهم ذلك ولذلك قال تعالى بعده (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى ذهب ذلك عنهم وظنوا خلافه .

(مسألة) ورىما قيل في قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) كيف يصح ذلك وقد أمرهم بهذا الاستماع فكيف يمنعهم بالوقر والكن . وجوابنا ان ذلك تمثيل لا تحقيق من حيث لم يسمعوا ما أمروا فصاروا بمنزلة من في آذانه وقر ولم ينتفعوا بما فهموا فصاروا كمن في قلبه كن . وقد قيل ان المراد بذلك انهم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن فحجبوا عن استماعه من حيث كان المعلوم انهم لا ينتفعون به ولذلك قال بعده (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) و بين الله تعالى بعد اقامة الحجة ان الحجب ما نقص من معرفة كثير من الآيات اذ كان المعلوم أن يكذّب ولا ينتفع به ولذلك قال تعالى بعده (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا) وذمهم بذلك ولو كان المنع وقع منه لما صح أن يذمهم على ما منعهم منه .

(مسألة) ورىما قيل في قوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) ثم قال تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) كيف يصح ذلك . وجوابنا انهم تمنوا الرد الى دار الدنيا والتمني لا يقع فيه الكذب وجد الامر على ما تمنى أم لم يوجد وانما يقع الكذب في الاخبار فمعنى قوله (وانهم لكاذبون) انهم بمنزلة من يكذب من حيث لو ردوا لعادوا .

(فان قيل) أتقولون بجواز ردهم الى الدنيا حتى يقال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قيل) أما من اضطره الله تعالى الى معرفته عند المعاينة أو بعدها فلا جائز أن يكلفه بعد ذلك لكنه لما كان يجوز أن يرد من دون هذا الاضطرار جاز أن

يتمنى ذلك وجاز أن يخبر تعالى عن حالهم بما وصفه على وجه التقدير .

(مسألة) ورىما قيل فى قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية) مافائدة ذلك . وجوابنا شدة محبته صلى الله عليه وسلم لايمانهم وقبولهم كان يوجب أن يغتم باعراضهم ويكبر ذلك عليه فبين تعالى أن ذلك ليس فى طوقه وهو متعلق باختيارهم فلو فعل ما فعل لم يجد منهم الانقياد ولذلك قال تعالى بعده (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) والمراد لوشاء أن يلجئهم الى ذلك الفعل لكنه تعالى أراد ايمانهم اختيارا لينتفعوا بالثواب . ثم بين تعالى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) من ينتفعون بقبولهم (ثم اليه يرجعون) فيجازيهم على مافعلوا .

(مسألة) ورىما قالوا في قوله تعالى (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما الفائدة فى ذلك . وجوابنا انه تعالى بين أن مايلتمسونه من الآيات مقدور لله تعالى لكنهم لا يعلمون ان ذلك بمنزلة ما قد أظهره من الآيات في انهم لا يؤمنون عنده

(مسألة) ورىما قيل فى قوله تعالى (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) أليس يوجب ذلك ان كل حى مكلف . وجوابنا أن المراد بقوله أمم جماعة فكأنه قال مامن دابة ولا طائر الا وهم جماعة من الجنس الواحد فأما أن يريد بذلك انهم مكلفون فمحال لانا اذا كنا نعلم ان الصبي قبل البلوغ لا يكلف لفقد العقل فالبهائم والطير أولى بذلك .

(مسألة) ورىما قيل فى قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) كيف يصح ذلك ونحن نعلم انه ليس فى القرآن بيان أشياء كثيرة . وجوابنا ان المراد الشئ الذى يحتاج اليه في باب الدين لأنه الذى اذا لم يبينه تعالى يكون مفرطا

اذ المفرط يكون مفرطا بأن لا يبين ما يجب بيانه و جميع أمور الدين قد بينه الله تعالى فى القرآن إما مجملا و إما مفصلا ولذلك قال تعالى بعده (والذين كذبوا بآياتنا صم و بكم في الظلمات) نبه بذلك على انهم بمنزلة من هذه حاله لعدولهم عما يجب أن يتبعوه .

•(مسألة)• ور بما قيل في قوله تعالى (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غيره الله يأتيكم به) كيف يصح أن يذكر أشياء و يجمع ثم يوحد بقوله يأتيكم به . وجوابنا ان المراد يأتيكم بما تقدم ذكره وقد يصح في ذلك أن يوحد كما قد يصح أن يجمع و بين تعالى بذلك انه آتاهم هذه الآيات من سمع و بصر وقلب لينتفعوا بها فلما لم ينتفعوا بها فكأنها مفقودة ولذلك قال بعده (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) موبخا لهم على عدولهم .

•(مسألة)• ور بما سألوا في قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) كيف يصح أن ينهاه عن ذلك مع وصفه لهم بالعبادة والخشية . وجوابنا انه صلى الله عليه وسلم ر بما كان يقدم الاكابر من العرب محبة منه لايمانهم وتألفا لهم فأدبه الله تعالى بهذه الآية في المؤمنين لئلا يقدم غيرهم عليهم ولذلك قال تعالى بعده (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) نبه بذلك على ان المقدم هو من يعلمه الله تعالى عابدا شاكرا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) فأمره بأن يحييهم و يعرفهم عظم منزلتهم .

•(مسألة)• ور بما قيل في قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة) كيف يصح أن يؤاخذ من عمل السوء ولا يعرفه . وجوابنا ان كل عامل السوء والمعصية يوصف بأنه عمله بجهالة وان كان عالما به والمراد

بذلك أنه عمل ذلك على غير ما يقتضيه عقله فان الذى يوجبه العقل التحرز من ذلك وعلى هذا الوجه يوصف كل من يقدم على المعاصى بأنه جاهل ولا يراد بذلك الاعتقاد الذى هو جهل فلذلك قال تعالى (ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) .

(مسألة) ور بما قيل في قوله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) ما فائدة ذلك والله عليم بكل شئ . وجوابنا انه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ ما سيحدث من الامور لكى تستدل الملائكة متى وجدته على علمه وقدرته وهذا كما يحاسب يوم القيامة و يوكل الحفظة بالمكلف لاحصاء ما يأتيه و يفعله ليكون مصلحة له فى الدنيا وتبكيتا له فى الآخرة .

•(مسألة)• ور بما قالوا في قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) أنه يدل على جواز المكان له . وجوابنا ان المراد فوقهم فى القدرة والقهر لا في المكان ولذلك قال بعده (و يرسل عليكم حفظة) الى غير ذلك مما يدل على قدرته .

(مسألة) ور بما قيل في قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) فجمع وقال في موضع آخر (قل يتوفاكم ملك الموت) فوحد وذلك مناقضة . وجوابنا ان ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح وله جمع عظيم من الملائكة يأمرهم بذلك فلا مناقضة في هذا الباب .

•(مسألة)• ور بما قيل في قوله تعالى (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) كيف يصح والمكان مستحيل عليه . وجوابنا ان المراد ردوا الى حيث لا مالك ولا حاكم الا هو وقد تقدم نظائر ذلك .

(مسألة)• ور بما قيل في قوله تعالى (مولاهم الحق) كيف يصح ذلك وليس يثبت مولى باطل فيتميز مولى الحق عنه . وجوابنا ان المراد (ثم ردوا الى الله

مولاهم الحق) أنه الذى خلقهم فأحياهم و بلغهم هذا الحد ولا يجوز أن يشاركه غيره في ذلك وهذا هو المراد ولذلك قال بعده (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) فانه اذا جعل المكلف بهذه الاوصاف جازاه في الآخرة بحسب ذلك

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أما يدل ذلك على انه تعالى أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس . وجوابنا ان قوله (منكم) لا يدل على المشاركة فى انه من الجن بل قد يجوز أن يريد المشاركة في أنه من المكلفين العقلاء الذين يصلحون لذلك .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أن هذا يدل على المنع من النظر في الادلة . وجوابنا أن المراد خوضهم في الآيات على وجه الرد والوقيعة فيه كما كان كثير منهم يفعله وكيف يصح ذلك وقد بعث صلى الله عليه وسلم بالآيات في الدعاء اليه .

(مسألة) وربما قالوا في قوله تعالى « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى » أليس ذلك كفرا من قائله فكيف يجوز ذلك على ابراهيم . وجوابنا ان ذلك في حال النظر ذكر على وجه الاستدلال لا على وجه الخبر ولذلك قال بعده « فلما أفل قال لا أحب الافلين » فاستدل بحركته وغيبته على انه ليس برب وكذلك قال في الشمس والقمر وقال في آخره « انى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) فعرفه تعالى استدلالا بالسموات والارض كما نقل عنه الاستدلال على الله تعالى وقد قيل إن المراد بقوله هذا ربى على وجه الاستفهام والنظر ومثل ذلك قد يتفق من المستدل .

مسألة) وربما قيل في قوله تعالى « أتحاجونى في الله وقد هدان ولا أخاف

ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا » وان ذلك يدل على انه تعالى يجوز أن يشاء الشرك . وجوابنا ان المراد إلا أن يشاء ربى شيئا مما أخافه فرجع الاستثناء الى أسباب الخوف لا الى الشرك ولذلك قال بعده « وكيف أخاف ما أشركتم) وقال بعده أيضا « فأى الفريقين أحق بالا من » فنبه بذلك على أنه لا يخاف الا ما يكون من قبل الله تعالى دون مايتوهم للاصنام ثم قال بعده (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) فبين ان الامن فى الآخرة والاهتداء الى الثواب انما يحصل لمن يتحرز من الظلم وكل المعاصى تعد في الظلم ولذلك قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) ثم بين قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) الى آخره ذكر الانبياء ثم قال بعده (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) فبين أن الحجة على توحيد الله واحدة فى الانبياء وغيرهم ثم قال من بعد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فبين ان أن الشرك يحبط كل هذه الطاعات ثم قال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فنبه بذلك ان الدلالة واحدة .

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) أليس ذلك دلالة على أنه خصهم بالهدى . وجوابنا ما تقدم من أنهم لما قبلوا خصهم بالذكر .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) كيف يصح وليس فى الناس من يجعل لله شريكا من الجن . وجوابنا ان المراد أنهم جعلوا الملائكة شركاء الجن من حيث اتفقوا فى أنهم لا يرون . وقيل ان ابليس يعبده كثير من الناس كالشريك لله على ما يحكى عن بعض المجوس

٥(مسألة)٥ وربما سألوا عن قوله تعالى (وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم)

وعن قوله تعالى (الله خالق كل شيء) وقالوا يدل ذلك على صحة قول المجبرة. وجوابنا عن ذلك ان المراد وخلق كل شيء مما يوصف بأنه مخلوق لان كل ذلك من قبل الله تعالى وهـذا كقول القائل أكلت كل شيء يريد مما صح كونه مأكولا فلا يدل على ماقالوه وقد أجيب عنه بأن المراد التكثير والمبالغة لا أنه عموم فى الحقيقة كقوله تعالى (تجبي اليه ثمرات كل شيء) وقوله (وأوتيت من كل شيء) وذلك مذهب العرب فى المبالغة وبين ذلك قوله (الذى أحسن كل شيء خلقه) فبين حسن ماخلق فلا يصح أن يضاف اليه شيء من القبائح وقيل أيضاً ان المراد قدر الاشياء لأنه أوجدها وأحدثها فما هو من فعله قد قدره وما ليس من فعله قدره أيضاً بأن بين أحواله وذلك كقوله تعالى (الا امرأته قدرناها من الغابرين) والمراد الاخبار عن حالها فأما دلالة قوله عز وجل (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) على أنه تعالى لايجوز أن يرى بالابصار فبين وذلك مشروح فى الكتب وأما قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) فالمراد به لطيف الفعال لان اللطف عليه في ذاته يستحيل كما يستحيل عليه الصغر تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى من بعد (ولو شاء الله ما أشركوا) فالمراد بهلو شاء أن يمنعهم ويحول بينهم وبين الاختيار لما وقع الشرك منهم ويحتمل ولو شاء ان يلجيهم الى خلاف الشرك لما أشركوا ومن عظيم آداب القرآن قوله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) فنهاهم عن سب آلهتهم لئلا يقع منهم ذكره تعالى بما لايليق به على وجه المقابلة لان من ظن أنه اذا سب آلهتهم وقع منهم ذلك يكون قد اغراهم بهذه المعصية

(مسألة) وربما قالوا في قوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة عملهم) أليس ذلك يدل على انه تعالى قد زين عمل الكفار والعصاة وذلك بخلاف قولكم

وقول المسلمين . وجوابنا ان المراد به ما ألزمهم تعالى من العمل وشرعه لهم وليس المراد ماوقع منهم وعلى هذا الوجه يقول الوالد لولده قد زينت لك العمل الذى رسمته لك فالفتى فيسى مالم يقع منه عملا من حيث الامر والالزام ويبين ذلك قوله تعالى من بعد « ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » على وجه الدفع لهم عن الكفر وغيره فكيف يصح أن يكون مع ذلك مزينا لما فعلوه وقد بين تعالى في غير موضع أن الشيطان هو المزين لعملهم وقد قيل ان المراد زينا أعمالهم من حيث ميل الطبع والشهوة وأمرناهم مع ذلك بالمخالفة والجواب الاول ابين .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) ان ذلك يدل على أنه تعالى يخلق في قلوبهم الكفر والايمان قالوا ويقوى ذلك قوله (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) . وجوابنا ان المراد بذلك أنه يجعلهم كذلك في الآخرة فتقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار تنكيلا لهم وأما قوله (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) فالمراد أنه يخلى بينهم وبين ما اختاروه فلا يمنعهم كما تقول فيمن بصرناه برشده فلم يقبل قد تركناه ورأيه لانا لم نكره ذلك منه و بين صحة ذلك قوله تعالى من بعد (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا) فنبه بذلك على انهم خلاهم لعلمه بسوء فعالهم وانهم لا يعدلون الى الطريقة المثلى ومعنى قوله (وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) ان يلجئهم الى الايمان لكن ذلك لاينفع وانما ينتفعون بما يفعلونه اختياراً فيستحقون به الثواب.

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) وان ذلك يدل على أن مكرهم بكفرهم من قبله تعالى . وجوابنا ان

المراد بينا ذلك من حالهم كما يقال في الحاكم انه جعل الشاهد مزوراً اذا بين ذلك من حاله ويقال ان المعتزلة جعلت المشبهة كفاراً لما بينوا ذلك من حالهم كما يقال ان الحنفي جعل الوتر واجباً لما ذهب هذا المذهب فأما قوله تعالى (ليمكروا فيها) فالمراد أنه جعلهم في كل قرية وأمرهم بالطاعة وعاقبتهم هذا المكر وهذا كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) وانما التقطوه لغير ذلك لكن لما كان مآل أمرهم الى العداوة كما يقال خلقت الدنيا للفناء لما كان ذلك عاقبتها ولذلك قال تعالى (وما يمكرون الا بأنفسهم) فذمهم على ذلك.

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا) كيف يصح ذلك عندكم وأنتم تقولون أراد من الكل الهدى وكيف يصح ذلك ونحن نعلم ان الكافر لايكون ضيق الصدر بكفره بل ربما يكون أشرح بما هو عليه من المؤمن . وجوابنا ان المراد فمن يرد الله أن يهديه بزيادات الهدي كقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) لشرح صدره للاسلام لان زيادات الهدي أحد مايقوى صدر المؤمن على ايمانه وقوله (ومن يرد أن يضله) أى عن هذه الزيادات من حيث يعلم انه لاينتفع يجعل صدره ضيقاً حرجاً فاضطرب عليه اعتقاداته الفاسدة اذا فكر فيها وهذا يدل على قولنا في العدل إنه تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب الى ثباته على الايمان من شرح الصدر بزيادات الادلة ويفعل بالكافر مايكون أقرب الى ان يقلع عن الكفر من ضيق الصدر والا فقد هدى الجميع بالادلة وأزاح لهم العلة حتى لم يؤتوا الا من قبل انفسهم وكل كافر اذا فتشت عنه متى نوظر وكلم يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند ايراد الادلة عليه لكنه يكابر

ظاهراً ويوهم انه على بصيرة ولذلك قال تعالى من بعد (كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) .

(مسألة) وربما سئل عن قوله تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) كيف يصح منه تعالى ان يوليهم مع ظلمهم أو ليس قد قال في سورة البقرة (لاينال عهدى الظالمين) . وجوابنا ان ذلك شبيه بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فالله تعالى يقوى الظالم على غيره من الظلمة ليدفعه عن الظلم ولولا ظلمه لكان لايمكنه من ذلك وذلك ليس مخالفاً لقوله تعالى (لاينال عهدى الظالمين) اذ المراد بذلك النبوة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم) أما يدل ذلك على جواز المكان لله تعالى . وجوابنا ان هذه الاضافة اضافة إعظام واكرام كما يقال ان لزيد قدراً عظيماً عند عمرو لايراد به المكان ولذلك قال تعالى بعده (وهو وليهم بما كانوا يعملون) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله) أو ليس في ذلك دلالة على أن في الجن والانس الكفار من لايخلد في النار . وجوابنا ان المراد ماشاء الله ممن لايبقى على كفره ولانه تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها ومن الجائز ان يؤمن بعضهم فقال الا ماشاء الله) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) أليس يدل ذلك على وجوب حق يوم الحصاد خاصة . وجوابنا في ذلك انه قد روى وجوب هذا الحق من قبل وانه نسخ بالعشر والزكاة وروى أيضاً ان المراد به نفس العشر لانه يدخل تحت قوله وآتوا حقه يوم حصاده والتوقيت بذلك الوقت انما دل به على الايجاب والكلام فى كيفية اخراجه يرجع فيه

الى دليل الشرع .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) ثم قال في آخره (ذلك جزيناهم ببغيهم) كيف يصح ان يجازيهم على بغيهم بتحريم ما يحرمه ولهم في اجتناب ذلك المحرم ثواب فيصير من هذا الوجه نعمة فكيف يصح أن يكون عقوبة . وجوابنا ان المراد جزيناهم على بغيهم بتحريم ذلك عليهم من حيث نعلم ان جزاء البغي لا يكون ما يؤدي الى النفع والى الثواب وذكر بعده ما بين به من وجوه أنه تعالى لا يريد الشرك والكفر فقال (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وهذا مقالة المجبرة فقال تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) والمراد كذب الرسل الذين دعوهم الى خلافه وهو قولنا انه تعالى لا يشاء الشرك ولا سائر القبائح ثم قال (حتى ذاقوا بأسنا) وهو العذاب . والعذاب لا يذاق الا على القول القبيح ثم قال (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) ولا يقال ذلك الا للمبطل ثم قال (ان تتبعون الا الظن) ولا يقال ذلك للمحق ثم قال (وان أنتم الا تخرصون) والمراد تقدرون ما يكون كذبا أو في حكم الكذب كما قال تعالى (قتل الخراصون) ثم قال بعده (قل فلله الحجة البالغة) عاطفا على ما تقدم ثم قال «ولو شاء لهداكم اجمعين» بين به انه انما أراد خلاف الشرك منهم اختيارا ليفوزوا بثوابه ولو شاء ان يهديهم لهداهم اجمع . ثم أنه تعالى عهد الى عباده بعهد جامع ووصاهم به فقال «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا» ومن تأمل هذه الآيات وعمل بها اغنته عن كل دليل ثم قال في آخره «وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» فبين ان كل ما تقدم ذكره من وصاياه جل وعز

لعباده والوصايا في الشاهد يجب القيام بحقها فوصية الله تعالى أولى بذلك خصوصا وانما وصاهم بذلك لحظهم ولما يعود عليهم من النفع .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » كيف يصح ذلك في كل الحسنات . وجوابنا انه قد قيل في ذلك ان المراد به التفضل الزائد على الثواب فمن الله تعالى بذلك في كل حسنة ترغيبا في الطاعة وقيل فيه أيضا إن المراد فله عشر أمثالها في أنها حسنة وان كان الواحد من ذلك ثوابا عظيما والثاني تفضل وهو دون ذلك الثواب فاذا تأولناه على هذا الوجه زال القدح

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى « وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » كيف يصح ذلك مع تقدم اسلام سائر الانبياء وأممهم . وجوابنا ان المراد بذلك وأنا أول المسلمين من قومي لانه قد تقدم قوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين » ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان أول من أسلم بذلك من أمته وقوله تعالى (ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) دليل بين في أن الفعل للعبد وأنه لا يؤاخذ بما يكون من فعل غيره وأن قول من يزعم أن أطفال المشركين يعاقبون بذنوب آبائهم خطأ عظيم ومعنى قوله (ثم الى ربكم مرجعكم) ان اليه المرجع خاصة دون غيره لا كما قد عهد في الدنيا أن غير الله قد يرجع اليه في الأمور ولذلك قال تعالى (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ولو كان المراد الرجوع الى المكان لم يصح هذا القول ولم يكن فيه فائدة .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) بعد ذكر القرآن وهذا يوجب أنه آتاه الكتاب بعد القرآن وذلك لا يصح . وجوابنا أن لفظة ثم ربما دخلت لفظا لا معنى ويكون المراد ترتيب الاعراب والاخبار كما يقال علمت فلانا العلم ثم ربيته فيكون قصده اعلام انعامه عليه لا ترتيب ذلك فكأنه

قال ثم نعلمك يا محمد انا أتينا موسى الكتاب .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) أليس ذلك كالاغراء بالتكذيب . وجوابنا ان المراد لمن يتوب منهم ولذلك قال (ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين) ويحتمل فان كذبوك فقل ربكم عاجلا ذو رحمة واسعة في الرزق وغيره فيمهل ويرزق ولا يعجل بالعقوبة . ويحتمل فقل ربكم ذو رحمة واسعة علينا وعلى من خالفنا لا يرد بأسه عنه .

«(مسألة)» وربما سألوا فى قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) كيف قال ذلك وهو يؤخره الى الآخرة . وجوابنا انه وصف قدرته على ذلك على وجه الردع وليس المراد بيان كيف يقع وبعد فان سريع يستعمل على وجه الاضافة الى ما هو أعظم منه فى المدة اولانه يعقب الموت ثم يقال بتقدير السريع لان ما بين الاماتة والاعادة طويلة كقصيره .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كيف يصح ذلك . وجوابنا أنه تعالى أخبر بذلك عن شركائهم فقال شركاؤهم ليردوهم فلا سؤال علينا فى ذلك

«(سورة الاعراف)»

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) كيف يصح أن يقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم والحرج هو الشك والشك لا يجوز عليه في القرآن . وجوابنا أن ذلك نهي وقد ينهاه عز وجل عن المعلوم انه لا يقع كما قال الله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وبعد فليس الحرج هو الشك فيحتمل أن يريد به لا يكن فى صدرك الضيق من القيام باداء القرآن وابلاغه ولذلك قال بعده (لتنذر

به وذكرى للمؤمنين) واذا بعثه الله تعالى على الأداء وتوعده على تركه فغيره بذلك أولى

«مسألة» وربما قيل فى قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها باسنا بياتا) كيف يصح بعد اهلاكهم أن يعاقبهم . وجوابنا ان المراد أهلكناها بما جاءهم من بأسنا كما يقال أهلكنا القرية فخربناها وليس الاهلاك غير التخريب وانما بين وجه التخريب وقد قيل ان فيه تقديما . وتأخيراً فكأنه قال وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (مامنعك ان لا تسجد اذ أمرتك) كيف يصح ذلك ولم يمنع من أن لا يسجد وانما منع من السجود . وجوابنا ان المراد مامنعك أن تسجد وهو كقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب) والمراد لكي يعلموا وكقوله (يبين الله لكم أن تضلوا) والمراد أن لا تضلوا فاذا كان تعالى أمره بالسجود كما قال (مامنعك أن لا تسجد اذ أمرتك) فقد نبه بقوله اذ أمرتك على أن المراد مامنعك أن تفعل ما أمرتك وذلك يدل على قدرة ابليس على السجود كما تقوله وان لم يفعله

«مسألة» وربما قيل فى قوله تعالى (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) لماذا خص ذلك المكان بأنه لا يتكبر فيه دون غيره والتكبر محرم فى كل مكان . وجوابنا أن فى الاماكن ما يكون له منزلة فنفس المقام فيه يكون كالتكبر فلما جعل تعالى ذلك الموضع مقرا للانبياء جاز أن يقول ذلك لا أن التكبر يحسن فى غيره ولذلك قال بعده (فاخرج انك من الصاغرين) .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (قال أنظرنى الى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين) كيف يصح وقد كفر ابليس أن يجيب دعاءه . وجوابنا ان يفعل ما سأل العبد قد لا يكون اجابة متى فعل لا لمكان المسألة فى انظاره بل

لأن في تبقيته مصلحة العباد ليتحرزوا من المعاصي ومصلحة له في التكليف .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (قال فبما أغويتني) كيف يصح من الله تعالى أن يفعل به أو بغيره ذلك وهو قبيح . وجوابنا أن المراد بما أحرمتني الثواب وخيبتني منه وليس المراد به الضلال بل المراد به الحرمان ولذلك قال بعده (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) الآية ولا يليق ذلك الا بأن يقول اذا أحرمتني الثواب وخيبتني وقطعت رجائي لأفعلن كيت وكيت .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولا تجد أكثرهم شاكرين) كيف الحكم في ذلك وهو كالغيب . وجوابنا أنه يجوز أن يكون قد عرف ما سيكون من الناس من حيث أعلم الله بذلك الملائكة فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) . فجوابنا في هذه المسألة كالجواب في تلك المسألة .

٥(مسألة)٥ وربما قيل اذا كان الله تعالى قد أخرجه من الجنه وقال لآدم (اسكن أنت وزوجك الجنة) فكيف يصح أن يوسوس كما قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان) . وجوابنا أنه يجوز أن يخاطبهما وهو خارج الجنة ويجوز منهما أيضاً أن يخرجا من الجنة فيراهما فليس في ذلك مناقضة .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) كيف يصح ذلك على الانبياء . وجوابنا أن الذي وقع منهما من الصغائر وقع على وجه التأويل لكن الانبياء لما عظم الله من محلهم تعظيم الصغائر عند أنفسهم فعلى هذا الوجه (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) وقد يكون المرء بالصغيرة ظالما لنفسه من حيث حرمها الثواب الذي نقص لمكان الصغيرة ومن حيث يجب عليه التأسف والندم ولذلك غم عظيم .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كيف يصح ذلك وقوله للملائكة كان قبل أن خلقنا وصورنا . وجوابنا ان المراد خلقنا من هو أصلكم فذكر أولاده من حيث تفرعوا عنه فالمراد خلق آدم وهو كقوله جل وعز في سورة البقرة لأهل الكتاب (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم) والمراد آباؤهم الذين أولادهم لم يحصلوا على هذا الوصف .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) كيف يصح وعندكم أنه قد هدى الجميع . وجوابنا ان المراد في الآخرة وفي الآخرة يكون الهدى بمعنى الثواب كأنه قال فريقا هداهم الى الجنة بحسن طاعتهم وفريقا حق عليهم الضلالة وذلك اخبار عن حال من يعاد لكي يكون أقرب الى الطاعة ولذلك قال بعده (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) يعني ان الضلالة حقت عليهم لهذه الطريقة التي كانت منهم في الدنيا

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أليس ذلك يوجب أن احدا لا يقدر على قطع الأجل بالقتل وغيره على ما يقوله بعض المجبرة . وجوابنا ان الأجل هو الوقت الذي يعيش المرء اليه فسواء انقطعت حياته بالقتل أو بامانة الله تعالى أياه فذلك الوقت هو أجله لا أجل له سواه والعبد قادر على كل أحد لكن ما المعلوم خلافه لا يقع لانه لا يصح أن يفعله .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وقالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) كيف يصح الضعف في العقاب وليس العقاب مما يصح فيه الزيادة فان الزيادة عليه ظلم وجوابنا أنهم أرادوا الدعاء عليهم بمزيد العقاب فليس من يضل ولا يضل

ولا يقتدى به بمنزلة من يضل ويضل ومعنى قوله تعالى (قال لكل ضعف) أنه لا أحد منهم الا و يستحق من العقاب زيادات على قدر معاصيه إما فى الوقت أو فى الأوقات

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) كيف يصح ذلك والجنة ما خلقت بعد ولا دخلوها ولا دخلوا النار. وجوابنا أن التقدير فى ذلك أنه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ أنى سأكلف الناس فمن أطاع منهم أدخله الجنة ومن عصى أدخله النار فعند ذلك ينادى أهل الجنة أهل النار و ينادى أهل النار أهل الجنة وليس كل ما كتب فى اللوح المحفوظ ينزله تعالى الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) كيف يصح والنسيان على الله تعالى لا يصح • وجوابنا أن المراد فاليوم لا نجازيهم بالحسنى كما لم يحسنوا بالطاعة وأهل اللغة يستعملون النسيان بمعنى الترك وحقيقته ما ذكرناه • وفى قوله (لقاء يومهم هذا) دلالة على أن كل آية ذكر الله تعالى فيها اللقاء وذكر نفسه أراد به غيره من اليوم او الثواب أو غيرهما •

•(مسألة •) وربما قيل فى قوله تعالى (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) كيف يصح ذلك وأبواب السماء لا تفتح لغيرهم أيضاً. وجوابنا أن المراد لا تفتح لصحفهم التى فيها أعمالهم كما قال تعالى (ان كتاب الفجار لفى سجين) وان كتاب الابرار لفى عليين وتخصيصهم بالذكر لا يمنع من كون الفساق بمنزلتهم وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وهو على وجه التبعيد يحقق أن دخولهم الجنة لا يقع وقوله من بعد (وكذلك نجزى المجرمين) يدل على ان الفاسق بمنزلتهم وذلك اذا مات على فسقه •

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) مافائدة هذا السؤال فى الآخرة وكلهم يعرفون ذلك • وجوابنا أنهم قالوه على وجه التوبيخ لهم لا على طريق المسئلة والتعرف وقوله (نعم) كالاعتراف بتقصيرهم فى الدنيا وأنهم أهل الانكار والتوبيخ ولذلك قال بعده (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا) .

(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) كيف يصح وصفهم بذلك لانه ان أراد أصحاب الأعراف فهم عالمون ولا يوصف العالم بأنه يدخل الجنة انه طامع وان أريد أهل النار فهم عالمون بدخول النار فكيف يطمعون فى ذلك . وجوابنا أن المراد به أصحاب الأعراف و يوصفون بالطمع وان كانوا من أهل الجنة تحقيقا لذلك ولأنهم لا يعرفون وقت دخول الجنة فى حال شهاداتهم للناس وعليهم .

•(مسألة)• وربما سأل الحشو عن قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) ان ذلك يدل على أمر الله تعالى فى القرآن ليس بخلق ولا مخلوق . وجوابنا أن المراد أن له الخلق والأمر من نفس الخلق فهو الذى يبقيه أو يفنيه و يتصرف فيه كيف يشاء فلا يدل أفراده بالذكر على صحة ما قالوه من أنه لم يدخل الامر تحته كقوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) والاحسان من العدل وذلك كثير فى الكلام •

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) كيف يصح ذلك ومعلوم أن الذى خبث أيضاً من البلاد لا يخرج نباته الا

باذن الله ۰ وجوابنـا ان المراد بذلك يخرج نباته موافقا المراد والنفع لا نكدا ونبه جل وعز على ذلك بقوله (والذى خبث لايخرج الا نكدا) وذلك نقصان في الخروج و بيان النفع به لا يكاد يقع وذلك مثل من الله تعالى لمن يعمل العمل الصالح وخلافه ثم ذكر تعالى قصص الانبياء وأنهم دعوا الأمم الى معرفة الله تعالى وخوّفوهم عذابه وأن نوحا صلى الله عليه وسلم قال لقومه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان لم تعبدوه وانهم قالوا له إنك فى ضلال مبين وأنه قال لهم (ليس بى ضـلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون) وهذه الجملة يعرف بها رفق الانبياء وحسن دعائهم الى الدين وانهم بدؤا بالدعاء الى معرفة الله وعبادته وأنهم نزهوا أنفسهم عن الطمع في هذه الحياة وفيها اذا تأملها المرء ما يعتبر به و يعرف آداب الأنبياء صلى الله عليهم وسلم في الدعاء الى الدين وصبرهم على ما نالهم من الامم فيقتدى بهم .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى فى قصة صالح (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) ثم قال (فتولى عنهم وقال ياقوم لقـد أبلغتكم رسالة ربى) كيف يجوز أن يقول لهم ذلك وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم ۰ وجوابنا أن في ذلك تقديماً وتأخيراً ومثل ذلك يكثر فى الكلام .

«(مسألة)» وربما قيـل فى قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ثم قال تعالى (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة) كيف يصح ذلك ومعلوم أنه لغير المؤمنين أيضاً وجوابنا أنه أراد بقوله (التى أخرج لعباده) قد نبه على أن ذلك لكل العباد فمراده أخيراً هو أنها للمؤمنين فى الحال وفى العاقبة ولذلك قال (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصـة يوم القيامة) فان من نال شهوته عاجلا وعاقبته النار لا يعد ما ناله نعمة عليه وقيل

ان المراد بذلك ما حرموه من البحيرة والسائبة فبين انها من الطيبات للمؤمنين من حيث عرفوا أنها من رزق الله تعالى .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) وذلك كالمدح لهم وكيف يصح ذلك في الكفار ۰ وجوابنـا أن المراد ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور في الكتاب . وقيل ينالهم نصيبهم من نعم الدنيا وقوله تعالى من بعـد (أينما كنتم تدعون من دون الله) عند معاينة العذاب يدل على ما قلنا لأنه بين به أنما كانوا يعبدونه لاينفعهم عند نزول العذاب بهم

(مسألة) وربما قيـل في قوله تعالى (قال الملأ الذين استكبروا من قومـه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا) أليس هذا يدل على أن ملتهم كان عليها شعيب من قبل وذلك كفر لايجوز على الانبياء ۰ وجوابنا قـد يقال عاد في كذا اذا ابتدأه كما يقال أن زيداً عاد الى ما يكرهـه أو يحبه وان كان من قبل لم يفعل ذلك وقد صح أن الكفر والكبائر لا يجوزان على الانبياء صلى الله عليهم وسلم فالمراد اذاً أو لتدخلن في ملتنا على وجه التهديد قالوه لشعيب فـكان جوابه صلى الله عليه وسلم (قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) أليس يدل ذلك على تجويز أن يشاء الله عود شعيب الى ملتهم مع انها كفر ۰ وجوابنا أن المراد بذلك التبعيد فعلقه بالمشيئة التى يعلم أنها لا تكون كقوله تعالى (ولا يدخلون الجنـة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ويحتمل أنه أراد الملة التى هى الشرائع ويجوز أن يعبد الله بمثلها بعد النهى عنه على وجه النسخ

« مسألة » وربما قيـل في قوله تعالى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) كيف

ذلك من موسى صلى الله عليه وسلم مع علمه بأنه لايؤخذ بذنب غيره . وجوابنا أنهم سألوه رؤية الله تعالى ولم يقنعوا بما يكون من قبل الله تعالى فلما سأل صلى الله عليه وسلم بقوله (أرنى أنظر اليك) لقومه لا لنفسه قال تعالى (لن ترانى) وأكد ذلك بقوله (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) فشرط استقراره فلمالم يستقر بأن جعله دكا عند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم (وخر موسى صعقا فلما أفاق) قال هذا القول توبيخاً لقومه لان الله عز وجل أخذه بذنب غيره ولذلك قال (ان هى إلا فتنتك) يعنى شدة التكليف وقد كان سأل الله الرؤية لقومه ولم يأذن جل وعز له فى ذلك والانبياء صلى الله عليهم وسلم لا يسألون ربهم ما يرغبون الا بعد الاذن فعلى هذا الوجه قال ما قال .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ) ثم قال (فسأكتبها للذين يتقون) و بعض ذلك يخالف بعضاً . وجوابنا أن المراد بذلك الرحمة الخاصة التى هى الثواب وما تقدم وما تأخر يدل على ذلك لأنه قال من قبل (قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى) فقرنها الى العذاب وقال بعده (فسأكتبها للذين يتقون) ثم وصفهم بالوصف العظيم وإنما قال (وسعت كل شئ) أنها لو قدرت لكل واحد لوسعته أو قاله أيضاً على وجه التكثير والمبالغة

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) أليس ذلك كالمدح لليهود . وجوابنا أنه مدح من كان على ملته فى أيام حياته لأن تكذيبهم بعيسى ومحمد حدث من بعده . ويحتمل أنه مدح القوم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل)

كيف يصح ذلك وقد آمن بعضهم . فجوابنا أن ذلك خبر عن قوم مخصوصين بين ذلك بقوله تعالى من قبل (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) واذا كان خبراعن قوم لم يصح هذا الالزام .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً) كيف يصح أن يمنع من الوعظ والدعاء الى الخير . وجوابنا أن المراد بذلك اليأس من صلاحهم وتعريف القوم أن الوعظ لا يؤثر فيهم اوعلى وجه التوبيخ للقوم لانه منع من الوعظ وكيف يكون منعا . وجوابهم (قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) بين أنهم وعظوا لتجويز التقوى .

٥(مسألة)٥ وربما سألوا عن قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) كيف يصح أن يتجلى وليس بجسم وما فائدة تجليه للجبل . وجوابنا أن المراد بهذا التجلى الاظهار وذكر الله الجبل وأراد أهله فكأنه قال فلما بين لأهل الجبل أنه لايرى بأن جعله دكا حصل المراد فيما سألوا وهذا كقوله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض) وأراد على أهلها وكل ذلك بمنزلة قوله (واسئل القرية) وأراد أهلها .

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) كيف يصح أن يصرفهم عن آياته وأدلته . وجوابنا أن المراد سأصرفهم عن الآيات الزائدة التى يفعلها تعالى لمن المعلوم أن ينتفع بذلك و يؤمن عنده ولذلك قال (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) وهو كقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) فيزيده هدى لأنه ينتفع بذلك دون من لم يهتد وان كان الكل سواء فى اقامة الحجة .

٥(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) أليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى والضلال • وجوابنا أن المراد ومن يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدى فى الدنيا ومن يضلل عن الثواب الى العقاب (فأولئك هم الخاسرون) فى الدنيا وسبيل ذلك أن يكون بعثا من الله تعالى على الطاعة وكذلك قوله تعالى (ومن يضلل فلا هادى له) المراد من يضلله عن الثواب فى الآخرة ولا هادى له اليه ومعنى قوله (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) انا نخلى بينهم وبين ذلك وان كنا قد أزحنا العلة وسهلنا السبيل الى الطاعة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وفى الخبر ان جميع بنى آدم أخذ عليهم المواثيق من ظهر آدم صلى الله عليه وسلم كيف يصح ذلك . وجوابنا أن القوم يخطئون فى الرواية فمن المحال أن يأخذ عليهم المواثيق وهم كالذر لا حياة لهم ولا عقل فالمراد انه أخذ الميثاق من العقلاء بأن أودع فى عقلهم ما ألزمهم اذ فائدة الميثاق أن يكون منبها وان يذكر المرء بالدنيا والآخرة وذلك لا يصح الا فى العقلاء، وظاهر الآية بخلاف قولهم لأنه تعالى أخذ من ظهور بنى آدم لا من آدم والمراد أنه أخرج من ظهورهم ذرية أكمل عقولهم فأخذ الميثاق عليهم وأشهدهم على أنفسهم بما أودعه عقلهم .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) كيف يصح فيمن يؤتيه الله تعالى من الآيات والنبوة أن ينسلخ من ذلك . وجوابنا أن ذلك لا يصح فى الانبياء والمراد من آتاه الله العلم بالادلة وفضله بذلك ثم انسلخ منه وذلك مما يصح وهذه طريقة كثير من المضلين عن دينه

فى المسألتين المتشاكلتين فى ذلك • ويحتمل ان المراد آتيناه آياتنا فأعرض عن النظر فيها فصار منسلخاً عنها لانه قيل ثم انسلخ .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو) ثم قوله (يسئلونك كأنك حفى عنها) تكرار ذلك ما فائدته . وجوابنا ان فى الاول سألوا عن وقت الساعة فبين أن يحكم بأن علم ذلك عنده به تعالى وان الصلاح أن لا يبين ذلك ليكون العبد الى الخوف أقرب وأراد بقوله ثانيا يسئلونك كأنك حفى عنها المسئلة عن نفس الساعة فقد كان عالما بها فى الجملة فليس فى ذلك تكرار .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) كيف يصح ذلك مع كونهم صالحين وأنبياء وكيف التأويل فى ذلك • وجوابنا ان معنى قوله فلما آتاهما صالحا البنية الصحيحة فى الاولاد ولا يمتنع فى الصالح أن يكون كذلك ويقع منه الكفر والشرك وليس فى الظاهر ان ذلك وقع من آدم وحواء وانما المراد وقوع ذلك من الذكر والانثى من الذرية فهو معنى قوله (جعلا له شركاء) .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) كيف يقول صلى الله عليه وسلم ذلك مع زهده فى الدنيا وهى له معرضة وجوابنا ان المراد لو كنت أعلم الغيب وقت خروجى من الدنيا لاستكثرت من الخير والطاعة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يعرف قدر أجله ولو عرف لزاد فى الطاعات وليس المراد لاستكثرت من الخير فيما يتصل بلذات الدنيا وقد يحتمل لاستكثرت من الخير فى دفع المضار عن نفسى والمؤمنين من أصحابى

ولذلك قال بعده (وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون) •

ه(مسألة)ه وربما سألوا عن قول الله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها) على وجه المحاجة لمن يعبد الاصنام كيف يصح ذلك والمعبود الذى هو الاله لا يوصف بهذه الصفات أيضاً . وجوابنا أن فقد هذه الاعضاء والحواس نقص فى الاجسام ووجودها فضيلة فى الأحياء فصح أن يحاجهم بذلك واستحالة ذلك على الله تعالى هو الذى يوجب صحة الالهية لانها لو جازت عليه لكان محدثا فكيف يصح ما سألوا عنه .

ه(مسألة)ه ورب ما سألوا فى قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) كيف يصح أن يأمر بالمعروف والجهاد والاعراض عن الجاهلين واجتماع ذلك لا يصح . وجوابنا أن المراد أن يأمرهم بالمعروف ويقيم عليهم الحجة فانهم ردوا ذلك فتجاهلوا أعرض عنهم وذلك لا يتنافى ومعنى قوله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) التحرز من وسوسة الشيطان لان الشيطان لا يتمكن من الرسول صلى الله عليه وسلم وربما كان الخطاب بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره •

﴿ سورة الأنفال ﴾

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) كيف يتعلق الانفال بالتقوى واصلاح ذات البين • وجوابنا ان الانفال التى ملكها الله تعالى الرسول وأمره بوضعها فى حقها يحتاج فيها الى أن يتقوا الله والى أن يصلحوا ذات بينهم فيعدلوا عن الميل والحيف وأن يطيعوا الله ورسوله فى الرضا بما يأتيه ومفارقة السخط وذلك نهاية

فى الاحكام ثم وصف تعالى المؤمنين بما قال (ان كنتم مؤمنين) فقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم) فجعل من وصف المؤمن انه عند ذكر ربه يوجل قلبه فيخاف من تقصير فى عبادته و يرجو وعند ذلك يصير المرء وجل القلب وعند تلاوة القرآن يزداد إيمانا بالعلم به والعمل و يتوكل على ربه فيما يحصل له من الدنيا وفيما يكسبه من المال فيطلبه بالوجه المباح ولا يجزع اذا لم ينله بل يسير على الحال فلا يتعداه فيحصل متوكلا وليس التوكل الكسل كما ظنه بعضهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا» فجعلها متوكلة وان طلبت وجعل من صفتهم اقامة الصلاة والانفاق مما رزقوا وذلك يدل على أن الرزق لا يكون محرما لان الانفاق من المحرم ليس من صفات المؤمنين وكل ذلك يدل على أن الايمان قول وعمل و يدخل فيه كل هذه الطاعات وأن المؤمن لا يكون مؤمنا الا بأن يقوم بحق العبادات ومتى وقعت منه كبيرة خرج من أن يكون مؤمنا .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) هو كلام مبتدأ به غير تام لانه لم يتقدم ولم يتأخر عنه ما يشبهه به . وجوابنا ان هذا الجنس من الحذف ربما يعد فى كمال الفصاحة فبشر الله نبيه بالنصرة التامة وجميل العاقبة يوم بدر كما سهل له الخروج من بيته من غير قصد الى الحرب فهذا هو المراد ولذلك قال (و إن فريقا من المؤمنين لكارهون) والمراد ثقل الخروج عليهم وقوة المشقة لأنهم كرهوا الخروج معه صلى الله عليه وسلم . ومعنى قوله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت) انهم يراجعونك التبيين

لأنهم مخالفون ثم بين عظم المشقة بهذا الكلام ولم يكن القوم ألفوا الجهاد فان ذلك كان مبدأ الامر بالقتال فبين تعالى ان ذلك يؤديهم الى الخيرات من الغنائم وغيرها .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يريد الله أن يحق الحق بكلماته) مامعنى ذلك والحق لا يخفى فى نفسه . وجوابنا تحقيق ما وعدكم به من النصرة والغنائم

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) كيف وقع هذا التثبيت من الملائكة للمؤمنين • وجوابنا انه يحتمل أنهم عرفوا الرسول والرسول عرف المؤمنين تقوية قلوبهم ويحتمل انهم ألقوا ذلك الى المؤمنين بالخواطر .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) كيف يصح ذلك مع القول بأن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد . وجوابنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يرمى يوم بدر والله تعالى بلغ برميته المقاتل فلذلك أضافه تعالى الى نفسه كما أضاف الرمية أولا اليه بقوله اذ رميت والكلام متفق بحمد الله •

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم) كيف يصح أن يضم الصم البكم الى الذين لا يعقلون . وجوابنا أنه تعالى ذكر قبله (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) فذمهم على ترك القبول ثم شبههم بالصم البكم على طريقة اللغة فى مبالغة ذم من لا يقبل الحق فربما قيل فيه انه ميت كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (انك لا تسمع الموتى) ولذلك قال بعده (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) يعنى القبول ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فذمهم نهاية الذم وقوله تعالى من بعد (يا أيها الذين

آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وهو بعث من الله تعالى على الجهاد فكما ذم من قعد عنه ولم يطع الرسول كذلك مدح من قام بحقه وأراد بقوله (اذا دعاكم لما يحييكم) أن الجهاد يؤدى الى حياتهم من حيث لولاه لقتلهم الكفار فهو كقوله (ولكم فى القصاص حياة) ويحتمل اذا دعاكم للامر الذى يؤدى الى حياة الابد وهو الثواب •

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) بالاماتة وبغير ذلك فبعث على الجهاد قبل أن يرد عليهم ما يمنع من ذلك من موت أو غيره .

(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) كيف يصح ذلك والمضار على الله تعالى لا تجوز . وجوابنا أن الله تعالى ذكر نفسه وأراد غيره على مثال قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) لانه قد ثبت أن خيانة الكافر للغير إنما تكون بارادة السوء والمضار وذلك لا يجوز على الله تعالى وكذلك قوله تعالى (وتخونوا أماناتكم) لكنه من المجاز الحسن الموقع لأن الامانة لا تسلم اذا تخللها الخيانة .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم أن لا يعذبهم الله) كيف يصح أن ينفى ذلك أولا ثم يثبته آخرا • وجوابنا أنه تعالى نفى ذلك بشرط وأثبته مع فقد ذلك الشرط وذلك متفق وقد قيل انه نفى بالاول عذاب الاستئصال وأثبت ثانيا عذاب الآخرة .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أليس ذلك يدل على أن كل فعل يقع بقضاء الله . وجوابنا ان الآية نزلت فى وقعة

بدر وانه اتفق لهم مالم يظنوه من الجهاد والظفر وذلك لا شبهة في أنه من قضاء الله كقوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) وقد يقال فى كل مفعول انه من قضاء الله على وجه الاعلام والاخبار إما مجملا وإما مفصلا وقوله تعالى من بعد (ليهلك من هلك عن بينة) يدل على أن العبد الفاعل المختار وأنه بعد البينة اختار ما يؤديه الى الهلاك ولو كان الله تعالى هو الخالق لذلك فيه لكان وجود البينة كعدمها .

(مسألة) ورىما قيل فى قوله تعالى (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) قد أضاف موافقة بعضهم لبعض الى نفسه وذلك بخلاف قولكم . وجوابنا ان الاسباب التى بها يؤتلف كانت من قبله تعالى فأضاف اليه الائتلاف وهذا كما تضيف الى الله تعالى الرزق وان كان المرء يسعى فى الاكتساب وأراد تعالى اعظام المنة على رسوله صلى الله عليه وسلم بما سهله من تألف القوم على طاعته وموافقته مع الذى كانوا عليه من المباينة الشديدة ومن الانفة والحمية .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا) كيف يصح أن يضيف ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو منزه عن الرغبة فى الدنيا ولا يريد الا ما أراده الله تعالى . وجوابنا انه لم يضف ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الحقيقة حتى يلزم ما ذكرته وانما نسبه الى غيره ممن كان بغيته الغنائم وقد يصح أيضاً من الانبياء ارادة عرض الدنيا من المباحات وان كان تعالى يريد العبادات ومعنى قوله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) فالمراد ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ من كون ما وقع من باب الصغائر المغفورة

وقيل لولا كتاب سبق نزوله ما أحدثتموه من الاسرى والكتاب هو القرآن فآمنتم به واستحققتم بالايمان غفران صغائر ذنوبكم لمسكم فيما أخذتم من الامر عذاب عظيم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) أليس يدل ذلك على حدوث علم من الله تعالى . وجوابنا انه تعالى يذكر العلم ويريد المعلوم من حيث صح أن معلوم العلم يكون على ما تناوله وعلى هذا الوجه يمدح أحدنا صاحبه ويقول قد علمت ما أنت عليه من الخير والفضل وذلك كثير فى القرآن .

(سورة براءة)

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) ثم قوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) وانسلاخها بانقضاء المحرم وذلك ينقض الاول . وجوابنا انه كان فى الكفار من له عهد ومن لا عهد له ومن له عهد يختلف عهده فقوله تعالى (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) هو لمن هذا عهده وقوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) هو لمن لا عهد له أو لمن ينقضى عهده بانقضاء هذه المدة فلا اختلاف بين الكلامين .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله) كيف يتولون . وجوابنا ان هذه اللفظة تفيد التهديد والمراد أنه تعالى قادر على انزال العقوبة فلم لا يجوز عليه المنع وما أكثر ما يرد في القرآن هذا اللفظ على هذا الوجه .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا

الذين عاهدتم من المشركين) كيف يصح أن يستثنيهم لمكان العهد وذلك لا ينجيهم من العذاب الاليم . وجوابنا ان قوله و بشر الذين كفروا يوهم أن الاقدام على كل كافر بالقتل يجوز فأزال الله تعالى هذا الايهام بقوله(الا الذين عاهدتم) والمراد لكن الذين عاهدتم من المشركين فليس لكم اذا وفوا الا الوفاء لهم ومعنى قوله تعالى من بعد ان الله يحب المتقين ان الوفاء بالعهد يحبه الله وهو من باب التقوى .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) كيف يستقيم تشبيه سقاية الحاج بمن آمن بالله . وجوابنا أن المراد أجعلتم القيم بسقاية الحاج كمن آمن بالله أو يكون أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن بالله ومثل هذا الحذف يحسن فى اللغة اذا كان الثابت فى الكلام يدل على المحذوف .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ثم قوله (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) كيف يصح فيمن يكفر بالله تعالى أن يسوغ له الكفر ببذل الجزية . وجوابنا ان قتلهم لأجل كفرهم وهو شرعى لا عقلى ويجوز أن يكون الصلاح فى ذلك مالم يعطوا الجزية فاذا أعطوا حرم قتلهم وربما يكون فى ذلك هدايتهم للاسلام اذا أقروا ثم سمعوا الشرائع وقد قيل ان قتلهم على الشرك لو لم يجز تركه لأدّى الى الاكراه وقد قال تعالى (لا إكراه فى الدين) فان قيل فأنتم متى قلتم ذلك فان فى الكفار من لا يرضى منه الا بالقتل فيجب أن يكون مكرها على الاسلام . وجوابنا انه لا كافر الا وقد يجوز أن يتخلص ببعض الوجوه وان كان مقيما على الكفر فلا يلزم ذلك

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك

قولهم بأفواههم) ما فائدة وصف قولهم بذلك وكل الاقوال هذا سبيلها . وجوابنا ان المراد به ان هذا القول لا حقيقة له لانه قد يوصف مالا حاصل له من الاقوال بذلك وقد يقبل أحدنا على من يتكلم بما لا يصح فيقول هذا قولك بلسانك ولا تقوله عن قلبك ويراد به ما ذكرنا ولذلك قال بعده (يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) فبين ان ذلك من الافك الذى لا حاصل تحته .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) كيف يصح ذلك وليس فيهم من يتخذ أحبارهم أربابا وانما يقول بعضهم ذلك فى عيسى فقط . وجوابنا ان المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى معناه انهم لما أطيعوا فيما أمروا به ونهوا عنه وصفوا بأنهم اتخذوا أربابا وذلك صحيح فيهم وعلى هذا الوجه يوصف مالك العبد بأنه ربه اذا أطاعه فالأمر مستقيم وبين تعالى بعده بقوله(وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) ان الطاعة والعبادة لا تحق الا لله وكل من يطيع غيره فانما يطيعه بأمر الله فتكون طاعته طاعة لله ثم قال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) فوصف باطلهم بهذا الوصف وقال تعالى (ويأبى الله الا أن يتم نوره)فوصف الحق بهذا الوصف لصحته وبيانه ثم أردف ذلك بقوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فبين ان الذى يؤديه صلى الله عليه وسلم هو الدين الحق ووصفه بأنه يظهره على الدين كله تحقيقا لقوله جل وعز (ويأبى الله الا أن يتم نوره) ثم بين ما عليه الأحبار والرهبان بقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) فبين أن طاعتهم محرمة الا من أمر الله بذلك فيه

على ما قلنا ثم أتبعه بالوعيد العظيم لمن امتنع عن الزكاة بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) وا كثر المفسرين على أن المراد به مانع الزكاة و بين أن الأموال التى منعت منها الزكاة (يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وذلك من أعظم الوعيد

﴿مسألة﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) كيف خصها بالنهى عن الظلم وحال جميع الشهور سواء فى ذلك . وجوابنا ان للاشهر الحرم التى هى رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة مزية فى أن الظلم فيها يكون أعظم كما أن لنفس الحرم مزية على الاماكن فى الظلم فلذلك خصه بالذكر ولا يمنع ذلك فيما عداه انه بمنزلته .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) كيف يصح ذلك وقد أمرهم بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجوابنا انه لما كان فى خروجهم مضرة على المسلمين لنفاقهم اذ كانوا يضمرون التخريب جاز أن يقول تعالى ذلك لان الصلاح فى صرفهم عن الخروج ولو خرجوا على الوجه الصحيح لما كره الله ذلك ولذلك قال تعالى بعده (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) وقال (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور) وكل ذلك يشهد بصحة ماذكرناه وبين تعالى بعد ذلك مايدل على أنه مع الفسق لايتقبل من المرء شئ من الطاعات فقال (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين) والتقبل لايصح الا في الطاعات فيدل ذلك على أن الفسق والكفر لايمنعان من وقوع الطاعة وان منعا من التقبل .

﴿مسألة﴾ وربما قيل كيف يصح قوله تعالى (ولاينفقون الاوهم كارهون) في

صفة المنافقين وفاعل الانفاق لايجوز أن يكون كارهاً له . وجوابنا ان المراد أنهم يكرهون ذلك الانفاق على الوجه الذى أمروا وانما ينفقون خوفا ولا يمتنع ان يراد الشئ على وجه ويكره على وجه آخر كما يراد من الغير ان يصلى لله ويكره منه أن يصلى على وجه الرياء والسمعة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتذهق أنفسهم وهم كارهون) كيف يصح ان يريد تعالى أن يعذبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا . وجوابنا ان تكثير الاموال والاولاد في الدنيا لايكون عقوبة لان الله تعالى يفعله تفضلا أو مصلحة في الدين لكنهما لما جاز أن يكونا فتنة ومحنة وسبباً للعقوبة من حيث يغتر المرء بهما فينصرف عن طريق الطاعة الى خلافه جاز أن يقول تعالى ذلك بعثا للعباد عن هذا الجنس من الاغترار وهذا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويحتمل أن يريد أنه يعذبهم في الآخرة بها فيكون التعذيب متناولا الآخرة دون الدنيا .

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) كيف يصح أن يأمر الله تعالى ببذل المال تألفاً على الدين ومتى صاروا الى الدين للمال لم ينتفعوا به . وجوابنا ان ذلك وان كان في الحال لاينتفع به فقد يكون تلطفاً في الاستدراج اليه فيصير الواحد منهم بذلك من أهل الدين وقد أمرنا الله تعالى بأن نأخذ أولادنا بالصلاة لمثل هذا المعنى وان كانوا لاينتفعون بالصلاة وليسوا مكلفين . واختلف العلماء في المؤلفة هل يدخلون الآن في سهم من الزكاة فأكثرهم يمنع من ذلك لظهور الاسلام وقوته واستغنائه عن تألف قوم في الذب عنه والمجاهدة فيه ومن العلماء من يقول بل سهمهم ثابت ابدا واذا وجد من ليس يقوى على الايمان

ويظن أنه يصير من أهل القوة فيه اذا دفع ذلك اليه فيكون حاله كحال سهم في سبيل الله للذين يجاهدون .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل أذن خير لكم) كيف يصح أن يكون خيراً ومايسمع قد يكون الخير والشر والصواب والخطأ . وجوابنا انه تعالى قيد ذلك فقال بعده (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم) فبين انه اذن يقبل ماتكون هذه صفته وقبول الخير ومايؤدى الى الخير هوطريقة الصالحين .

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فذكرهما ثم وحد كيف ذلك . وجوابنا ان الواجب انلا يذكر تعالى مع غيره بل يجب أن يفرد بالذكر اعظاما وقد روى انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول الله ورسوله فقال الله ثم رسوله ولذلك قال الله تعالى بعد ذكر نفسه ورسوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فأفرد ذكره وقد أفرد الله ذكر جبريل وميكائيل عن الملائكة تفخيما لهما وتعظيما فما ذكرناه أحق وأولى .

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان المنافقين هم الفاسقون) كيف يصح ذلك وأكثر الفساق لايوصفون بالنفاق . وجوابنا انه تعالى بين في المنافقين انهم كذلك لأن جميع المنافقين هم فاسقون وانما كان يجب ذلك لوقال ان الفاسقين هم المنافقون

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (خالدين فيها هى حسبهم) كيف يصح ذلك في تعذيب المنافقين وانما يستعمل حسب في الخير ويستعمل في خلافه حسيب . وجوابنا ان المراد بذلك الزجر عن النفاق كما تزجر من ينهمك في شرب الخمر فتقول حسبك هذا الفعل فيكون على وجه الزجر لاعلى وجه الوصف ولذلك قال تعالى بعده (ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) ثم انه تعالى بعد ذكر قصة المنافقين ذكر

مايحقق عدله وحكمته فقال (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولو كان الظلم خلقا لله تعالى لكان هو الظالم دون أنفسهم ثم ذكر بعده جل وعز طريقة المؤمنين فقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) فوقف رحمته تعالى على من هذه صفته وبين انها صفة المؤمنين وان من ليس هو كذلك لايمدح بالايمان وبين انه وعدهم جنات عدن على ماوصف ووعدهم برضوان من الله وان ذلك من باب الانعام الاكبر والاعظم . وبين ان ذلك هو الفوز العظيم لان من أوتى ذلك فقد أدرك نهاية المطلوب .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) كيف يصح ذلك ومن حكم المنافقين ان لايجاهدوا وان يجروا مجرى المؤمنين في أحكام الدنيا . وجوابنا ان النفاق مادام مكتوما فحاله ماوصفه فأما اذا ظهر فحال المنافقين في المجاهدة كحال الكفار وانما ذكر تعالى ذلك عند ظهور نفاقهم على ماتقدم ذكره ولو صح ماذكرنه لحملنا مجاهدة المنافقين على غير الوجه الذى نحمل عليه مجاهدة الكفار ولذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك (وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم) وقال بعده (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) فنبه بذلك على ظهور النفاق .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف قال تعالي في وصفهم (وكفروا بعد اسلامهم) وكانوا لم يزالوا على النفاق . وجوابنا أن المراد أظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وذلك دلالة على ماقلنا من أن نفاقهم ظهر فأوجب الله تعالي فيهم ما تقدم ذكره ولذلك قال تعالي بعده (وهموا بمالم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله

من فضله) ثم قال تعالي بعده (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) فنبه بذلك على عظم الذم في نقض العهد والمواثيق وأن من نقضه يكون أعظم حالا ممن ابتدأ بذلك

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل ما معنى قوله جل وعز (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه) فأضاف نفاقهم الي نفسه وأنه أدامه فيهم كيف يصح ذلك مع حكمته وجوابنا أنه تعالي لما خلاهم ونفاقهم ولم يلطف بهم من حيث كان المعلوم أنه لا لطف لهم لتقدم النفاق فيهم جاز أن يضيف ذلك الي نفسه وذلك قوله (انا أرسلنا الشياطين) والمراد به التخلية ولذلك قال تعالي بعده (بما أخلفوا الله ما وعدوه) فبين أن المراد هو ذلك لا أنه خلق فيهم النفاق وقال تعالي بعده (وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) وكل ذلك لا يليق الا بزجرهم عن النفاق ولو كان هو الخالق لذلك فيهم لما صح ولذلك قال تعالي بعده (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فبين أن استغفاره لا يؤثر وكذلك سائر الالطاف (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) لان تقدم ايمانهم صير ما يفعله لطفا لهم فاذا لم يتقدم حرموا أنفسهم ذلك وخرجوا بسوء اختيارهم عن ان يتأتى فيهم اللطف فيكون ذلك كالجناية منهم على أنفسهم وهو معنى قوله تعالي (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ويقال ان المعاصي اذا اجتمعت وكثرت بلغ القلب في القسوة ما لا تؤثر فيه الالطاف .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالي (الأعراب أشد كفراً ونفاقا) كيف يصح مع ذلك أن يقول (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) وذلك كالمتناقض . وجوابنا أن الكلام اذا اتصل دل آخره على أوله فالمراد بذلك

البعض ويحتمل أن يراد بالأعراب من امتنع عن المهاجرة فقد كان يقال مهاجر واعرابي وبين ذلك قوله تعالي (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) فميزهم من الأعراب الذين أرادهم بهذه الآية .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) ما فائدة ذلك والله تعالى يقبل التوبة ممن لم يعمل الا السيئات كما يقبلها ممن خلط الصالح بالسيء . وجوابنا أنه تعالى نبه بقوله (اعترفوا بذنوبهم) على وقوع التوبة منهم والندامة فلذلك خصهم بقبول التوبة لانه نفى قبول التوبة عن غيرهم ممن ذكره تعالى بقوله (وآخرون مرجون لامر الله) لان هؤلاء لم يتوبوا بل أصروا فلذلك قال تعالى (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) لانهم اذا بقوا فاما أن يصروا فالعذاب وإما أن يتوبوا فتوبتهم مقبولة .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) كيف يصح الأخذ من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ويفعل غيرهم لا يلحقهم المدح حتى يوصفوا بأنهم مطهرون مزكون وكيف يقول (وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) وجوابنا ان المراد بذلك من تاب وقبل الله توبته فبين أنه اذا أخذ منهم الصدقة فهذه حالهم وأمره بأن يدعو لهم بالرحمة والثواب وهي معنى قوله (وصل عليهم) ولذلك قال بعده (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) والمراد بهذا الاخذ القبول وذلك لا يليق الا بالمؤمن التائب الذي يسر ويرضى بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من أخذ الزكاة منه .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) كيف يصح من الرسول والمؤمنين أن يعلموا أعمالهم ولا سبيل الى

ذلك لا فيما بطن ولا فيما ظهر . وجوابنا أن المراد الاعمال الظاهرة التي يشهد الرسول بها ويشهد المؤمنون كما ذكره الله تعالى في الشهداء .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) كيف يدخل قتل الكفار لهم فيما به يستحقون المدح وذلك كفر منهم . وجوابنا ان قتل الكفار لهم يتضمن وقوع الصبر الشديد على الجهاد فيدل على هذه الطاعة العظيمة فلذلك ذكره تعالى وعلى هذا الوجه الذي ذكرناه يوصف المقتول في الجهاد بانه شهيد لما دل القتل له على ما ذكرناه ودل تعالى بقوله فيما بعد (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين) على ان المؤمن لا يتكامل كونه مؤمنا الا بهذه الخصال ونبه تعالى بقوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) على انهم مستحقون العقاب لا يجوز لنا أن نستغفر لهم ونترحم عليهم وانما يجوز ذلك في المؤمن الذي نقطع بايمانه أو تظهر منه دلالة ذلك ودل تعالى بقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) على انه تعالي يريد بالضلال المضاف اليه العقاب وما شاكله فلذلك قال « حتى يبين لهم ما يتقون » فنبه على ان اضلاله بالعقاب لا يكون الا بعد هذا البيان وأضاف الايمان والكفر الي السورة في قوله (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) الي آخر الآية على وجه المجاز لما كان الايمان منهم عند نزولها ولما كان الرجس والكفر من الكفار عند نزولها وذلك معلوم وهو كقوله تعالي (واسئل القرية) اذ معلوم لكل واحد ان المراد أهلها وزجر تعالي عباده بقوله « أولا يرون أنهم يفتنون في

كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون » فبين أنه لايدع بما ينزل بهم من الامراض والمصائب والمحن سترا يحجبهم عن الطاعة والتوبة وهم مع ذلك غافلون وذلك زجر عظيم عن الاعراض وترك التوبة .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالي « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » ان ذلك يدل على أنه جل وعز يصرفهم عن الطاعة فما تأويل ذلك . وجوابنا أن المراد ثم انصرفوا بترك الطاعة والتوبة صرف الله قلوبهم أي عاقبهم على انصرافهم كما قال تعالي « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وقوله « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالي « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا » ان هذا كالنص في أنه تعالي خلق الكفر فيهم . وجوابنا أنهم كانوا يؤخرون الحج من شهر الي شهر فبين تعالي أنهم يضلون بذلك لأن الله تعالي يفعله فالاضلال منسوب اليهم لااليه تعالى .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالي « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم » ان ذلك يدل على أنه يمنعهم من الطاعة . وجوابنا ان كلامنا في الطبع وانه علامة كالختم وانه لايمنع من الايمان قد تقدم .

«(سورة يونس)»

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالي « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش » ان ذلك كالنص في أنه تعالي جسم يجوز عليه المكان . وجوابنا ان المراد بالاستواء الاستيلاء والاقتدار كما يقال استوى الخليفة على العراق وكما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ❊ من غير سيف ودم مهراق

وقد ثبت بدليل العقل أن ما يصح عليه الاستواء من الاجسام . ولا يكون الا محدثا مفعولا فلا بد من هـذا التأويل (فان قيل) فلماذا قال الله تعالى (ثم استوى) ومعـلوم أن اقتـداره لم يتجدد . وجوابنا ان ثم في اللفظ دخلت على الاستواء والمراد دخولها على التدبير وهو قوله (ثم استوى على العرش يدبر الامر) والتدبير من الله تعالى حادث ◦ ومتى قيل فلماذا خص العرش بالذكر وهو مقتدر على كل شئ . فجوابنا لعظم العرش وهذا كقوله تعالى (رب السموات والارض) وان كان ربا لغيرهما ومعنى قوله بعد ذلك (اليه مرجعكم جميعاً) ان مرجع الخلق اليه حيث لا مالك سواه كما يقال رجع أمرنا الى الخليفة اذا كان هو الناظر في أمرهم وليس المراد بذلك المكان.

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا) ان ذلك يدل على جواز لقائه بالرؤية والمشاهدة ◦ وجوابنا ان المراد لا يرجون لقاء ثوابنا واكرامنا ولا يرجون المجازاة على ما يكون في الدنيا وهذا كقوله (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) وكقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . وبعد فقد يقال لقي فلان فلانا وان لم يره وقد يوصف بذلك الضرير اذا حضر غيره وقد يرى الرجل غيره من بعد ولا يقال لقيه فليس معنى اللقاء الرؤية ولذلك قال تعالى بعد (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) فنبه بذلك على أن المراد انهم لا يؤمنون بيوم القيامة وقوله تعالى بعد ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار) يدل على أن الهدى هو الثواب فيكون حجة على ما تأول عليه وربما قيل في قوله تعالى «فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم» ان ذلك يدل على ارادته لذلك وجوابنا ان المراد نخلى بينهم و بين ذلك وان كنا لا نأمر ولا نريد الا الطاعة وهذا كقوله (انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم

أزا) والمراد التخلية وكما يقال ارسل فلان كلبه على من يدخل داره اذا لم يمنعه من الوثوب على الناس.

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ثم جعلنا كم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) أليس في ذلك دلالة على أنه تعالى لا يعلم الشئ حتى يكون وجوابنا أن المراد بذلك لننظر نفس العمل وهو تعالى يراه بعد وجوده وأما علمه فلم يزل ولا يزال .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) فعم ذلك ثم قال (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فخص . كيف يصح ذلك . وجوبنا أنه يدعو إلى دار السلام الكافة ومعنى قوله ويهدى من يشاء أى من قبل ما كلفه دون من لم يقبل . ويحتمل أن يراد بهذه الهداية نفس الثواب فيكون قد دعا كل الخلق وأثاب من آمن منهم .

◦(مسألة)◦ وربما قيل في قوله تعالى(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أليس المراد بها الرؤية على ما روى في الخبر . وجوابنا أن المراد بالزيادة التفضيل في الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهـذا مروى وهو الظاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الرؤية أعظم من كل الثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى ولذلك قال بعده (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) فبين أن الزيادة هي من هذا الجنس في الجنة .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) كيف يصح ذلك وكثير من الاحكام يعول فيها على الظن وجوابنا أنه تعالى ذكر ذلك في محاجة من يعبد الاصنام في قوله تعالى (هل من شركائكم من يهدى الي الحق) الي غير ذلك والظن في هـذا الحق لا يقبل

وانما يقبل الاجتهاد .

●(مسألة)● وربما قيل فى قوله تعالى (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم) ما الفائدة فى هذا الجواب . وجوابنا أنه لا يقول ذلك على وجه المحاج لكنه إذا أقام الحجة واستمروا على التكذيب صح أن يزجرهم بهذا القول وقد كان صلى الله عليه وسلم يغتم بمثل ذلك فكان ذلك تسلية من الله تعالى له وما بعده من قوله (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) وقوله (أفأنت تهدى العمى) كل ذلك يدل على أن المراد طريقة الزجر لهم ثم ذكر تعالى بعده بقوله (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ان الظلم من قبلهم ولم يؤتوا فيه إلا من جهة تقصيرهم وأنهم ممكنون من تركه والعدول عنه كما نقول في هذا الباب .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) كيف يجوز من موسى أن يسأل ربه ذلك وأن يعتقد أنه تعالى رزقهم لكى يضلوا . وجوابنا أن المراد أنعمت عليهم بهذه النعم فيروها سبباً لضلالتهم فمعنى قوله (ليضلوا عن سبيلك) أن عاقبتهم ذلك كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وأما قوله تعالى (ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) فهو دعاء عليهم وقد ضلوا ويجوز أن يدعى على من قد ضل وكفر بضروب العقاب ويجوز أنه يدعو عليهم بالاخترام والاماتة الذين معهما لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم فى الآخرة لانه من المعلوم أنه لا يؤمن أبداً كلما عجل اخترامه يكون عقابه أخف وبين تعالى بقوله (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه

لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل) ثم قال (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أن الايمان مع الالجاء لا ينفع وانما ينفع والمرء متمكن من اختيار الطاعة والمعصية وداعيه مترددة بين الامرين .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) كيف يصح فى العلم أن يكون سبباً للاختلاف والقول الباطل . وجوابنا أن المراد بذلك انهم اختلفوا وقد أقام الحجة وأوضح الطريق لهم على جهة الندم لهم ولذلك قال بعده (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) .

(مسألة) وربما قيل كيف يجوز أن يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) ومعلوم ان الشك فى ذلك لا يجوز عليه . وجوابنا انه تعالى ذكره والمراد من شك فى ذلك على وجه الزجر أو قال ذلك لاهل الكتاب الذين يجوز أن يسألهم غيرهم عما فى الكتب من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) أليس ذلك يدل على ان تقدم كلمه تعالى يمنع من الايمان . وجوابنا ان المراد ان من المعلوم انه لا يؤمن وقد سبقت الكتابة من الله تعالى بذلك فى اللوح المحفوظ لا يؤمن لكنه انما لا يؤمن اختياراً وكما سبق ذلك فى الكتاب فقد سبق فيه أيضاً انه يمكن من الايمان فيعدل عنه بسوء اختياره ولذلك قال تعالى (ولو جاءتهم كل آية) ولو كان ذلك يمنع من الايمان لم يكن فى مجىء الآيات فائدة وقوله تعالى من بعد (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس) دلالة على انه لم يشأ إيمانهم على وجه الاكراه مع قدرته على أن يكرههم عليه وانما سأل ذلك على وجه التطوع والاختيار لكى يفوزوا بما عرضوا له من

الثواب وقوله تعالى من بعد (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) بعد تقدم ذكر العقاب يدل على ان من ليس بمؤمن من الفساق والكفار لاينجيهم الله من العقاب .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف جاز أن يقول موسى للسحرة (ألقوا ما أنتم ملقون) وذلك معصية لايحسن الامر بها . وجوابنا انه قال لهم لا على وجه الامر لكن على وجه التعريف بأنهم مبطلون وان باطلهم ينكشف بما سيأتيه فهو قريب من تحدي الانبياء بالمعجزات .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل مافائدة قوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) والتنجية لاتكون الا بالبدن . وجوابنا ان المراد اننا ننجيك خاصة دون غيرك .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) كيف يفعل من ذلك مالم يغن عنهم شيئا . وجوابنا ان ذلك كالزجر من حيث ينصرفون عما فيه حظهم ويحتمل انه لايغني عنهم في الآخرة اذا عوقبوا من حيث تركوا القبول .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) كيف يجوز وقد سألوه أن يقتصر على الجواب واليمين دون الحجة . وجوابنا انه قد أقام الحجة وانما أرادوا منه الفتوى فأفتاهم وأكد ذلك باليمين .

(سورة هود)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) كيف يصح ذلك والتفصيل ليس بشيء غير الاحكام . وجوابنا ان الله تعالى كتب القرآن في اللوح المحفوظ ثم أنزله مفصلا الى الرسول لا جملة واحدة بحسب المصلحة

فهذا معنى قوله ثم قال (ثم فصلت من لدن حكيم خبير) لانه تعالى أمر بانزاله على هذا الحال من التفصيل بعد احكام الجميع وهذه الآية تدل على أن القرآن فعله تعالى من حيث وصفه بأنه أحكمه وذلك لايتأتى الا في الافعال ومن حيث وصفه بأنه فصلت آياته ومن حيث وصفه بأنه من لدن القديم تعالى وانما يقال ذلك في الافعال كما يقال ان هذه النعم من فضله و بين ماتقتضيه آيات الكتاب بقوله (أن لاتعبدوا إلا الله انني لكم منه نذير و بشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) فبين ماتضمنه الكتاب و بين حال التائب وانه يمتعه متاعا حسنا (ويؤت كل ذي فضل فضله) و بين حكم المصر بقوله (وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) ثم بين ان المرجع الى الله تعالى والمراد الى يوم لاحاكم ولامالك سواه وهو يوم القيامة و بين بقوله تعالى (ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها) تكفله بارزاق كل حي ٥ ومتى قيل فاذا تكفل بذلك فلماذا يلزمه السعي . فجوابنا أن تكفله هو على هذا الوجه لا على حد الابتداء كما ان تكفله برزق الولد هو على وجه المباشرة لا على وجه الابتداء و بين ان كل ذلك مكتوب في الكتاب المبين وفائدة كتابة ذلك في اللوح المحفوظ ان الملائكة تعتبر بذلك وتعرف قدرة الله تعالى وعلمه اذا وافق مايحدث من الامور ذلك المكتوب

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) ماالفائدة في خلقهما في هذه الايام وهو قادر على أن يخلقهما في لحظة واحدة . وجوابنا انه تعالى خلقهما في هذه المدة مصلحة للملائكة لكي يعتبروا بذلك كانه قادر على جمع كل رزق لنا في يوم واحد لكنه للمصلحة يفعله حالا بعد حال ولذلك قال تعالى بعده (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) و بين تعالى بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت انكارهم للاعادة و بين بقوله (ولئن أخرنا

عنهم العذاب) استعجالهم بما كان يخوف به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين آخرا بقوله (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) ان ذلك مؤخر لانه تعالى حليم لايعجل العقوبة ويمهل توقعا للتوبة وبين تعالى طريقة الانسان المذمومة بقوله (ولئن أذقنا الانسان منارحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عنى انه لفرح فخور) فبين أنهم عند الاحسان اليهم يفرحون فاذا نزع ذلك لمصلحة يوجد منهم كفر النعمة واذا أجزل النعم عليهم يسلكون طريقة الفخر والفرح دون الانقطاع الى الله وتعالى والتواضع له وذلك تأديب من الله تعالى فيما ينبغى أن يفعله المرء عند الغنى والفقر وفيما يكره منه ولذلك قال بعده (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) فاستثناهم من القوم .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدمنه) ماالفائدة في هذا الابتداء ولاخبرله . وجوابنا ان الخبر قد يحذف اذا كان كالمعلوم والمراد أفمن كان بهذا الوصف كمن هو يكفر ولا يسلك طريقة العبادة وماتوجبه البينة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (أولئك يعرضون على ربهم) أنه يدل على جواز المكان عليه لان العرض لايصح الاعلى هذا الوجه . وجوابنا أنهم لما عرضوا في الموضع الذى جعله الله تعالى مكانا للعرض صح ذلك ومعنى قوله تعالى من بعد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) انهم من حيث لم يقبلوا ولم ينتفعوا بما سمعوا ورأوا كانوا في حكم مالا يسمع ولا يبصر ولو أراد الحقيقة لما ذمهم من قبل بقوله (وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) أن ذلك يدل على أنه تعالى يريد الضلال . وجوابنا أن مراد نوح عليه السلام عند مخاطبة قومه بذلك انه ان كان تعالى يريد حرمانهم وخيبتهم من الفوز بالثواب وانزال العقاب فنصحه لا ينفع وذلك احالة على المعلوم من حالهم أورده على وجه الزجر لهم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) أليس فى ذلك دلالة على انه تعالى وعده تخليص ابنه مع القوم ثم لم يقع فكيف يصح ذلك . وجوابنا أنه تعالى قد كان وعد نجاة أهله وأراد من آمن منهم وظن نوح أن ابنه منهم ولذلك قال تعالى بعده (إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله) ان ذلك يدل على أن الطاعات من فعل الله تعالى . وجوابنا أن التوفيق من فعل الله تعالى فى الحقيقة وهو مايفعله مما يدعو العبد الى العبادة كخلق الولد والغنى وماشا كله فنحن نقول بالظاهر والقوم لا يمكنهم ذلك اذ قالوا إن الله تعالى يخلق أعمال العباد لأن خلقه ذلك مما يغنى عن اللطف والتوفيق والمعونة والهداية فكان ذلك على مذهبهم يجب أن لايصح .

(مسئلة) وربما قيل فى قوله تعالى (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض) أليس ذلك يدل على انقطاع العذاب من حيث وقته بدوام السموات والارض اللذين يفنيان وأنتم تقولون بالخلود فكيف يصح ذلك . وجوابنا ان للنار سماء وأرضا وكذلك الجنة ولا يفنيان فهذا هو المراد وقد قيل ان المراد بذلك تبعيد خروجهم فعلقه تعالى بما

يعد في العقول زواله على مذهب العرب فى مثل قول الشاعر .

اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القار كاللبن الحليب

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (إلا ما شاء ربك) ان ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود . وجوابنا أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة قبل دخول النار وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الاشقياء فقال (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) وقوله تعالى من بعد لرسوله صلى الله عليه وسلم (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) على وجه الزجر لغيره على نحو ما قدمناه من قبل .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) كيف يصح أن يوفيهم نفس العمل . وجوابنا أن المراد جزاء العمل من ثواب وعقاب وهو الذى يصح أن يفى به وعده .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) كيف يصح ذلك وقد أبيح لنا مخالطتهم . وجوابنا أن المراد الركون اليهم فيما يتصل بالمدح والاعظام ويجرى مجرى الموالاة ولم يرد ما يتصل بالمعاشرة ومعنى قوله من بعد (إن الحسنات يذهبن السيآت) ان التوبة تزيل عقاب المعاصى وكثرة الطاعات تكفر السيئآت ومعنى قوله تعالى (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) بالالجاء والاكراه لكنه انما شاء منهم ذلك على وجه الاختيار لكى يفوزوا بالثواب .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك

ولذلك خلقهم) أليس ذلك يدل على أنه خلقهم للاختلاف الذى فى جملته المعصية وذلك يدل على أنه تعالى مريد منهم ذلك . وجوابنا أن المراد للرحمة خلقهم لانه قال (الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فلذلك راجع الى الرحمة لا الى الاختلاف والرحمة من الله تعالى لا تكون الا بارادته فكأنه قال ولكن يرحمهم خلقهم وهو أقرب مذكور اليه وقد ثبت بالدليل أن الاختلاف الباطل لا يريده الله تعالى بل يكرهه أشد كراهة فقد نهى وزجر عن فعله .

(مسألة) وربما سألوا عن قوله تعالى (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) كيف يصح ذلك اذا لم يكن هو الخالق لتصرف الحيوان . والجواب عنه أن المراد أنه قادر على تصريفها كما يشاء والعرب تذكر ذلك على هذا المعنى فتقول ناصية فلان بيد فلان .

﴿ مسألة ﴾ وربما سألوا فى قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط) كيف يجوز منه وهو نبى أن يجادل الملائكة فى ذلك . وجوابنا أنه جادل ليعرف ما لأجله استحقوا العذاب وهو أحد الوجوه التى يجادل المجادل لاجلها .

﴿ سورة يوسف ﴾

أول ما نذكرفي هذه السورة أنها مشتملة من آداب الانبياء صلوات الله عليهم ومن آداب الاخلاق والتمسك بالصبر والحلم وتوقع الفرج بعد حين والتشدد في الصبر على المعاصى واحتمال المكاره على ما لو تأمله القارئ وتمسك بكله أو بعضه لعظم موقع ذلك فى دينه ودنياه فليتأمل القارئ أولا رؤيا يوسف للكواكب والشمس والقمر وان أباه صلى الله عليهما وسلم كيف تقدم بكتمان ذلك عن اخوته والصبر

في كتمان ذلك صعب فاحتمله تحرزاً من حسدهم • وليتأمل ثانيا كيف جاد به على اخوته لئلا يستوحشوا وظن السلامة مع خوفه منهم عليه حتى اقدموا على ماأقدموا • وليتأمل ثالثا أنه بعد ظهور ذلك منهم كيف احتملهم ولم يجازهم على مافعلوه بقطعهم واخراجهم عن محبته وعن النظر لهم • وليتأمل رابعاً صورة يوسف فيما وقع اليه من امرأة العزيز وكيف تشدد في الاحتراز عنها واحتمل لذلك الحبس الطويل حتى كانت عاقبة صبره ماحصل من اعتراف الكل بصيانته ووصوله الى الملك والبغية • وليتأمل خامساً مادفع اليه اخوته في تلك السنين الصعبة من التردد الى يوسف يطلبون من جهته القوت واحتمالهم لما عاملهم به • وليتأمل سادسا كيف صبر عليهم وكيف احتمل في تخليص أخيه الى حضرته واحتباسه عنده على مهل وقد كان يمكنه التعجل • وليتأمل سابعاً كيف حسنت معاملته مع اخوته حين ظفر بهم وقد كانوا عاملوه من قبل بما عاملوه به • وليتأمل ثامنا كيف توصل الى ازالة الغمة عن قلب أبيه وصبر الى أن ظفر بالوقت الذى أمكنه فيه احضاره عنده على أحسن الوجوه • وليتأمل تاسعاً كيف كان صبر يعقوب صلى الله عليه وسلم في بابه وفي باب غيبة أخيه وهو كالراجي لعودهما اليه واجتماعه معهما • وليتأمل عاشرا كيف قبل يوسف عذر اخوته وقد اعتذروا اليه مع تلك الجنايات العظام فكان جوابه (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) • وليتأمل حادى عشر كيف قبل يعقوب أيضاً عذرهم وزاد بان قال (سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) الى وجوه أخر تركنا ذكرها ثم أنه تعالى قال في آخر السورة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجماعة المكلفين (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) فنبه بذلك على وجوب التمسك بهذه الاخلاق والآداب وكذلك

قال تعالى في أول السورة (نحن نقص عليك أحسن القصص) لان النفع يعظم بذلك لمن تأمله وهذا معنى قوله (فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) لان من تدبر القرآن وتمسك باحكامه وآدابه وأخلاقه انفتح قلبه للخيرات دينا ودنيا فاذا قرأه من غير تدبر يصير قلبه كأن عليه قفلا لايتغير عما هو عليه فهذه المقدمة التى قدمناها في هذه السورة تنفع فيها وفي القرآن ثم نذكر مافيها من المتشابه على طريقتنا في هذا الكتاب .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى لرسوله (وان كنت من قبله لمن الغافلين) كيف يقول ذلك ولم يكن موصوفا من قبل بذلك • وجوابنا أن المراد من الغافلين عن هذه القصة وماشاكلها والافمعلوم من حاله صلى الله عليه وسلم التيقظ لكل مايتعلق بالدين

« مسألة » وربما قيل كيف قص يوسف رؤياه على يعقوب كأنه مصدق بها وكيف أمره أبوه بكتمان ذلك بقوله (لاتقصص رؤياك على اخوتك) كأنه عالم بصدق الرؤية مع أنها قد تخطئ وتصيب وكيف قال (فيكيدوا لك كيدا) فأخبر عن أمر مستقبل لايعرفه • وجوابنا أن مثل ذلك قد يعمل فيه بالظن فلا ينبغي أن لايفعل الا اليقين ويحتمل انه عرف من اخوته من قبل ما يوجب أن يأمره بالكتمان ومايعلم عنده أنهم لو وقفوا على هذه الرؤيا لكادوا له ولو كان مثل ذلك لا يصح الا مع العلم لقلنا إنه تعالى قد أوحى اليه اما جملة واما مفصلا

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك) أهو من قول يعقوب أومن قوله تعالى فان كان من قول يعقوب فكيف عرف ذلك . وجوابنا انه من قول يعقوب وقد كان الله أعلمه ذلك يبين ماقلناه قوله أخيرا

(ان ربك حكيم عليم) ٭ فان قيل فاذا عرف ذلك فكيف يجوز أن يغتم على ما ذكره الله تعالى فى الكتاب ويخفى عليه حال يوسف . وجوابنا انه قد عرف ذلك من جهة الله تعالى على شرط أن يبقى فلذلك كان خائفا .

٭(مسألة)٭ وربما قيل فى قوله تعالى (اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين) كيف يجوز ذلك منهم وهم أنبياء أو مرشحون للنبوة ٭ وجوابنا ان محل الولد من أبيه أن ينزله منزلة سائر أولاده فلا يقبح قولهم ان أبانا لفى ضلال مبين اذ مرادهم ذهابه عن انزالهم هذه المنزلة أيضا و بعد فلو قبح لكان ذلك قبل حال التكليف على مايدل عليه قوله تعالى (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) لان هذا القول لايليق الا بحال الصبى وفقد كمال العقل وقولهم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه) انما صح أيضا لان الحال حال الصبا وفقد كمال العقل فكذلك سائر مافعلوه بيوسف لما أرسله يعقوب معهم (فان قيل) كيف كانت الحال حال الصبا وقد قال تعالى بعده (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون) . وجوابنا انه يحتمل أن يكون بمنزلة قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) ويكون بطريقة الالهام أواظهار أمارة و يحتمل فى هذا الايحاء أن يكون الى يعقوب لتقدم ذكر يعقوب ٭

« مسألة » وربما قيل مامعنى قوله تعالى (فأكله الذئب) ومامعنى (وجاؤا على قميصه بدم كذب) فكيف يصح منهم الكذب ووصف الدم بالكذب ٭ وجوابنا انه يحتمل فى قولهم أكله الذئب انهم قالوه تعريضا لاخبرا على التحقيق ويحتمل أن يكونوا قد كذبوا لكنه وقع منهم فى حال الصبا فاما قوله (بدم كذب) فمن أحسن مايوجد فى مجاز الكلام فانهم صوروه بخلاف صورته فصار كالكذب و يحتمل أن يكون المراد بدم واقع من كاذب على معنى قوله

(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) أى أهلها وسكانها وقوله تعالى (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) يدل على ماقلناه من انه كان ذلك فى حال الصبا

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) أليس ذلك كان بعد البلوغ والنبوة فكيف يصح من الانبياء العزم على الزنا ٭ وجوابنا ان المراد بقوله (همت) العزيمة منها وبقوله (وهم) الرغبة والشهوة وان كان شديدا فى الانصراف عن ذلك وقد يقال هم فلان بكيت وكيت بمعنى اشتهى ويحتمل ماقيل انه هم بها لولا أن رأى برهان ربه فنفاه عنه بشرط قد وجد ولذلك قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وقال بعد ذلك بآيات حاكيا عنها انها قالت (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

٭(مسألة)٭ وربما قيل فى قوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) كيف يصح الحكم بمثل ذلك مع تجويز خلافه . وجوابنا انه لايمتنع فى شريعة ذلك الزمان الحكم بمثل ذلك وقد يجوز مثل ذلك فى شريعتنا أيضا فى أشياء كثيرة كالحكم بالقافة عند بعضهم وكالحاق الولد بالفراش عند جميعهم وكرد اللقطة بالعلامات عن بعضهم .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) كيف يصح ذلك من جماعة العقلاء حتى يتفق منهن قطع اليد عند مشاهدته ٭ وجوابنا ان حديث يوسف اذا كان قد تمكن فى قلبهن لما سمعن من خبر امرأة العزيز وشدة كلفها به لم يمتنع و بين أيديهن فاكهة ومعهن ذلك السكين أن يجرحن فى حال ارادتهن لقطع ذلك وأكله الى أن يقع منهن خطأ وليس فى القرآن ان ذلك القطع كيف كان وفى أى

موضع كان في اليد ولا في القرآن كم كان عدد النسوة ولافيه ان ذلك وقع من جميعهن أو من أكثرهن ومثل ذلك لايستنكر

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى في جواب منام الفتيين كيف يصح أن يقطع بذلك فيقول (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب) ويقول (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) وذلك كلام قاطع بهذا الأمر . وجوابنا انه يجوز أن يكون قاله من وحى فقد كانت الحال حال نبوّة ولولم يثبت ذلك لجاز أن يحمل على وجه الظن على أن الخبر في ذلك كان يثبت لديه فالقرآن يدل على ان نفس يعقوب ونفس ابراهيم صلى الله عليهما وسلم كانوا قد آتوا المعرفة بتأويل الرؤيا وقد قيل في الخبر أنهما قالا بعد اظهارهما ما رأياه أنهما كذبا فقال يوسف (قضى الأمر) وذلك لا يكون إلا عن وحى .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف يصح وهو في السجن أن يظهر أن آباءه ابراهيم واسحق ويعقوب ولا يظهر ذلك في القوم وكيف يصح ممن نجا منهما أن لايذكر يوسف الا بعد زمان والا بعد رؤيا الملك أوليس كل ذلك نقيض العادات . وجوابنا أن يوسف عليه السلام كان في صورة العبد الرقيق لذلك الملك وكان يخاف أن يظهر من كلامه ما يدل على خلاف ذلك خاصة فيمن كان خادما لذلك الملك وراجيا لان يعود الى الخدمة فلذلك أخفى نسبه فأما النسيان فقد يصح في مثل ذلك اذا قل الحرص في مثله فلذلك قال تعالى (فأنساه الشيطان ذكر ربه) وقال (وادكر بعد أمة) ثم ما كان من جوابه لرؤيا الملك وموافقة الصدق في ذلك يدل على نبوّته .

٥(مسألة)٥ وربما قيل أن يوسف لما أجاب في رؤيا الملك (قال الملك ائتونى به) ولم يذكر له جواب الرؤيا كيف يصح ذلك وجوابنا أنه في هذه

السورة قد ذكر تعالى أشياء حذف جزء منها اختصارا ولدلالة الكلام عليه وذلك يحسن :

٥(مسألة)٥ وربما قيل كيف يجوز وقد أمر الملك أن يخلص من السجن ان يختار أن يبقى فيه ويقول (ارجع الى ربك فسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) وقد كان يمكنه أن يخرج ثم يفتش عند ذلك . وجوابنا أنه رأى وقد أحب الملك حضوره عنده أن التفتيش عن ذلك يكون أقوى وموقعه أحسن فأوهم أنه لايخرج من السجن والا وقد ظهرت براءة ساحته كالشمس فلذلك قال ماقال فلما قلن ماقلن من قولهن (حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) أيقن بظهور أمره فيما كان اتهم به فعند ذلك خرج الى حضرة الملك

٥(مسألة)٥ وربما قيل كيف جاز من يوسف ان يمدح نفسه فيقول (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) ومدح النفس مكروه ومنهى عنه بقول الله تعالى (فلا تزكوا انفسكم) وكيف يجوز للنبي أن يتولى من قبل الكفار . وجوابنا أن مدح النفس عند الحاجة اليه يحسن فلا يكون المراد المدح بل يكون المراد ذلك الوجه الذى يقع به النفع وعلى هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر فنبه بقوله ولا فخر على أن مراده ليس مدح النفس فيوسف صلى الله عليه وسلم أظهر ذلك لما كان في توليته الخزائن من المصلحة خصوصا في تلك السنين الشديدة فاما تولى ذلك من جهة الكفار فانه يحسن اذا لم يمنع الشرع منه فان كان ذلك الملك كافرا فذاك حسن وان كان مؤمنا فلا سؤال

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف يجوز في اخوته وهم جماعة ان لا يعرفوا يوسف كما قال تعالى (فعرفهم وهم له منكرون) وذلك بخلاف العادة في الجماعة

وجوابنا أن القوم فقدوا يوسف وهو فى سن الصبى فتغير وجهه وقد كان لباسه أيضاً من قبل بخلاف لباسه وقد صار له الملك وكذلك سائر أحواله وكان القوم يتهيبونه عند المخاطبة لشدة الحاجة اليه وكل ذلك مما يجوز أن لا يعرفه القوم فيجوز أن حاله فى معرفته لهم بخلاف حالهم لتمكنه من الامور وفراغ قلبه لتأملهم

(مسألة) وربما قيل كيف يجوز مع المجاعة الشديدة أن لا يكيل لهم مع الحاجة حتى يأتوا بأخيه ومثل ذلك لا يحل . وجوابنا أنه عرف أن الحاجة ليست فى ذلك الوقت وكان له بغية فى حضور أخيه وأنه سينتهى ذلك الى حضور أبويه أيضاً فلذلك فعل

(مسألة) وربما قيل كيف يجوز أن يخفى خبره عليهم المدة الطويلة مع قرب المسافة بين مصر وبين البدو الذى كانوا فيه حتى يجرى الامر على ما ذكره الله عز وجل فى كتابه . وجوابنا أن أخوة يوسف لما أقدموا على ما فعلوه فى أمر يوسف وجملة جماعة من السيارة وقد اشتروه بثمن بخس ظنوا فيه خلاف ما ظهر فقل تفتيشهم عنه ولما حمل واشتراه ذلك العزيز لامرأته واتخذه كالولد كان كالمكتوم عن الناس مع حسن صورته ومثله ربما يخشى ظهوره ثم أقام محبوساً ما أقام وتردد فى المجلس فعمى أمره وقد طالت المدة فلذلك ولا مثاله خفى خبره على أبيه واخوته فأما خبرهم فلم يخف عليه لأن الذى عامل به اخوته يدل على أنه كان بذلك عارفا وكان يتلطف فى تحصيل أخيه ثم أبيه بالوجوه التى أباحها الله تعالى ومثل هذا السبب قد يخفى عنده الخبر فلذلك خفى على يعقوب وعلى اخوته خبره (فان قيل) كيف يجوز مع شدة محبة يعقوب أن لا يفتش عن خبره وقد كان قال لهم ما يدل على أنه اتهمهم فى أن الذئب

أكله . وجوابنا ان يعقوب ما كان يعرف الاخبار الا من جهة أولاده لان سائر الناس كان يقبض عنهم وأولاده كانوا لا يفتشون عن ذلك لان سبب الجناية كان منهم وظنوا أنه مفقود فى الحقيقة ولان شدة حزنه وما لقى من المحن فى تلك السنين كان يشغل عن مثله (فان قيل) كيف يجوز من يعقوب وهو نبي أن يحزن كل ذلك الحزن على يوسف أوليس ذلك يصرف عن أمور الآخرة . قيل له قد أبيح للوالد محبة الولد والسرور بأحواله خصوصاً اذا كان الولد على مثل صفات يوسف أو ما يقاربها ويحتمل أيضاً أنه كان اشتد حزنه لانه ظن أنه قصر فى حفظه وأنه فرط في أن سلمه من اخوته فتضاعف حزنه لذلك أيضاً . فان قيل له كيف جاز أن يقول يوسف وقد جعل السقاية فى رحل أخيه انهم لسارقون وهذا فى الظاهر كذب . وجوابنا أن جعل السقاية فى رحل أخيه يجوز أن يكون من قبله بأمره فأما ما قاله المؤذن من أنهم سارقون فهو من قبل المؤذن لا من قبل يوسف . فان قيل فكيف قال (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) . وجوابنا أن كل ذلك ليس من قول يوسف فأما تملك السارق فقد كان بين ذلك الملك ويجوز أن يكون في بعض شرائع الانبياء فلذلك قالوا فهو جزاؤه . فان قيل وكيف قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله) وأخذه على هذا الوجه معصية لا يجوز أن يشاء الله فكيف يصح ذلك . وجوابنا أن المراد مشيئة حصوله هناك حتى يصح أخذه لأنّ كل ذلك مما يجوز أن يشاء الله ولذلك قال بعده (نرفع درجات من نشاء) . فان قيل كيف يصح أن يقول يعقوب صلى الله عليه وسلم (انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) فيضيف اليهم التفنيد والذم له وكيف جاز أن يقولوا له إنك لفى ضلالك القديم فينسبون الضلال اليه

وجوابنا أنه لا يمتنع أن يجد ريح يوسف وأمارات حياته وأن يكون الله تعالى قوى ذلك لما أراده من اجتماعهم وأما الضلال فى اللغة فهو الذهاب عن الشئ الذى فيه نفع فأرادوا بقولهم انك لفى ضلالك القديم انك تجرى على عادتك فى العدول عما ينفعك ومثل ذلك قد يجوز أن يقال للانبياء فيما يتعلق بأمور الدنيا فان قيل كيف يعود بصيراً بالقاء القميص اليه قيل له أنه نبى وفى أيام الانبياء قد يصح ظهور ما يخرج عن العادة فان لم يكن من معجزات يعقوب فهو من معجزات يوسف فلا سؤال فى ذلك . واختلفوا فقال بعضهم كان بصره قد ضعف لا انه وقد زال ومثل ذلك كالمعتاد اذا كان المرء شديد الخوف ثم يعود له الفرج والسرور فتعود قوة بصره ومنهم من قال بل كان بصره قد زال على مايدل الظاهر عليه فيكون الجواب ما تقدم . فان قيل كيف قال وقد عاد بصره (ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) أوليس ذلك يدل على أنه كان عالما بحياة يوسف وجوابنا أن لا يمتنع أن يكون عالما بذلك من جهة الوحى ولا يمتنع أن يكون ظانا لذلك لعلامات وأمارات واذا علم فقد يجوز أن يكون عالما بشرط لا يحل معه القطع ويجوز خلافه وأحواله كانت تدل على أنه لم يكن قاطعا على موته ولا يمتنع أن يكون قد أوحي اليه بمايدل على عوده اليه آخراً . فان قيل كيف يجوز أن يقولوا (ياآبانا استغفر لنا ذنوبنا) وهذا كلام معتذر تائب فيكون جوابه سوف استغفر لكم ربى فلم يقبل عذرهم فى الحال وذلك لايجوز على الانبياء . وجوابنا أنه قبل عذرهم فى الوقت وانما وعدهم باستغفار مستقبل يقتضي استدعاء حصول المغفرة من قبل الله تعالى فاراد الدعاء لله تعالى وذلك مما لايجب فى الوقت وانما الذى يلزم فى الحال قبول العذر فقط كما قال يوسف عليه السلام (لاتثريب عليكم اليوم) ويحتمل أنه عليه السلام لم يعرف أن مقصدهم بقولهم (استغفرلنا)

الاعتذار الخالص وان كانوا قد تابوا من قبل فقال سوف استغفر لكم ربى اذا عرفت منكم الاخلاص . فان قيل كيف قالوا وقد دخلوا عليه أئنك لانت يوسف وقد ترددوا عليه حالا بعد حال حتى قال (أنا يوسف وهذا أخى) وكيف يخفى عليهم حديث أخيهم خاصة وكيف قال لهم (إذ أنتم جاهلون) وكانوا أنبياء وجوابنا ما تقدم من أن حال يوسف كان قد تغير في صورته وفي محله وكانوا لا يتأملون تأمل متعرف فلذلك خفى عليهم فأما أخوه فكانوا يعرفونه ولم يقل يوسف (وهذا أخي) لانهم لم يعرفوه لكنه أراد اظهار نعمة الله عليه باجماع أخيه معه ولذلك قال (قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) فاما قوله (اذ أنتم جاهلون) فالمراد به أيام الصبا وقد يقال لمن لايعرف الامور انه جاهل لاعلى طريق الذم . فان قيل فما معنى قوله وقد آوى اليه أبويه (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) وكانوا قد دخلوا . وجوابنا انهما التقيا به خارج مصر فقال ماقال وذلك صحيح وهذا كما يستقبل المرء من يعظمه خارج البلد وأراد بذلك تعريفهم أنهم تخلصوا مما كانوا عليه من الحق والمجاعة فى ذلك البدو . فان قيل فما معنى (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) وكيف يسجدون له وذلك من العبادات التى لاتليق الا بالله تعالى . وجوابنا ان رفعه لهما على العرش كان على وجه الاعظام وايصال السرور اليهما برفعهما على السرير المرتفع فاما السجود فقد يحسن شكرا لله اذا وصل المرء الى نعم عظيمة فيجوز أن يكون سجودهما له على هذا الوجه وأضيف السجود اليه لما كان سبب ذلك كما يضاف السجود الى القبلة على قريب من هذه الطريقة . ويحتمل في السجود أن يكون وقع منهما على وجه الاعظام له فان ذلك يحسن على بعض الوجوه . وقد قيل ان الله تعالي ذكر السجود وأراد الخضوع بضرب من الميل

الى الارض والاول أقرب الى الظاهر بين ذلك قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو) ودل بقوله (من بعد أن نزغ الشيطان بينى و بين اخوتي) على انه قد زال عن قلبه ماعملوه به فاضافه الى الشيطان تحقيقا لذلك ودل بقوله وقد جعله الله نبيا (أنت ولىي في الدنيا والآخرة) بعد التحية وقوله (توفنى مسلما وألحقني بالصالحين) على وجوب الانقطاع الى الله تعالى والخضوع له في المسألة مع العلم بالغفران فمن الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) لان في قصة يوسف من العجائب والعبر مايوجب الشكر ودل بقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) على ان من يؤمن من الناس قليل من كثير وان كان الانبياء يحرصون على ايمانهم ودل بقوله (وما تسألهم عليه من أجر) على ان دعاء الغير الى الايمان لا يكاد يؤثر الا مع رفع الطمع ودل تعالى بقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) على ان الواجب على العاقل التفكر في الآيات اذا شاهدها وان ذلك من أعظم مايأتيه المرء وكذلك قال بعده (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ثم بين مايلحقهم اذا أعرضوا عن الآيات من العقاب فقال (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أوتأتيهم الساعة بغتة) فنبه بذلك على وجوب الحذر من قرب الساعة وقرب الاجل ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول (هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ودل بذلك على ان هذا الدعاء كما يلزم الرسول يلزم من اتبعه من أهل المعرفة واليقين ودل بقوله (وسبحان الله وما أنا من المشركين) على وجوب تنزيه الله تعالى ممن يدعو الى الدين عما لايليق به وقوى من نفسه صلى الله عليه وسلم من بعد بقوله (حتى

اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) وبين مافي قصص الانبياء من النفع في الدين فقال (لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب) وهذا أحد مايدل على ان الواجب أن يقرأ القرآن بتدبر حتى ينتفع المرء بذلك

(سورة الرعد)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى(الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) كيف يصح أن يرفعها بعمد ونحن لانراها . وجوابنا ان المراد انه يرفعها ويمسكها لا بعمد أصلا ودل بذلك على قدرته لان أحدنا لا يصح أن يرفع الثقيل الا بعمد وعلى هذا الوجه قال (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وذلك من عظم نعم الله تعالى فلولا ذلك لم يصح التصرف على الارض ولا أن يدور الفلك والشمس والقمر والنجوم .

(مسألة) وربما قيل مامعنى قوله تعالى (ثم استوى على العرش) اذ لم يجز عليه المكان . وجوابنا ان المراد الاستيلاء والاقتدار وذكر ثم في الاستواء وأراد مابعده من تسخيره الشمس والقمر لان اقتداره ليس بحادث ولا متجدد فكأنه قال ثم (سخر الشمس والقمر) وهو مستول على ذلك مقتدر ثم يدبر الامور التى قدر آجالها .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) ماالفائدة في قوله اثنين وقد عقل ذلك مما تقدم . وجوابنا انه تأكيد يفيد فائدة زائدة لان الزوجين قد يراد بهما أربعة فبين بقوله اثنين المراد وهو خلقه من كل شئ الذكر والانثي ومايجرى مجراه وفى قوله (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل) دلالة على عظم نعمه وان الواجب التفكر فيها ليستدل بها على قدرته وليعرف مايلزم من شكره وعبادته

وجعل جل وعز ذلك مبطلا لقول من أنكر الاعادة فلذلك قال (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل مافائدة قوله تعالى (وأولئك الاغلال في أعناقهم) وانما يحسن ذلك منا لأنا لانقدر على التعذيب والمنع الابالآلات . وجوابنا انه تعالى يزجر المكلف عن المعاصي بما جرت العادة أن يعظم خوفه لاجله كما يرغب في الطاعة بما جرت العادة به من الملاذ والمناظر والا فهو قادر على أن يؤلم المعاقب بغير هذه الامور .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وكل شئ عنده بمقدار) أمايدل ذلك على ان كل شئ مخلوق من جهته . وجوابنا انه تعالى ذكر ذلك بعد قوله (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) فبين بعده ان كل شئ عنده بمقدار لانه عالم بكل ذلك وقد يقال عنده ويراد به في علمه كما يقال ذلك ويراد القدرة ويراد الفعل ولذلك قال بعده (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) أليس ذلك يدل على انه الفاعل لهذه التغيرات . وجوابنا انه أضافها اليهم كما أضافها الى نفسه والمراد انهم اذا غيروا طريقتهم في الشكر والطاعة غير الله تعالى أحوالهم بالمحن وغيرها زجر بذلك المكلف عن المعاصي • فان قيل فقال بعده (واذا أراد الله بقوم سوأ فلامرد له) وذلك يدل على ان السوء من عنده . وجوابنا ان المراد المحن والشدائد وتوصف بالسوء مجازا وليس في الآية انه يفعل ذلك وانما فيها انه اذا أراده لامرد له لان مايريده الله تعالى يكون أبدا بالوجود أولي اذا كان ذلك المراد من فعله • فاما اذا أراد من عباده الطاعات

فانما يريدها على وجه الاختيار وقد يجوز أن لاتقع لسوء اختيار المكلف

﴿ مسألة ﴾ ومتى قيل فما معنى قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) وكيف يصح التسبيح من الرعد . وجوابنا ان المراد دلالة الرعد وتلك الاصوات الهائلة على قدرته وعلى تعزيه وذلك كقوله تعالى (سبح لله مافي السموات والارض) لدلالة الكل على أنه منزه عما لايليق ولذلك قال (والملائكة من خيفته) ففصل بين الامرين وقوله بعد (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) معناه يخضع فالمكلف العارف بالله يخضع طوعا وغيره يخضع كرها لانا نعلم ان نفس السجود لايقع من كل واحد .

•﴿ مسألة ﴾• وربما قيل في قوله تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ) ألايدل ذلك على انه الفاعل لكل شئ وعلى ان العبد لايفعل والا كان يتشابه فعله بفعل الله . وجوابنا ان قوله تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) زجر للعاصي والكافر بان شبهه بالاعمى وترغيب للمؤمن بأن شبهه بالبصير ونبه بقوله (ام جعلوا لله شركاء) على ان عباد الاصنام بمنزلة العميان في عبادتهم لها مع انها لاتنفع ولا تضر فهو معنى قوله (خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) ثم بين أنه الخالق للنعم التي يستوجب عندها العبادة فلا تليق العبادة الا به ولا مدخل لافعال العباد في ذلك وقد بينا من قبل وجوها في ان قوله تعالى (خالق كل شئ) لايدل الا على ان المقدر من هذه الاجسام والنعم من قبله فلاوجه لايراد ذلك وبين تعالى ماأراده بقوله من بعد (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) فدل بذلك على مراده وقال بعده (كذلك يضرب الله الحق والباطل) ثم قال بعده (كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم

الحسنى والذين لم يستجيبوا له) بأن عصوا وخالفوا ثم قال (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الألباب) وبين صفة ذوى الالباب فقال (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) فانظر أيها القارىء لكتاب الله كيف صفة من ينال الحسنى ويفوز بثوابها وكيف صفة ذلك الثواب العظيم فانه جل جلاله لم يقتصر على أن لهم الجنة حتى بين أن من صلح من الاقربين يحصل معهم هناك ممن كلف ويحصل معهم من لم يكلف أيضاً من الذرية وأن الله تعالى يأمر ملائكته بالدخول عليهم فى كل وقت بالسلام والتحية ويعرفونهم أن كل ذلك جزاء لهم على ما صبروا فانهم صبروا قليلا فدام لهم ذلك الملك والنعيم فهو معنى قوله (فنعم عقبى الدار) لأنها دائمة على عظم نعمها وخلوصها من كل شائبة ثم انه تعالى ذكر خلاف ذلك فيمن خالف ربه وعصى فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) فالملائكة تلعنهم حالا بعد حال عن أنفسهم وعن ربهم ولهم سوء الدار وهو النار الدائمة التى عقابها خالص عن كل روح وراحة وقد حكى بعض الأئمة أنه سئل عن وصف المؤمن فتلا هذه الآية ولو أردنا أن نفسرها لطال الكتاب فان قوله (الذين يوفون بعهد الله) يدخل فيه القيام بسائر الواجبات التى عهدها الينا والقيام بكل الامانات والوفاء بكل العقود

وكذلك كل فضل منه ثم بين تعالى (أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا) يعنى أهل النار ثم قال (وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) وقوله بعد ذلك (ويهدى اليه من أناب) يدل على أن المراد بالهداية ما نقول من الاثابة وغيرها .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أليس ذلك مخالفا لقوله فى المؤمنين حيث قال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) . وجوابنا أن الطمأنينة المذكورة هاهنا المراد بها المعرفة وسكون النفس الى المجازاة مع الوجل والخوف من المعاصى فالكلام متفق لان المؤمن ساكن النفس الى معرفة الله تعالى والى المجازاة على الطاعات ومع ذلك خائف مما يخشاه من التقصير وجل القلب فظن فى مثل ذلك أنه مختلف اذ قد نادى على نفسه بقلة المعرفة ولذلك قال تعالى بعده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) وبين تعالى عظم شأن القرآن بقوله من بعد (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى) وجواب ذلك محذوف والمراد لكان هذا القرآن وذلك يدل على أنه فى الفصاحة قد بلغ نهاية الرتبة وأنه صار معجزا لذلك .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (بل لله الأمر جميعاً) أليس يدل على أنه الفاعل لكل شئ وقوله من بعد (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) أليس يدل على أنه لم يشأ من جميعهم الايمان والا لهداهم وجوابنا أن المراد به أنه هدى بعض الناس دون من لم يجعله بصفة المكلف ويحتمل أن يكون المراد لهداهم بالالجاء حتى يجتمعوا على الايمان (وقوله بل لله الامر جميعاً) صحيح لان المراد اقتداره على كل شئ وأن ما يريده لا يصح

فيه المنع وقوله تعالى من بعد (ان الله لا يخلف الميعاد) يدل على أن وعده ووعيده لا يقع فيهما خلف .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد) أليس ذلك يدل على أن الله يصد الكافرين عن طريق الخير ويفعل الاضلال وذلك لا يجوز • وجوابنا أن ذلك يدل على أن هذا التزيين من الشيطان ومن أنفسهم ولولا ذلك لوجب أن يكون تعالى صادا لهم عن السبيل مع علمنا بأن ذلك لايجوز عليه وانما أراد بقوله تعالى (ومن يضلل الله) أى بالعقوبة على مافعله فماله من هاد الى الجنة ولذلك قال (لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق) .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم) أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن وذلك بخلاف ما تقولون . وجوابنا أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة وان كان فى السماء جنات وقوله (أكلها دائم) يدل على قولنا لانها لو كانت مخلوقة الآن لفنيت اذا أفنى الله تعالى العالم فكان لا يكون أكلها دائما فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها فى الآخرة فيدوم أكلها) .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) أما يدل ذلك على جواز البدء على الله تعالى • وجوابنا أن المراد بذلك أنه جل جلاله يمحو عن المؤمن الصغائر لانها مغفورة ويحتمل أنه المنسوخ والناسخ ويحتمل أنه يمحو مالا مدخل له فى الثواب والعقاب ويثبت ماله مدخل فى ذلك ويحتمل أنه يمحو ما كتب من آجال وأرزاق من مضى ويثبت ذلك فيمن يبقى ويحدث

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر

جميعاً) كيف يصح المكر على الله اذ بين أنه من صفات الذم • وجوابنا أن المراد انزاله بهم العقاب وما شاكله من حيث لا يعرفون كما ذكرنا فى سورة البقرة فى قوله (يخادعون الله والذين آمنوا) وما شاكله .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) فيقولون كيف يصح ذلك • وجوابنا أن حفظهم وان لم يقع من الامر فانه يقع عند تقدم الامر فالمراد يحفظونه عن أمر الله وقد يذكر الامر ويراد به التقوية والتمكين فلما كانوا يحفظونه بأن يمكنهم ويقويهم جاز ذلك .

•(سورة ابراهيم)•

وربما قيل فى قوله تعالى (الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) كيف يفعل الرسول ذلك • والجواب أن المراد يدعوهم الى العدول الى الايمان عن الكفر ويبين لهم ذلك فوصف بأنه يخرج لما كان يفعل السبب الداعى الى ذلك ولذلك قال (باذن ربهم) اذ المراد ان ذلك بأمره ووحيه وهذا أحد ما يدل على أن الايمان وما عدلوا عنه من الكفر فعلهم فيكون بيانه سبباً لاختيارهم العدول عن الكفر الى الايمان وقوله تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يدل على أن ما يقع منهم من جهتهم لانه لو كان خلقا لله فيهم لما صح أن يستحبوا شيئاً على شئ .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أما يدل ذلك على أنه بعد البيان هو الذى يضل ويهدى • وجوابنا أن المراد أنه يضل عن طريق الجنة الى النار ويهدى الى الجنة من أزاح علته ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لكى

تكون الحجة لله عليهم وهو كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغنى حميد) يدل على أنه يكلف الناس لنفعهم ولحاجتهم الى ذلك وأنه غنى عن كل شئ .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) أليس ذلك يتناقض بأن يقول آخراً لا يعلمهم الا الله ويقول اولا (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) . وجوابنا أن المراد بآخره هو قوله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) وأتاهم خبرهم على الجملة دون التفصيل فالكلام مستقيم ويحتمل أن يريد أنه أتاهم نبأ هؤلاء على الجملة ويريد بقوله (لا يعلمهم الا الله) التفصيل من أحوالهم فلذلك قال بعده (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) وقد ذكرنا من قبل أن ذلك ذم لهم وهو كناية عن ترك القبول منهم لان هناك استعمالا لليد فى رد قولهم وبيانهم ولذلك قال (أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) فبين أن مراده تعالى بتكليفهم هذا الغفران .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فأضافوا ايمانهم الى الله تعالى . وجوابنا أن المراد بذلك الارسال والنبوّة لان قومهم قالوا انهم بشر مثلنا فأجابوهم بقولهم (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وأرادوا النبوّة واظهار المعجزات هذا ونحن نضيف الايمان أيضاً الى الله تعالى ونقول انه من نعمه لما كان الوصول اليه بيسره وألطافه مع التمكين وكذلك نقول فى الطاعات إنها من الله ولا نقول ذلك فى المعاصى وقد نهى عنها وزجر عن فعلها ولذلك قال تعالى بعده (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ومالنا ألا نتوكل

على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا).

٥(مسألة)٥ وربما قيل كيف ذكر أولا جل وعز قولهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ثم كرره ثانيا ما الفائدة فى ذلك . وجوابنا أنهم فى الاول قالوا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وأرادوا فيما يتصل بالنبوّة ثم قال ثانيا (ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وأرادوا فى صبرهم على ما يعرض فى النبوّة فأحد الامرين غير الآخر.

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) أليس ذلك يتناقض . وجوابنا ان ذلك كناية عن شدة عذابهم وان لم يكونوا أمواتا وهو كقوله (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) ولذلك قال بعده (ومن ورائه عذاب غليظ) وبين تعالى ان عمل الخير من الكفار لا ينفع فقال (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) فبين أن كفرهم يحبط كل خير عملوه وبين ان ذلك هو الضلال البعيد ثم بين تعالى بعده بقوله حكاية عن استكبر عند قول الاتباع (انا كنا لكم تبعا) أنهم (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) وذلك فى الآخرة فمرادهم اذا لو هدانا الله تعالى الى الجنة وعدل بنا عن النار لفعلنا ذلك بكم وهذا يدل على ان الهدى قد يكون على هذا المعنى كما قد يكون بمعنى الدلالة والبيان وقوله (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) يدل على ان العذاب دائم لا كما يقوله بعض الجهال من انه ينقطع وقوله تعالى من بعد حكاية عن الشيطان (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) يدل على ان الشيطان لا يقدر الا على الوسوسة وعلى ان وسوسته

لانزيل الذم والعقاب عمن قبل منه وان اللوم في كل فاعل على نفسه يرجع وقوله من بعد (ان الظالمين لهم عذاب أليم) يدل على ان الظلم من الذنوب العظام التي يستحق بها العذاب

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) ان ذلك يدل على ان ايمانهم من فعل الله فيثبتهم عليه . وجوابنا ان المراد يثبتهم على الخيرات دينا ودنيا لاجل ايمانهم فلذلك قال (بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ولذلك قال بعده (و يضل الله الظالمين) أى يضلهم عما يفعله بالمؤمنين دينا ودنيا ولذلك قال بعده (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) تعجبا منهم من حيث لم يعرفوا موقع نعم الله تعالى وعدلوا عن شكره وطاعته ورغبنا عاجلا فى الطاعة فقال (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولاخلال) فبين أن الذى ينفعهم فى الآخرة أن يطيعوا بأنفسهم و بأموالهم قبل اليوم الذى فيه لا ينتفع أحد بمكسب وتصرف • ثم بين تعالى أنواع نعمه بقوله جل وعز (الله الذى خلق السموات والارض الى قوله وآتاكم من كل ماسألتموه و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ترغيباً للعبد فى شكر هذه النعم حالا بعد حال ثم قال تعالى من بعد (ان الانسان لظلوم كفار) .

•(مسألة •) وربما قيل فى قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى و بنى أن نعبد الأصنام) كيف يصح أن يسأل ربه هذين الأمرين ثم يوجد خلاف ذلك فانا نجد البلد يجرى فيه الخوف العظيم ونجد فى أولاده من يعبد الاصنام • وجوابنا أن قوله آمنا لا يدل على كل شئ فقد يكون آمنا من ضروب من الخوف غير آمن من سواه ومعلوم ما يحصل بمكة من

الامن ويحتمل أنه دعا ربه أن يجعله آمنا فى أيامه حتى يؤمن بعضهم ويتألفوا على طاعته والمراد بقوله (واجنبنى و بنىّ) من هو موجود منهم وقد نزههم الله تعالى عن ذلك وقوله بعد ذلك (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) يعنى الاصنام فمراده أنهن صرن سبباً للضلال لان الصنم يصح أن يضل و يهدى ولذلك قال بعده (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) يعني بالتوبة

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) كيف يصح ذلك وهو الذى بنى البيت على ما ذكره الله تعالى فى كتابه بقوله (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) • وجوابنا انه يحتمل فى قوله عند بيتك المحرم أن يكون المراد عند تلك البقعة التى بنى فيها البيت • و يحتمل ان بناء البيت كان قائما ثم اختل فبناه ابراهيم فيكون الكلام مستقيما ومعنى قوله من بعد (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم) ان عنده انزال العقوبات بهم من حيث لا يشعرون وسماه مكرا مجازا ومعنى قوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) انهما يصيران على خلاف هذه الصورة سماه تبديلا كما يقال ان فلانا قد تبدل اذا تغيرت أخلاقه • و يحتمل أن يكون الله تعالى يبددهما فيخلق أرضا غير هذه فى القيامة وسماء غير هذه فيكون أقرب الى الحقيقة

•(سورة الحجر)•

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) كيف يجوز ذلك ولا شك في انهم يتمنون في الآخرة ذلك فما فائدة (ربما) • وجوابنا ان ذلك من باب الردع وربما يكون أقوى فاحدنا يقبل على ولده وقد عدا عن التعلم فيقول ربما تندم على ما أنت عليه فيكون فى الزجر أبلغ ولان الكافر

قديسلم ويتوب فلاينقطع منه على ذلك ومعنى قوله بعد (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) تبيين صحة ماقلناه لان ذلك وان كان بصورة الامر فهوتهديد وزجرعظيم .

﴿مسألة﴾ وربما قيل مافائدة قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية الاولها كتاب معلوم) وكل شيء يفعله فهو فى معلومه ويثبت فى أم الكتاب فاى فائدة فى هذا التخصيص . وجوابنا ان القوم كانوا يستعجلون العذاب من الانبياء اذا توعدوهم فبين تعالى ان ذلك مؤقت بوقت لايقدم ولايؤخر .

﴿مسألة﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) كيف يصح ذلك مع جحدهم لنبوته وانكارهم ان الله تعالى أنزل ذلك عليه . وجوابنا انهم قالوا على وجه ان ذلك صفته عند نفسه لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعى ذلك وهذا كرجل يدعى انه صانع فينادى بمايدعيه وان كان المنادى لايعترف له به وبين ذلك ماذكروه من بعد (انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) وبين تعالى لهم انه ماينزل الملائكة الا بالحق ومتي أنزلهم لم يكن انكار وامهال وقوله تعالى من بعد (انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) يدل على ان القرآن لايغير ولايبدل ولايزاد فيه ولا ينقص وشبههم بمن يجهل مايشاهده بقوله جل وعز (لايؤمنون به وقدخلت سنة الاولين ولوفتحنا عليهم بابامن السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انماسكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) فبين انهم فى العدول عن التمسك بالنبوات والقرآن بهذه المنزلة

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه) أمايدل ذلك على ان أفعال العباد من خلقه لدخوله فى قولنا شيء . وجوابنا ان المراد ان عندنا علم كل شيء ولذلك قال (وماننزله الابقدر معلوم) أويكون المراد

عندنا القدرة على ماذكرنا من النعم فلا نترل ذلك الا بقدر الحاجة اليه يبين ذلك انه تعالى قال من قبل (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش) فبين بعده انه قادر على ادامة ذلك وكني عن القدرة التى لا آخر لها بذكر الخزائن ولذلك قال بعده (وأرسلنا الرياح لواقح) فذكر ماينزله من الامطار ومايثبته من الاقوات ثم قال (وما انتم له بخازنين) ثم قال (وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) دل كل ذلك على عظم نعمه على عباده مرغباً لهم في شكره وطاعته ثم بين تعالي كيف خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون وكيف خلق الجان ليعتبر بذلك وكيف أمر بالسجود لآدم وتقدم القول فى ذلك وبين بقوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) ان الذى يقال من ان الشيطان محبط لا أصل له وانه انما يوسوس فلا يكون له سلطان الا على من يتبعه فيقبل منه الوسوسة وعلى هذا الوجه كرر تعالى في القرآن التحذير من الشيطان لحاله في ذلك دون حال الواحد من الانس اذا رغب غيره فى المعاصي فعلى هذا الوجه قال تعالي (وان جهنم لموعدهم أجمعين) التابع والمتبوع ثم بين تعالى ماللمتقين من المنزلة بقوله تعالي (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين) الي آخر الآيات وأدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين) فأمره بتحقير ما عليه الكفار من متاع الدنيا وأمره بالتواضع لمن آمن به وأمره بأن يقوم بالانذار فى كلا الفريقين فلا يمنعه تمنع القوم عن الانذار كما لا يمنعه ايمان من آمن به عن ذلك . ثم أقسم تعالى بعد ذلك على أنه يسألهم أجمعين عما كانوا يعملون ولم يقتصر على الخبرحتى اكده

بالقسم زجرا للناس عن المعاصى فان من تصوّر أن معاصيه طول عمره محصية عليه يصير فى الآخرة كالشاهد لها جميعها يزجره ذلك عن الاقدام عليها وترك التوبة منها ولذلك قال بعده للرسول صلى الله عليه وسلم (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فقد أقمت الحجة عليهم (انا كفيناك المستهزئين) الذين يقع فى قلبك الخوف منهم فشبهه تعالى بالصادع فى الابلاغ والانذار ليكون مقيما للحجة على من آمن وكفر ووكد تعالى بقوله (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) فقد كانوا ينسبونه مرة الى السحر ومرة الى الجنون ومرة الى الفرية ومثل ذلك يعظم على المرء ويأنف منه فقوى الله تعالى قلبه على احتماله وعلى أن لا يجعله سببا للفتور فى الابلاغ والبيان فلذلك قال بعده (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وهذه الآداب وان خص الله تعالى بها الرسول صلى الله عليه وسلم فهى عامة فى سائر الناس وهى من عظيم نعم الله تعالى على خلقه اذا تأملوه وتمسكوا به فما أحد من المكلفين الا وله ولىّ وعدو ويتردد بين محن ونعم فكل ذلك تأديب له .

﴿ سورة النحل ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل ما معنى قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) وكيف يكون انزالهم بالروح وكيف يكون الروح أمرا . وجوابنا أن المراد به ذلك القرآن والشرع كما قال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وسمى القرآن روحا لأنه بمنزلة الروح الذى يحيا به أحدنا من حيث يحيا به الانسان في أمر دينه وأنه يؤدى الى الحياة الدائمة فان قيل فما معنى قوله (أتى أمر الله) وهل المراد به هذا الامر الذى تنزله الملائكة قيل له بل الاقرب في أتى أمر

الله أنه الوعيد ولذلك قال بعده (فلا تستعجلوه) لانهم كانوا يستعجلون العذاب كقولهم (ائتنا بما تعدنا) وكما قال (ويستعجلونك بالعذاب) فبين أن أمر الله قد أتى بالوعيد في الآخرة والله تعالى حليم لا يعجل فلا تستعجلوه ثم قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) وعنى به الاحكام وسائر الشرائع التى بينها الله تعالى في القرآن وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بعده (ان أنذروا أنه لا اله إلا أنا فاتقون) ثم قال بعده (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) و بين أنه خلق ذلك لكى يؤمن العباد وذلك يبطل قول من يقول خلق بعضهم ليكفروا وكيف يقول جل وعز (تعالى عما يشركون) وهو الذى يخلق فيهم الشرك ويجعلهم بحيث لا يقدرون الا عليه .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف قال تعالى (ويخلق مالا تعلمون) وانما يخلق ما يخلقه لمصالح المكلفين . وجوابنا أن مالا يعلمه الملائكة قد يكون صالحا لنا وقد يجوز فيما يخلقه أن يكون نفعا لنا وان لم نعلمه أو نفعا لبعض الحيوان أو تفضلا فلا يلزم ما قالوه .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر كيف يصح في قصد السبيل أن يكون على الله وكيف يصح أن يكون منها جائر . وجوابنا أنه تعالى لما بين من قبل نعمه و بين من جملتها الأنعام والخيل والبغال وكيف خلقها نفعا للمكلفين قال بعد ذلك ان على الله قصد السبيل والمراد بيان ما يلزم المكلف وازاحة سائر علله فلا يجوز أن يكلفه مالا يصلح الا بالأنعام وغيرها الا ويخلقها له وكذلك سائر ما يحتاج اليه و بين بقوله ومنها جائر أن فى جملتها ما يخرج المكلف عنه ويعصى مع أن فى جملتها ما يقبل و يطيع ولو شاء

لهدا كم أجمعين بالالجاء لكن ذلك لا ينفع .

(مسألة) ورىما قيل فى قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) أما يدل ذلك على أنه لا فعل الا لله . وجوابنا أنه تعالى بين من قبل أصناف النعم من انزاله الماء وإنباته أنواع الخيرات والثمرات وتسخيره الليل والنهار والبحر وما فيها من النعم والنجوم ودلالتها على الامور فقال بعده تنبيها للخلق عما يلزم شكره وعبادته (أفمن يخلق كمن لا يخلق) فبعث بذلك على عبادة الله تعالى وبكت به من يعبد الاصنام وغيرها مما لا تصح منه هذه النعم ولا يدخل فى ذلك أفعال العباد لانه نبه بذلك على أن الواجب أن يفعلوا الطاعة والشكر والعبادة وكيف يكون نفس الفعل خلقا من قبل الله تعالى ولذلك قال بعده (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فبين أن الذى قدم ذكره من نعمه هو قليل من كثير النعم التى يفعلها الله تعالى حالا بعد حال فى جسم الانسان وحواسه وجوارحه وغير ذلك ثم قال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يخوف بذلك العبد من أن يخالف ما يظهر من الطاعة ويبعثه على أن يكون باطنه فى الاخلاص كظاهره والذى بين ما قلناه قوله تعالى من بعد (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) كيف يصح أن يحملوا أوزار غيرهم ولئن جاز ذلك لم يمتنع أن يعذب الله تعالى أطفال المشركين بذنوب آبائهم . وجوابنا ان الذين أضلوهم لما كانوا سببا لضلالهم جاز أن يقول تعالى ذلك والمراد أنهم لما ضلوا وأضلوا كانت أوزارهم أعظم كما روى عنه صلى الله عليه وسلم فيمن سن سنة سيئة أن عليه وزرها ووزر من عملها والمراد مثل ذلك لأن عين ما يستحقه من يتأسى به يستحقه من سن فعل السنة السيئة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) أما يدل ذلك على أنه تعالى يهدى و يضل وأن ذلك من خلقه . وجوابنا أن المراد فمنهم من هدى الله الى الثواب لتمسكه بالعبادة ومنهم من حقت عليه الضلالة عن الثواب الى العقاب بمعصيته وهذا كقوله (ان المجرمين في ضلال وسعر) فسمى نفس العقاب ضلالا كما سمى نفس الثواب هدى فى قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم) والهدى بعد القتل لا يكون الا بالاثابة ولذلك قال بعده (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) فنبه بذلك على ما ذكرنا ويحتمل أن يريد بالهدى زيادة البصيرة فيفعله بمن قبل وأطاع عنده دون من علم أنه لا يقبل كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) كيف يصح أنه يوحى الى ما لا يعقل وعندكم أنه تعالى انما يوحى الى الانبياء . وجوابنا ان المراد بذلك ألهمها هذه الامور وخلق فيها العلم بهذه الاشياء ولم يرد بذلك الوحي الذى يكون بانزال الملائكة وكل أمر يلقى الى الغير على وجه الاخفاء والاستسرار يوصف بأنه وحى فلما كان ما ألهم جل وعز النحل على هذا الحد جاز أن يقول أوحى اليها ونبه بذلك على عجيب أمر النحل فيما تتعاطاه من هذا الطعام الذى هو أشرف الاطعمة وكيف تلتقط ذلك من الشجر المختلف حتى يحصل منه هذا الطعام وكيف تتولى مكان ذلك وكيف ترتبه ومتى تأمل العاقل ذلك عرف به من عجيب نعم الله تعالى ما لا يكاد يوجد فى سائر الحيوان .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء

ما يمسكهن إلا الله) أما يدل ذلك على أنه تعالى يخلق فينا الطيران • وجوابنا أنه تعالى لما جعل في الجو الهواء المتكاثف الذى يصح من الطير أن يطير فيه ويتوقف عليه جاز أن يضيفه الى نفسه بأنه سخرها لما فعل مالولاه لم تثبت في الجو لأنه تعالى جعل ذلك الهواء اللطيف بمنزلة الماء الذى يسبح فيه وهذا هو وجه الكلام ثم إنه تعالى بعد ذلك رغب في عبادة الله تعالى بأقوى وجوه الترغيب فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فنبه بذلك على انما عندنا له نهاية وآخر وان الذى يدوم من النعم هو ما يجازى جل وعز عباده المطيعين به فرغب بذلك في فعل ما يؤدى الى هـذه النعم الباقية ولذلك قال بعـده (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) •

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كيف يصح ذلك والاستعاذة تتقدم قراءة القرآن لا أنها تتأخر عنه • وجوابنا أن المراد فاذا عزمت على قراءة القرآن وهممت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا كقوله (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) والمراد اذا أردتم ذلك ومثل ذلك يستعمل في اللغة يقول القائل لغيره اذا سافرت فاستعد لسفرك يريد اذا هممت بذلك وقوله تعالى من بعـد (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) يدل على أن سلطان الشيطان ليس الا بالوسوسة فقط فمن يقبل منه وصف بأن له عليه سلطانا دون من لا يقبل ولذلك قال (انما سلطانه على الذين يتولونه)

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) كيف يصح أن يفعل تعالى ما يدعوهم الى تكذيبه وذلك مفسدة • وجوابنا أنه تعالى ذكر ما يقولون عند إبدال آية مكان آية ولم يذكر أنه السبب في هذا القول بل كانوا في تكذيب الرسول على طريقتهم ومثل

ذلك جائز عندنا ولا يكون مفسدة وانما يكون مفسدة متى وقعت المعصية عنده ولولاه كانت لا تقع • وبين تعالى مابه يدفع عنهم هذه الشبهة فقال (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت به الذين آمنوا) وانما أحالهم على علمهم برتبة القرآن في الفصاحة ولولا ذلك لقالوا له ومن أين روح القدس أنزله فبطل بذلك ما أوردوه •

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) أليس هذا يدل على أن من لم يؤمن لم يهده الله كما يقوله المخالف • وجوابنا أن المراد لا يهديهم الى الجنة والثواب من حيث لم يؤمنوا ولذلك أتبعه بقوله (ولهم عذاب عظيم) •

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) أليس ظاهره يقتضى اباحة الكفر والكذب وذلك قبيح لا يجوز على الله تعالى • وجوابنا أن قوله (الا من اكره) استثناء منقطع ومعناه لكن من اكره وقلبه مطمئن بالايمان • فان قال قائل إن السؤال عليكم في ذلك لازم لأنه كأنه قال لكن من أكره على الكفر والكذب والاكراه لا يحسن ذلك • قيل له إنه تعالى لم يبين ما يكره عليه وما يأتيه المكره والذى يكره عليه هو غير الذى يأتيه المكره لان المكره انما يكرهه على الكفر والكذب والذى ينبغى أن يأتيه المكره هو ما أباحه الله تعالى له من التعريض فكأنه يقول ان لم تقل ان الله ثالث ثلاثة قتلتك فيقول هو عند الاكراه ذلك على وجه الحكاية أو على وجه دفع الضرر من غير أن يقصد الخبر فيحسن منه ذلك عند الاكراه فأما نفس الكذب فلا يحسن من العاقل على وجه وفي العلماء من يقول اذا كذب فالاثم مرفوع عنه وان كان قبيحاً لمكان الاكراه والذى

قدمناه هو الصحيح ولذلك قال تعالى بعده (وقلبه مطمئن بالايمان) فمدحه ثم ذمه بقوله (ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله) اذ كانوا مختارين والاكراه زائل وقوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يدل على قدرتهم على الطاعة والمعصية فصح بذلك أن يؤثروا أحد الامرين على الآخر لان قوله استحبوا الحياة الدنيا المراد به آثروا ما يشتهونه من الباطل وقوله (على الآخرة) المراد به على ما يؤدى الى عمارة الآخرة من الحق ثم قال تعالى (وان الله لا يهدى القوم الكافرين) مع علمنا بأنه قد بين لهم ودلهم على ما يلزمهم ولولا ذلك لما كفروا يدل على أنه أراد بما نفاه الهدى الى الثواب والجنة على ما بيناه من قبل ثم بين تعالى حال الكافرين بأنه طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم والمراد به تشبيه حالهم بحال من هذا صفته ولولا ذلك لم يكن ليذمهم ولذلك قال بعده (وأولئك هم الغافلون) ومن يمنعه الله من هذه الافعال لا يسمى غافلا ثم حقق ذلك بقوله (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) وقوله تعالى من بعد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) يدخل فى جملته من أكره على الكفر بمكة حتى صبر وعرّض ثم تخلص بالهجرة وذلك يبين أن كلا الامرين يحسن من المكره وأن الافضل أن يصبر على ما يخوف به ولا يدخل على طريق الاباحة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) أليس ذلك يدل على اثبات نفسين لنا وذلك لا يصح عندكم . وجوابنا ان المراد بالنفس غير المكلف فكأنه قال يوم تأتى كل مكلف تجادل عن نفسه وهذا أحد ما يدل على صحة القول بالعدل لانه لو لم يكن له فعل وكان الله

تعالى يفعل فيه ان يشاء الكفر وان يشاء الايمان لم يكن للمجادلة وجه ثم قال تعالى بعده (وتوفى كل نفس ما عملت) والمراد جزاء ما عملت لان نفس عملها وقد تقضى لا يجوز أن توفاه فليس الا ما ذكرناه ولذلك قال بعده (وهم لا يظلمون) والظلم انما يصح فى المجازاة لا فى نفس العمل .

ه (مسألة) ه وربما قيل فى قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) بعد ذكر كفرهم أليس ذلك يدل على انه تعالى يعاقب فى الدنيا الكفار وعندكم ان ما يلحقهم من فقر ومرض لا يكون عقابا . وجوابنا انه يحتمل ان الصلاح عند كفرهم ما يفعله بهم من جوع وخوف لان ذلك عقوبة كما تأولنا عليه قوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) أليس الفاعل مع الجهالة معذورا فيما يأتيه فكيف أوجب الغفران بالتوبة من ذلك . وجوابنا انه قد يقال ذلك فيمن دخلته الشبهة فيعمل السوء عندها فلا يكون معذورا والاصل فى الجهالة انه موضع للذم .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) أليس ذلك يوجب انه متعبد بشرائع ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك بخلاف قولكم . وجوابنا انه اذا كان يتبع ما يعرفه من شرائعه فذلك جائز عندنا وانما ننكر كونه صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرائع من تقدم على معنى انه عرف ما دعوا اليه فتمسك بذلك من دون أمر مبتدأ من قبله تعالى أوحى به اليه ثم أوجب تعالى بقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) على رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى توحيد الله وعدله والى سائر ما يكون دينا وحقا وبين له كيف يدعو وذلك واجب على غير

الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفعله بمن يجهل الدين كاقال تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وبين هذا بقوله تعالى (ان ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين) على ان من أقدم في باب الدين على مالايحل فهو مؤاخذ على ذلك ٭ ودل به على ان الضلال والاهتداء من قبل العبد وقوله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) وهو مجاز لان مايفعله العبد لا يكون عقابا في الحقيقة فهو كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم) ثم بين تعالى ان الصبر على ذلك والاخذ بالعفو خير من الانتقام وبين ان صبره صلى الله عليه وسلم يكون بالله تعالى بقوله (واصبر وماصبرك الا بالله) فدل بذلك على ان الصبر وسائر الطاعات انما تقع عند الطاقة وتيسيره وتسهيله وبين بقوله تعالى من بعد (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) انه تعالى يخص بالغفران والرحمة من يوصف بانه متق ومحسن وذلك يدل على قولنا في الوعيد ٭

(سورة الاسراء)

٭(مسألة)٭ وربما قيل في قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) كيف يصح قطع هذه المسافة في هذه الاوقات القصيرة وما فائدة ذلك ويصح منه تعالى أن يريه الآيات من دون ذلك وان كان المراد انه عرج به الى السماء كما روى في الخبر فذلك ممكن من المدينة ٭ وجوابنا ان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ولا تنكر في يسير من الاوقات ذلك كما جعل الله تعالى معجزة سليمان الريح بقوله تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) واذا كان الصلاح أن يريه الآيات التى ببيت المقدس فلا بد من أن يسرى به الى هناك ٭ وما

روى في خبر المعراج ففيه مايجوزأن يصح وفيه مالا يصح كاذكر فيه انه تعالى في مكان وانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب اليه ويعود ٭ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى من بعد في كتاب موسى (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) يدل على ان الهدى هو الدلالة والبيان لانفس الايمان كما يقوله المجبرة ٭ وقوله تعالى من بعد (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين) فالمراد به الاعلام كقوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الامر) ولذلك أضاف الفساد اليهم بقوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين) وقوله تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) يدل على قدرتهم على الامرين وانهم اذا أساؤا فمن جهتهم وبين تعالى بقوله (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين) ان الواجب على من يتلوه أن يتدبر ذلك فيكون داعية له الى التمسك بما هو أقوم وصارف عن طريقة من لا يؤمن بالآخرة ٭

٭(مسألة)٭ وربما قيل في قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) كيف يصح ذلك ومعلوم ان كون آية النهار مبصرة دون الليل لاصحة له مع وجود القمر ٭ وجوابنا ان ذلك يدل على انه تعالى يحرك الشمس في سمائها فاذا كانت بحيث يصح أن ترى كان نهارا واذا كانت بخلافه كان ليلا وان ذلك لا يكون بالطبع ولا بغيره على ماذهب اليه بعض الملحدة وذلك من عظيم نعم الله تعالى كما قال (لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

٭(مسألة)٭ وربما قيل في قوله تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه) ان ذلك لا يعرف في اللغة لانه لايقال فيمن له الحق أو عليه انه طائر في عنقه ٭ وجوابنا ان كتاب الله تعالى وصف بأنه عربي فما يوجد فيه يجب أن يعلم انه لغة إما مجاز وإما حقيقة واذا كنا نقبل ذلك متى ورد بشعر منظوم أو كلام منثور فلأن يلزم

ذلك لما ذكرناه أولى والمراد ألزمناه جزاء عمله وما يستحقه وذلك من فصيح الكلام وقد يقال فيما يخرج من سبب وحظ خرج لفلان الطائر بكذا فلا وجه لما قالوه والوجه فيه ظاهر لان الطائر يلزم المرء لا بحسب اختياره وربما يجتهد في دفعه فلا يصح نجعل تعالى مايستحقه على ذنوبه بهذه المنزلة ولذلك قال تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) فبين ان المطوى المكتوم الذي يمكن المرء اصلاحه بالتوبة يصير في الآخرة ظاهرا ولذلك قال تعالى بعده (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) قال الحسن البصرى لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك فكل ذلك زجر عن المعاصي وبين بقوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ان الاهتداء بالايمان والضلال بالكفر من قبل العبد وحقق ذلك بقوله تعالي (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وان أحدا لايؤاخذ بما يفعله غيره أكدذلك بقوله تعالي (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فاذا كان تعالى لا يعذب حتى يقيم الحجة بالرسل وبالبينات فكيف يجوزان يعذب المرء على أمر لم يقدر عليه وكيف يجوزأن يعذب الطفل بذنب أبيه وهو من لايقدر ولا يعرف الخير من الشر وكل ذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) أليس ذلك يدل على انه أراد منهم ذلك الفسق . وجوابنا انه تعالى لم يذكر ماأمرهم به ومعلوم انه لم يأمرهم بالفسق بل أمرهم بخلافه فكأنه قال تعالى (أمرنا مترفيها) بالطاعة (ففسقوا فيها فحق عليها القول) أى الوعيد والهلاك المعجل ولذلك قال بعده (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) وقد قرئ (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) فتأويله أمرناهم بمنعهم عن

المعاصي ففسقوا فيها وقد قيل ان معني قوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) ارادة الطاعة منهم والعبادة دون الهلاك فان ذلك قد يستعمل في اللغة على هذا الوجه فقد يقال اذا أراد العليل الهلاك تعاطى التخليط في المأكل لانه في الحقيقة يريد الهلاك وان أراد التاجر أن تأتيه البضائع من كل جهة فعل كيت وكيت لانه يريد ذلك في الحقيقة وما قدمناه أولا أقرب الى المراد والذى يحكى من القراءة الثانية وهوقوله تعالى (أمرنامترفيها) فالمراد به يقرب مما قدمناه اذالمراد كثرناهم ليطيعوا ففسقوا فيها ولذلك قال بعده (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) وكل ذلك ترغيب في الطاعة وتخويف من خلافها وقوله تعالى من بعد (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم) دلالة على انه يمكن العبد من الطاعة والمعصية فاذا أراد العاجلة ومايتصل بالهوى والشهوة لم يمنعه النعم وان كان يزجره عن ذلك وقوى هذا الزجر بقوله (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) ثم قال تعالى (ومن أراد الآخرة) يعني الفعل الذى يؤدى الى الثواب في الاخرة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) واذا وصف تعالى سعي العبد بأنه مشكور فقد عظم موقعه ثم بين انه لاجل المعصية لايمنع من الانعام المعجل فقال (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) فان عطاء المعجل تفضل وقد تكفل تعالى بهذا التفضل للعاصي والمطيع وانما يخص المؤمن بالثواب لانه ممالا يحسن أن يفعل الا بمن يستحقه كما لا يحسن منا الاعظام الا لمن يستحق وان حسن منا الهبات لمن يستحق ولمن لايستحق ٭ ثم بين أنه فضل بعضهم على بعض وان الفضل العظيم هو الفضل في الآخرة فقال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وبين تعالى في قوله (وقضى ربك

أن لا تعبدوا الا إياه) وقضاؤه لا يكون الاحقا ان المراد بذلك الالزام وبين في هذه الآيات جل جلاله جملة مما اذا تمسك بها المرء عظمت منزلته الى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) فدل بذلك على انه كاره للسيئات لا كما يقوله كثير من العامة انه يريد ذلك ويشاؤه كيف يجوز ذلك مع شدة نهيه عنها وزجره وتخويفه ووعيده وذكر تعالى في هذه الآيات من الآداب والاحكام نحو عشرين خصلة اذا تدبرها القارئ عظم نفعه بها وفى جملتها مايلزم فى حق الابوين وما يجب أن يتعاطاه فى تدبير النفقات وما ينبغى أن يستعمله فى حق الاولاد واليتامى وبسط ذلك يطول ٭ فان قيل كيف يقول تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وذلك مما لا يقع من أحد فكيف نهى عنه قيل له ليس المراد بذلك مايقتضيه ظاهره بل المراد أن لا يضيق على نفسه وعلى من تلزمه نفقته وهذا من أفصح الكلام فى وصف البخل ولذلك قال تعالى بعده (ولا تبسطها كل البسط) منع بذلك من التبذير ثم نبه على مايقتضى ذلك من الحسرة فيما بعد فقال (فتقعد ملوما محسورا) ثم بين تكفله تعالى بالرزق فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني بحسب المصالح وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على تدبر هذه الآيات بقوله تعالى من بعد (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) والمرء يلزمه أن ينظر ويتدبر في وصية الله للصالحين.

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) كيف يصح ذلك من الجمادات . وجوابنا ان من تدبر ذلك عرف المراد فانه تعالى قال من قبل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) يعنى اتخاذ قوم لا آلهة سواه ثم أتبعه بذكر الدلائل على التوحيد فقال (تسبح له السموات السبع) يعنى انها تدل على توحيده وتنزيهه عن الاشباه

فالمراد بتسبيح السموات والارض ومن فيهن ماذكرناه لأن المراد به القول الذى يسمى تسبيحا لان دلالة هذه الامور على توحيد الله تعالى أوكد من دلالة القول فهذا معناه وكذلك قوله تعالى (وان من شئ الا يسبح بحمده) يجب أن يحمل على ماذكرناه لانه لاشئ الا وله حظ فى الدلالة على توحيد الله وكذلك قال تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لان ذلك انما يعرفه من ينظر ويتدبر ومن هذا حاله قليل فى الناس.

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) كيف يصح أن يمنعهم من سماع القرآن الذى فيه الشفاء والبيان . وجوابنا ان المراد بذلك من المعلوم انه لا ينتفع بل يظهر منه الاذى للرسول ولذلك قال تعالى (أكنة) والمراد انهم لشدة انصرافهم عن الانتفاع به صار قلبهم بهذا الوصف وصاروا كالصم ولذلك قال تعالى (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به) فبين أنهم لا ينتفعون ويؤذون ولذلك قال من بعد (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) ثم قال (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا)

٭(مسألة)٭ وربما قيل فى قوله تعالى (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أما يدل ذلك على أنهم لا يقدرون على خلاف هذا الضلال . وجوابنا أنهم لا سبيل لهم بالطعن فى نبوتك الى تحقيق ما تنسبوه اليك من سحر وغيره وليس المراد أنهم لا يقدرون على الطاعة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) كيف يجوز فى تكذيبهم من قبل أن يكون مانعا لذلك . وجوابنا أن المراد الآيات التى لا ينتفع القوم باظهارها فقد كانوا يطلبون عين المعجزات

الظاهرة على الأنبياء كقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الى غير ذلك فبين تعالى أن جرى العادة بتكذيب الامم بمثل ذلك يمنع من أن يفعله تعالى ويحتمل أن يريد بذلك اهلاك المكذبين الذين لا يؤمنون كما جرت به عادته تعالى فيمن يكذب الأنبياء من الغرق وغيره من ضروب الاهلاك ولذلك قال بعده (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) فأما قوله تعالى (قل كونوا حجارة أو حديدا) فالامر فيه ظاهر أنه ليس بأمر وكذلك قوله (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) أنه تهديد وزجر فليس لاحد أن يسأل عن ذلك ولذلك قال بعده (وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وبين بن بعد أنه لا سلطان للشيطان الا من جهة الوسوسة الضعيفة فقال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) ويحتمل أنه يريد تعالى بذلك أهل الايمان والصلاح من حيث لا تؤثر فيهم وسوسة الشيطان .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كيف يصح ذلك مع علمنا بخلافه . وجوابنا أن المراد من ذهل عن تمييز الخير والشر فى الدنيا فهو بان يذهل عن ذلك فى الآخرة أولى وليس المراد اثبات العمى في الحقيقة بل هو ترغيب في التمسك بالطاعة وبين تعالى بعد ذلك الطافه التى خص بها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) وبقوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) وانما كان صلى الله عليه وسلم يمنع من هذه الامور بما جرت به عادة الله تعالى من صرفه عنها .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) كيف يصح منهم اخراجه من الارض . وجوابنا أن المراد

الارض المعهودة فهذه الالف واللام دخلتا على معهود فبين تعالى ما كانوا عليه من شدة المعاداة حتى هموا باخراجه من الارض المعروفة به صلى الله عليه وسلم وبين أن ذلك لو تم لهم لما لبثوا الا قليلا على سنة الله تعالى فيمن تقدم .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) ما فائدة اضافة الضعف الى الحياة والى الممات . وجوابنا أن ذلك وعيد بالعذاب المعجل في حال الحياة فى الدنيا والمؤخر الى الآخرة فأضاف ذلك العذاب الى الممات لما كان لا يموت الا بعده .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) ما الفائدة فى ذكر الحمد فى استجابتهم يوم القيامة . وجوابنا أن المراد انكم حامدون لله تعالى على نعمه المتقدمة وان أمركم الى النار والى المحاسبة الشديدة ويحتمل (فتستجيبون) استجابة حامد شاكر لا يمكن من جهتكم الامتناع .

(مسألة) . وربما قيل فى قوله تعالى (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) كيف يصح ان يخصه بأنه مشهود والله تعالى شاهد لكل شئ وكيف يضيف القرآن الى الفجر . وجوابنا أن المراد أقم القرآن الفجر فنبه بذلك على وجوب القراءة فى الصلاة وبين مالهذه الصلاة من الخصوصية بأنه يشهدها ملائكة الليل والنهار وقوله تعالى من بعد (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يدل على أن موقع هذا التهجد عند الله عظيم وان كان نفلا ومعنى عسى هو وقوع ذلك لا بمعنى الشك وعلى هذا الوجه قال المتقدمون فى عسى ولعل إنهما من الله واجبان .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة

المؤمنين) أليس يوجب ذلك أن بعضه شفاء ورحمة دون بعض · وجوابنا أن المراد أنه ينزل ما يدعوهم الى التمسك بالايمان ولا يجب ذلك فى كل القرآن و بعد فان ذكر بعضه بهذا الوصف لا يدل على أن سائره بخلافه ·

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) كيف يصح أن يكون هذا جوابه · وجوابنا أن المراد أنهم سألوا عن الروح ولماذا يحتاج الحى منا اليها فبين تعالى أن ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى ولم يسألوه عن نفس الروح ما هو وقد قيل إنهم سألوه عن جبريل صلى الله عليه وسلم فى وقت نزوله بالوحى دون وقت آخر وذلك مما لا حاجة بهم الى معرفته ولذلك قال بعده (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ثم بين تعالى عظم شأن القرآن بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فنبه بذلك على أن له من الرتبة فى الفصاحة ما لا تدركه العباد انفردوا أواجتمعوا ولو كانوا يقدرون عليه وانما صرفوا عنه لم يكن لهذا القول معنى و بين تعالى بقوله (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) أنه تعالى لا يجعل معجزات أنبيائه ما يوافق شهوة القوم وانما يظهر من ذلك ما يعلمه أصلح فلذلك قال وقد طلبوا تفجير الينبوع وطلبوا البيت من الزخرف وأن يرقى فى السماء وأن ينزل عليهم الكتب والجنة من النخل والعنب والسقاط الكسف من السماء وأن يأتى بالله والملائكة قبيلا بالكلمة الواحدة ما كان جوابا لهم وهو قوله تعالى (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) والمراد ان معرفتى بالمصالح مفقودة وأنه تعالى هو العالم بذلك · فبين أن بعثة الملك ليست لصلاح كبعثة البشر بقوله تعالى

(قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) فبين أن قبول الشرع للبشر من البشر أقرب ·

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) كيف يصح ذلك وهم يسمعون فى الآخرة ويتكلمون · وجوابنا أنه تعالى لم يذكر الا أنهم يحشرون كذلك لا أنهم يكونون بهذا الوصف أبدا فلا تناقض فى الآيات الواردة فى ذلك ·

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (قالوا لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) كيف يجوز أن يقول لفرعون ذلك مع ادعائه أنه الاله دون الله تعالى ·وجوابنا أنه لا يمتنع أن يجحد ذلك وان كان يعلمه طالبا لثبات ملكه وقد اتفق منه أشياء تدل على ذلك نحو قوله (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) وغير ذلك وانما يصح أن يسئل عن ذلك على أحد القرائتين فأما اذا قرئ لقد علمت فانما المراد موسى وقد عنى نفسه بذلك ·

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن) كيف يصح ذلك والمدعو هو الله تعالى · وجوابنا أن المراد الدعاء بذكر الله تعالى أو بذكر الرحمن فنبه تعالى على أنه متى دعا داع بأى اسم من أسمائه الحسنى جاز ولذلك قال تعالى (أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى).

•(سورة الكهف)•

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) كيف يصح أن ينفى عنه أن يكون قيما كما نفى عنه العوج

وجوابنا أنه لم يدخل في العوج وصار قوله قيما من صفات الكتاب كما أن قوله لينذر من صفات الكتاب فكأنه قال (ولم يجعل له عوجا) وجعله (قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه) وقد قيل إنه مؤخر في الذكر وهو مقدم فكأنه قال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وذلك في المعنى يؤدى الى ماقدمنا في الفائدة .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها) كيف يصح ذلك وعلى الارض مالا يصح كونه زينة للارض كالحشرات وغيرها وجوابنا أن المراد ماعلى الارض من شجر وزرع ونبات دون غيره لان قوله زينة لها يدل على ذلك ولان عده ذلك في جملة النعم يدل عليه ولذلك قال بعده (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وبين بعده بقوله (وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا) أنه يجعل الارض عند الحشر بخلاف ماهى عليه الآن .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) كيف يصح أن يبتديه بذلك وهو لم يعرف شيئاً من أحوالهم . وجوابنا أن مثل ذلك قد يقال في اللغة ابتداء لتوكيد ما يورد من الحديث وعلى هذا الوجه قال تعالى (أم حسبت أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالانعام) وقد قيل إنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فصح أن يعلمه الله تعالى به على هذا الوجه من القول .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) كيف يصح ذلك ومعلوم أن صفة الراقد خلاف صفة المستيقظ فيما يشاهد . وجوابنا أنهم كانوا وهم رقود بصفة المستيقظ فى فتح العيون والتبسم وذلك من آيات الله تعالى العجيبة وظاهر ذلك أنهم بقوا تلك المسافة الطويلة رقودا وذلك من آياته العجيبة

وان كان في الناس من تأول الآية على أنهم كانوا موتى لاجل قوله تعالى (وكذلك بعثناهم) ولا يقال ذلك إلا فيمن أحياه الله تعالى بعد الممات والاقرب الاول لانه اذا جعلهم راقدين هذه المدة الطويلة صح أن يقول بعده (وكذلك بعثناهم) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) أليس ذلك يدل على أنه تعالى يشاء كل أمر واقع قبيح وحسن . وجوابنا أن ذلك تأديب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته في أن لايقع منهم القطع على ما ذكر أنهم يخبرون به من الافعال لان القاطع على ذلك لا يأمن أن يكون كاذبا فينبغى أن يقيده بالمشيئة لانها تخرج الخبر من أن يكون مقطوعا به ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون صلى الله عليه وسلم لا يخبر بأمر المستقبل الامع العلم بأن الله تعالى قد شاءه وذلك لا يصح وقد كان صلى الله عليه وسلم يعزم على المباح كما يعزم على ماهو عبادة والله تعالى لا يشاء الا الطاعة ولولا صحة ذلك لحسن من أحدنا كما يقول تقول الصدق غدا إن شاء الله أن يقول أسرق وأزنى ان شاء الله وذلك محظور على لسان الأمة فالمراد اذا تعليق الكلام بالمشيئة ليخرج من أن يكون خبراً قاطعا لا ان تعلقه به على وجه الشرط .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أليس أضاف جل وعز ذلك الى نفسه . وجوابنا أن المراد من وجدناه غافلا ولولا ذلك لما صح أن يقول تعالى من بعد (واتبع هواه) وأن يذمه على ذلك وقد قيل إن المراد جعلنا قلبه خاليا عن الكتابة التى ذكر الله تعالى أنه يسم بها قلوب المؤمنين فى قوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) فلما أخلى قلبه عن ذلك وصفه بهذا الوصف فأما قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهو تهديد ولذلك قال بعده (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط

بهم سرادقها) وذكر الحسن بن أبي الحسن رحمه الله في قوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) ان ذلك يدل على أنه تعالى لا يشاء الا الطاعة فكأنه قال قلت القول الذي يشاؤه الله دون ما أوردته من قولك (ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة) وبين تعالى بقوله (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) كيف يتحسر على ما أنفقه وأمل فيه المنافع اذا خاب أمله وجعل ذلك لطفا في المحافظة على طاعة الله تعالى على ما يستحقه من ثواب الآخرة ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فقال (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) وبعث بذلك المكلف على الحرص على عمل الآخرة من حيث يدوم نعيمها وبين تعالى أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات أولى بتكلف المرء لها .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) كيف يصح في جميعهم أن يكونوا كذلك في حال المحاسبة . وجوابنا أنه ليس المراد أنهم يعرضون صفا واحدا بل المراد أنهم يعرضون من دون اختلال واختلاط فيشاهد بعضهم بعضا فمن ظهر أنه من أهل الخير يكون سروره بمعرفة الناس بحاله أعظم لوقوف الخلائق على صورة أمره ومن هو من أهل النار يعظم غمه وهو معنى قوله (يوم تبلى السرائر) وبين تعالى بعده التخويف الشديد من المعاصي بقوله (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) وذلك يدل على أن المرء يؤاخذ بالصغائر كما يؤاخذ بالكبائر اذا مات على غير توبة ومعنى (ووجدوا ما عملوا حاضراً) ثواب ما عملوا حاضرا لان عملهم قد فنى في الحقيقة وقوله من بعد (ولا يظلم ربك أحدا) يدل على أن المعاقب يستحق العقوبة على فعله وعلى أنه تعالى

منزه عن الظلم وسائر القبائح وقوله تعالى (إلا إبليس كان من الجن) يدل على أنه ليس من الملائكة وقوله (ففسق عن أمر ربه) يدل على أن الفسق هو الخروج الى عداوة الله وقوله (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) تحذير شديد عن اتخاذه وليا والقرب منه ولذلك قال (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) يدل على أن المضل لاجل اضلاله لا يعينه تعالى ولو كان الاضلال من قبله كما يقول المجبرة لما صح ذلك وقوله تعالى (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) يدل على أن الفعل للعبد فلذلك بكتهم على اتخاذ الشركاء من دون الله .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها)وصفهم بالظن وهم يعلمون ذلك في الآخرة . وجوابنا انه أراد بالظن العلم ولذلك قال عقيبه (ولم يجدوا عنها مصرفا) وقد يذكر في الامور المستقبلة الظن مع العلم لانه من باب مايجوز أن يقع ويجوز أن لايقع فمن حيث كان هذا شأن الشيء في نفسه وهذا حاله جاز أن يعبر عنه بذلك .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) كيف يصح ذلك وانما ذكر تعالى فيه بعض الامثال . وجوابنا ان ذلك مبالغة كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) ومذهب العرب في ذلك معروف والمراد من كل مثل يحتاج العباد اليه في أمر دينهم وماهذا حاله موجود في القرآن من صفات الامور الدنيوية وصفات الآخرة وغيرهما وقوله تعالى (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) يدل على انه الفاعل فيصح أن يجادل عن نفسه ولو كان كل تصرف مخلوقا فيه لما صح ذلك وقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا)من أقوى الادلة على ان الايمان فعلهم والامتناع منه كذلك لانه لا يصح

أن يقال للمرء مامنعك أن تكون طويلا صحيحا أو مريضا لما كان ذلك من خلق الله فيه وقوله تعالى من بعد (اذ جاءهم الهدى) يدل على ان الهدي هو البيان والدلالة ويدل على ان الاهتداء بهذا الهدى من قبله وقوله تعالى من بعد (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) يدل على ان العبد يستحق على فعله الطاعة مايبشر به من الثواب وعلى المعصية ماينذر به من العقاب ولو كان الامر كمايقوله المجبرة فى انه عز وجل يخلق الافعال فيهم وان له أن يعاقب من أطاعه ويثيب من عصاه لماصح ذلك وقوله تعالى (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) لايصح لولا أن الكفر من قبلهم ولو كان الله هو الخالق له فيهم لكان لهم أن يقولوا لاعيب علينا فى ذلك وان كان باطلا لان الله جل وعز خلقه فينا ولماصح أن يقول تعالى (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) وقد منعوا من خلاف ذلك وقوله تعالى من بعد (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) كيف يصح أن يبالغ تعالى فى وصفه بظلم نفسه وهذا الاعراض من قبل الله تعالى ولوشاء خلاف ذلك لما صح و بعد ذلك وصفهم بالاكنة والوقر لما لم يقبلوا ماأمروا به على وجه المبالغة والمراد ان ذلك مايؤنس منهم أن يختاروه فصاروا بمنزلة ما لايفقه ولا يسمع ولذلك قال تعالى (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) ثم بين تعالى رحمته بتأخير العقاب عنهم وهذه حالتهم فقال (وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) ولذلك يوصف تعالى بأنه حليم محسن الي من أساء كما انه محسن الي من أحسن فيمهل ولايعجل لئلا يكون للعاصي حجة يتعلق بها وليصح أن يقال له ما أوتيت فيما قدمت عليه الا من قبل نفسك وقوله تعالي (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) يدل على ان وعيده تعالي حق لايقع فيه خلف.

(مسألة) وربما قيل كيف قال تعالى (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) فاضاف النسيان اليهما ثم قال تعالى من بعد (قال لفتاه آتنا غداءنا) ثم قال (فانى نسيت الحوت) حاكيا عن فتاه ثم قال تعالي (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) وذلك كالمتناقض. وجوابنا انه تعالي أضاف اليهما النسيان لما بلغا مجمع بينهما ثم أضاف ذلك الي الفتى لما جاوزا واذا اختلف الحالان صح وقد يصح فيما يحمله المسافران أن ينسب الحال فيه اليهما لما كان لايتم ذلك الا بهما وقوله تعالي (وما أنسانيه الا الشيطان) دليلنا على ان الفعل للعبد لانه لو كان خلقا لله تعالي لكان قوله لو قال وما أنسانيه الا الرحمن أولى وأصوب ومتى قيل النسيان عندكم من فعل الله تعالي فكيف يصح ذلك . فجوابنا ان المراد بالنسيان هنا التقاعد والاهمال وذلك من فعل العبد فعلى هذا الوجه حصلت الاضافة.

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (قال انك لن تستطيع معى صبرا) كيف قطع فى ذلك وهو أمر مستقبل لايعرفه الاعلام الغيوب . وجوابنا ان ذلك من قول صاحب موسي وكان نبيا فيجوز انه تعالى عرفه ذلك ويحتمل انه لما كان عارفا بان الذى يفعله من خرق السفينة وقتل الغلام بالغ في التعجب منه مبلغا عظيما وان ذلك مما يتعذر الصبر عن معرفته علته (قال ان تستطيع معى صبرا) لما قوي ذلك في ظنه ولذلك قال تعالي (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) وقول موسى صلى الله عليه وسلم (ستجدنى ان شاء الله صابرا) يدل على قوة عزمه على الصبر ثم قال بعده (فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالي (انك لن تستطيع معي صبرا) ان ذلك يثقل عليه فقد يقال ان فلانا لايقدر على سماع كلام فلان وأراد انه يثقل عليه.

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) عند خرق السفينة وقتل الغلام أليس ذلك يدل على ان القدرة مع الفعل فنفى استطاعته عن الصبر لما لم يصبر . وجوابنا ان المراد ليس هو الاستطاعة التي هي القدرة بل المراد ثقل ذلك عليه لما رأى الامر العجيب ولم يعرف تأويله ووجه الحكمة فيه فلذلك قال تعالى (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فبين انه انما لم يستطع الصبر لانه لم يعرف تأويله ولو عرفه كان يستطيع وهذه الاستطاعة هي بمعنى ما يثقل على المرء ويخفف .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف قال تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعيبها) ثم قال تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فانه اذا كان يأخذ كل سفينة فكيف يصح أن يقول ذلك . وجوابنا ان المراد يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وذلك ما يعقل من الكلام بقوله تعالى (فاردت أن أعيبها) لانه نبه بذلك على ان ذلك الملك كان ينصرف عن أخذ المعيب من السفن الى أخذ الصحيح فاما قوله جل وعز (وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) فان من تدبر يعرف به حكمة الله تعالى وعدله وانه يفعل بالمكلف أقرب الاشياء الى طاعته وانه تعالى ينفي عنه ما يدعوه الى معصيته فامر عز وجل صاحب موسى بقتل الغلام لما كان لو بلغ كان بلوغه داعية كفرهما ويدل أيضا على ان الكفر من فعلهما لانه لو كان خلقا من الله تعالى لم يصح ذلك وقوله عز وجل (وما فعلته عن أمري) يدل على ان ذلك كان من أمر الله تعالى واذنه .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها

تغرب في عين حمئة) كيف يصح أن يجدها تغرب في شيء من الارض وهي انما تغرب في مجارى غروبها . فجوابنا انها تغرب على وجه يشاهد كذلك كما توجد الشمس تغرب في البحر اذا كان المرء على طرفه وكما يقول المرء ان الشمس تطلع من الارض وتتحرك في السماء والمراد بذلك ما ذكرناه من تقدير المشاهدة وقوله تعالى من بعد (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) يدل على ان ذلك الظلم فعل العبد وعلى ان هذا التعذيب فعل ذى القرنين فلذلك أضاف العذاب المتقدم الى نفسه ثم العذاب المتأخر الى ربه .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قصة يأجوج ومأجوج كيف يصح وصفه لهم بأنهم (لا يكادون يفقهون قولا) ثم وصفهم بأنهم يفسدون وكيف يصح قوله تعالى (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وكيف يصح أن يبقوا على الزمان لا يستطيعون ذلك حيث يقول تعالى (فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء) يعني الحشر . وجوابنا ان قوله (لا يكادون يفقهون قولا) يحتمل مع كمال عقلهم للمباينة في اللغة ويحتمل خلافه فلا يدل على ما ذكروا وقوله (مفسدون في الارض) يحتمل أن يكون مع كمال العقل ويحتمل مع فقده كما يقال فيمن لا عقل له انه يفسد الزرع بل يقال ذلك في البهائم وذلك السد معمول بالصفر وما يجرى مجراه فصح أن لا يمكنهم التأثير فيه لفقد الآلات ولقوة السد واحكامه ويحتمل انه تعالى يصرفهم عن الشغل بذلك فيبقى الى يوم القيامة . واختلفوا في يأجوج ومأجوج فمنهم من قال هم غير مكلفين ومنهم من قال يجوز أن يكون تكليفهم بجميع العقلى والشرعى بان يسمعوا الاخبار ممن يقرب من السد فتتواتر عندهم ومنهم من قال بل تكليفهم بالعقلى دون الشرعى الذي لم تبلغ دعوته اليهم ثم ذكر تعالى من بعد ما تعظم الفائدة به لمن تدبره فقال سبحانه (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)فبين تعالى ان أعمال من لا يحفظ عمله فيفسدها بالكفر والفسق تكون الى خسار وتبار وتصير كالحسرة في الآخرة فلذلك قال الذين ضل سعيهم والمراد ذهب هدرا ولذلك قال آخرا (فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا)فنبه على ان كل من حبط عمله يكون حكم سعيه في الخيرات هذا الحكم ثم بين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم يحبطوا مافعلوه(كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا) فان مساكن الدنيا قد يبتغى المرء عنها حولا وليس كذلك الجنة وفي قوله تعالى عز وجل (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي)ماذا تأمله العاقل علم ان كلمات الله تعالى لاتحصر وانه قادر على مالا نهاية له ومن هذا حاله كيف يصح أن يقال محدث أومخلوق .

﴿ سورة مريم ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (واجعله رب رضيا) أليس يدل على ان صلاحه من قبل الله تعالى . وجوابنا أن الرضا قد يكون كذلك بأمور يفعلها الله به من كمال العقل والحزم ومن النبوة وغير ذلك فلا يصح تعلقهم به

(مسألة) وربما سألوا وقالوا كيف خاف زكريا صلى الله عليه وسلم الموالي فرغب الى ربه أن يرزقه ولدا يرثه وحق الانبياء ولم الفكر في أمور الدنيا . وجوابنا انه لم يعن وراثة المال بل عني وراثة العلم والدين والنبوة فاراد أن يكون ذلك في داره ولم يذكر أيضاً ما الذي خافه من الموالي وقد يحتمل أن يكون خاف منهم التغير اذا مات فاحب أن يكون هناك من يقوم مقامه في النبوة حتى لا يتغيروا

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ما الفائدة في ذكر الاسم واللقب والشكل في ذلك سواء وما الفائدة في قوله (لم نجعل له من قبل سميا) ولو جعل له سميا لم تتغير البشرى . وجوابنا ان من تمام نعمة الله أن يرزقه المسمى ويتولى اسمه لان ذلك يكون في الانعام أزيد وكذلك اذا لم يكن لمن قبل من يساويه في الاسم كان الاحسان أعظم

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) كيف يستبعد ذلك وهو نبي وقد بشره الله تعالى به لاجل ما ذكره . وجوابنا أن ذلك استبعاد من حيث العادة لا من حيث القدرة وذلك يصح في الأنبياء كما يصح في غيرهم ولو أن نبيا من الانبياء بشر من بالبادية بنهر جار لجاز أن يقال كيف يصح ذلك في هذا المكان فيكون استبعادا من حيث العادة لا من حيث القدرة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) أليس ذلك يدل على أن المعدوم ليس بشئ . وجوابنا أن المراد ولم تك شيئاً على الوصف الذي أنت عليه من الفضل والنبوّة فاذا صح أن أخلقك على هذا الوجه صح أن أرزقك ولدا مع كبرك فلا تستبعد ذلك في القدرة وجواز مثله في العادة وقوله تعالى (يايحيى خذ الكتاب بقوّة)فيدل على أن القوّة قبل الفعل على مانقول والا كان لايصح ذلك كما لا يصح ممن لايد له أن يقال خذ بيدك فأما قوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا)فيدل على أن مخالفة الصبي للبالغ هو من حيث العادة لا من حيث القدرة وقوله (وحنانا من لدنا) أراد به الانعام العظيم عليه بأن جعله نبيا وناصحا وباعثا على الخيرات وقوله تعالى (قال رب اجعل لي آية) لا يدل على أنه لم يكن واثقا بما بشر به على ماروى عن بعضهم أنه شك في البشرى بل مراده بذلك التوكيد لما بشر به اذ لم يجعل له آية تدل على

الوقت الذى يرزق فيـه الولد وان كان قد عرف بالبشارة ذلك لـكنه جوز التقديم والتأخير .

« مسألة » ورىما قيل فى قوله تعالى (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أليس ذلك يتناقض لانه اذا كان تقيا استغنى فيه عن التعوذ وكان الاقرب أن يقول اني أعوذ بالرحمن منك ان لم تكن تقيا • وجوابنا أنها قالت هذ القول وهى لا تعرفه فقالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت ممن يتقيه ويخشى عذابه على وجه التخويف كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى وقوله تعالي (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) يدل على أن خلقة الملائكة مخالفة لخلقة الناس فتمثل بهذه الخلقة ويدل علي تقارب خلقتهم في البنية لخلقة البشر وان كانت لهم آلات وعظام يجوز أن تنفصل وتتصل وانما أنزل اليها جبريل صلي الله عليه وسلم وان كان نزوله من المعجزات علما لزكريا صلي الله عليه وسلم فقد كان نبيا فى الوقت وقول مريم (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) لا يدل على كراهتها لما قضاه الله فيها وفى ولدها وانمـا تمنت ذلك من حيث يعصى الناس فى أمرها لخروجه عن العادة ولما يلحقها من الخجل •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (يا أخت هارون) كيف يصح أن يقال لها ذلك وبينها وبين هارون أخى موسى الزمن الطويل • وجوابنـا أنه ليس فى الظاهر أنه هارون الذى هو أخو موسى بل كان لها أخ يسمى بذلك واثبات الاسم واللقب لا يدل على أن المسمي واحـد وقد قيل كانت من ولد هارون كما يقال للرجل من قريش يا أخا قريش .

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (فأشارت اليـه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتانى الـكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا

أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) فـكيف يصح للطفل أول ما يولد أن يتكلم بذلك وأن يكلف الصلاة والزكاة وأيّ فرق بين من يجوز ذلك و بين من يجوّز تكليف الموتى • وجوابنا أنه تعالى قادر على اكمال عقله وتقوية جسمه في تلك الحالة وان كان كلا الامرين يحصل فينا في العادة في الوقت الطويل بالتدريج واذا كان كذلك وألهمه الله تعالى هذا القول صح أن يقول ما قال وصح سائر ما وصف به نفسـه أوليس يوجب قوله وأوصانى بالصـلاة والزكاة انه في هذا الوقت خاصـة لان الوصية تقدم وتتأخر وإنمـا جعل الله معجزة عيسى صلى الله عليه وسلم في حال ولادته لما كان في ذلك من ازالة الريب بذلك عن القلوب و بغير هذه الآية لا يكاد يزول .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) كيف يصح في أمر محال أن يقال ما كان لله أن يفعله وانمـا يصح ذلك فيما يصح ويمكن ولذلك لا يقال ما كان لزيد وهو شاب أن يلد رجلا شيخا لانّ ذلك يستحيل • وجوابنا أن القوم كانوا ينسبونه الى ذلك فنفى عن نفسه على الوجه الذى كانوا يضيفونه اليه ولذلك قال (سبحانه) فنزه نفسـه عن ذلك وبين أن كل الاولاد من خلقه وأنه القادر على خلقهم فلا يجوز عليه الولادة وقد يقال ذلك بمعنى البيان والدلالة اذا دلّ و بين أن ذلك لا يجوز عليه .

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (يا أبت لا تعبد الشيطان) كيف جاز من ابراهيم عليه السلام أن يقول ذلك ولم يكن أبوه ممن يعبد الشيطان • وجوابنا أنه أراد لا تتبعه ولا تطعه كما روى فى تفسير قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقال صلى الله عليه وسلم لم يتخذوهم أربابا بالعبادة لـكن

أطاعوهم فى التحليل والتحريم ولذلك قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) لانه كان يعبد الاصنام فلا يجوز أن يريد بقوله (لا تعبد الشيطان) الا ما ذكرنا ولذلك قال من بعد (فتكون للشيطان وليّا) ومعنى قوله من بعد (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي) انه ان تاب وقبل قول ابراهيم يستغفر له ويرجو له الثواب والنجاة لأنه لا يستغفر له وهو على اصراره على الكفر

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب) كيف يصح ذلك وولادة اسحق كانت بعد ذلك بزمان وولادة يعقوب أبعد من ذلك . وجوابنا أنه تعالى بين أنه لما اعتزلهم لم يدعه فريدا وحيدا بل خلق له الاولاد وليس فى ذلك ذكر وقت مخصوص

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » كيف يصح ذلك وليس فى الجنة ليل يتلوه نهار . وجوابنا أن المراد بذلك تقدير وقت الاكل فقدر جل وعز بما جرت به العادة لان هناك نهارا بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الاوقات على حسب أوقات الليل والنهار وقد قيل إن هناك من الحجب وغلق الابواب ثم فتحها ورفع الحجب ما يدل على ذلك وبين تعالي من صفتهم ما تشتد فيه الرغبة فقال تعالي « لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما » وقال « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا » .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى « وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا » ما المراد بذلك . وجوابنا أنه بين به أنه مالك الافعال فى الاوقات الماضى والمستقبل والدائم وأن التقديم والتأخير سواء فى أنه عالم به ولذلك قال بعده « وما كان ربك نسيا » وربما يتعلق بعضهم بقوله « رب السموات والارض وما بينهما » وقال بينهما أفعال العباد فيجب أن يكون ربها وذلك يدل على أنه

يكون خالقها . وجوابنا أنما بينهما هو الاجسام كالهواء وغيره فلا مدخل لافعال العباد فى ذلك وبعد فقد يقال انه تعالى ربنا ورب أفعالنا لما صح منه أنه يمكن منها ويمنع منها ولذلك قال بعده (فاعبده) وذلك بين خروج العبادة وماجرى مجراها مما ذكر أولا ومعنى قوله (هل تعلم له سميا) أى مثلا ونظيرا فذكر الاسم وأراد المسمى فليس لاحد أن يسأل عن ذلك .

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) بعد ذكر جهنم أليس يدل ذلك على ان كل من يحشر يرد النار فكيف يصح ذلك فى أهل الثواب . وجوابنا أنه بمعنى القرب منها لا بمعنى الوقوع فيها كقوله تعالى فى قصة موسى (ولما ورد ماء مدين) وهذه طريقة العرب فى الورود بمعنى القرب ولذلك قال بعده (ثم ننجي الذين اتقوا) لانهم اذا قربوا سلك بأهل الثواب مسالك الجنة وأدخل أهل العقاب النار ولا بد أن يتأول على ما ذكرناه فانه تعالى بين أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن هذه حاله لا يجوز أن يلقى فى النار ويظن به ذلك وبين تعالى بعده بقوله (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أنه عز وجل يخص المهتدى بألطاف من حيث آمن واهتدى وأن ذلك يؤديه الى الباقيات الصالحات . وذكر قبله (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) أنه تعالي يبقيهم ليزولوا عن الضلالة ويفعل بالمهتدين الهدى ليثبتوا على الايمان .

﴿مسألة﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) كيف يصح قولكم إنه إتعالى زجرهم عن الكفر بأقوى زجر وعن القبول من الشيطان وهو يقول ذلك . وجوابنا أن المراد خلينا بين الشيطان وبينهم ولم نمنع من ذلك لما فيه من المصلحة وعلى هذا الوجه يقال فيمن ربط

الكلب على باب داره ولم يمنعه من الوثوب على من زاره قد أرسلت كلبك على الناس وفى قوله (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً) دلالة قوية على ما تأولنا عليه قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا) كيف يصح أن يعظم ذلك هذا التعظيم ثم يأمرنا بأن نقرهم عليه بأخذ الجزية . وجوابنا أن الله تعالى ماعظم الا العظيم من القول والكفر وقد كان يجوز أن لا يخلق من يكفر لكنه تفضل وكلف لكي يؤمنوا وكذلك لا يمنع أن يأمرنا بأن نقرهم على وجه أقرب الى أن يؤمنوا عند المخالطة وسماع التوحيد وعند ما ينالهم من الذل بدفع الجزية و بين أن كل من في السموات والارض خلقه وهو قادر على اضعافه فلا يجوز أن يتخذ منهم ولدا مع قدرته على أن يكونوا له عبيدا .

•(سورة طه)•

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) ماالوجه في أن يقول بعده (الرحمن على العرش استوى) . وجوابنا انه تعالى عظم شأن القرآن من حيث كان تنزيلا ممن خلق الارض والسموات ثم أتبعه بما هو أعظم من ذلك فقال (الرحمن على العرش استوي) والمراد استولى واقتدر عليه لان العرش من أعظم ماخلق فنبه على انه اذا كان مقتدرا عليه مع عظمه وعلى السموات وعلى الارضين و يملك مافي السموات ومافى الارض وما بينهما وماتحت الثرى فاعلموا عظم محل القرآن لصدوره عن هذا وصفه وتمسكوا بآدابه وأحكامه فذلك بعث من الله تعالى على تدبر القرآن وقد بينا من قبل

بطلان قول المشبهة بأنه تعالى استوي على العرش وقلنا ان من يصح ذلك عليه يكون حاذا صورة ومن هذا حاله يكون محدثا محتاجا الى مصور فالمراد الاستيلاء والقدرة كما ذكرناه

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) مامعنى قوله (وأخفى) ولاشئ أخفى من السر . وجوابنا ان مايخطر بالقلب و يحدث المرء به النفس أخفى من السر فنبه علي عظم شأنه والعلم بذلك ثم قال (الله لااله الاهو له الاسماء الحسنى) فنبه بذلك علي مايجب من ذكر أسمائه التي تفيد عظم شأنه علي ماقدمه من قوله (تنزيلا ممن خلق الارض) ولا فائدة فى ذكر أسماء الله الا بأن ينوي المرء بها ماتفيده مما يقتضى تعظيمه واجلاله .

(مسألة) وربما قيل مافائدة قوله تعالى (انى أنا ربك فاخلع نعليك) واذا جاز أن يكون عليه سائر ثيابه فما المانع من أن يكون لابسا لنعليه مع كونه في الوادى المقدس . وجوابنا ان النعلين تلبسان لاعلي حد مايلبس سائر الثياب ولذلك لايلبسهما المرء في بيته وانما يلبسهما لدفع الاذى فى المواضع التي تخشى فيها النجاسات وغيرها وعلي هذا الوجه جرت العادة فيمن يعظم المكان انه يخلع نعله فاراد تعالى تنبيه موسي علي عظم محل الواد المقدس وأحب أن تلحقه بركة ذلك الوادي وهو يباشره برجله وأحب أن يعرفه عظم محله بهذا الصنيع هذا وقد روي فى نعليه انهما كانا من جلد حمار ميت فان كان كذلك فهما أولى مايخلع والا فالذي قدمناه وجه صحيح

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالي (لااله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) مافائدة قوله (لذكرى) والصلاة لاتقام الا لذكره تعالي . وجوابنا ان قوله

(لذكري) يرجع الي الصلاة والي العبادة جميعا فكانه قال فاعبدني لذكري وأقم الصلاة لذكري وهما جميعا لا يصحان الا اذا كان المرء ذاكرا لله تعالى وتوحيده لان الغافل عن ذلك لا يعتد بما فعله وعلى هذا الوجه يجتهد المرء في الصلاة أن يتحرز من السهو فيكون ذاكرا لله قاصدا بما يأتيه الي عبادته وخص تعالى الصلاة بالذكر وان دخلت في جملة العبادة تفخيما لشأنها

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) مافائدة قوله تعالى (أكاد أخفيها) . وجوابنا ان المراد أخفي مافيها لما في ذلك من المصلحة فان أراد تعالى أخفي موت كل أحد ففي ذلك مصلحة لانه متى علم وقت موته كان ذلك اغراء بالمعاصي ان تطاول والجاء الي الطاعة ان تقارب وان أراد تعالي مايظهر من زوال التكاليف وحصول اشراط الساعة فقد أخفاها والمصلحة فيها ظاهرة لما بينا فلما كان ذلك مصلحة أخفاها تعالى وذكر ذلك بهذا اللفظ معتاد لقرب الامر والفائدة فيه أن يظن قربها فيكون المرء الى الطاعة أقرب ولذلك قال تعالي (لتجزى كل نفس بما تسعى)

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ان هذان لساحران يريدان) لحن ظاهر فكيف يجوز ذلك في القرآن . وجوابنا ان كثيرا من القراء قرأ ان هذين وهي مروية عن الحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وعاصم وقد حكي عن الزهري وغيره انه قرأ (ان هذان لساحران) بتخفيف ان وروى أيضا ذلك عن عاصم وبعد فاذا جاز في الحقائق أن يعدل عنها الى المجاز في كتاب الله لم يمتنع مثل ذلك فيما ذكرنه فيكون تعالى ذكر إن وأراد غيره كما قيل ان معناه نعم واجل وقد قيل ان ذلك لغة بني الحارث بن كعب يقولون رأينا الزيدان وقيل شبهت الالف بقول القائل يفعلان فلم تغير قال الزجاج

فيها اضمار والمعني انه هذان لساحران وقيل لما كان هذا يستعمل في موضع الرفع والنصب والخفض على أمر واحد لم تغير التثنية وأجريت مجرى الواحد واذا كان في القرآن يدعى الحذف في مواضع كثيرة ليصح المعنى فما الذي يمنع من أن يدعى في ذلك حذف يخرج معني الكلام من أن يكون لحنا واذا صح ذلك فالحذف الذي يصح فيه كثير لا معني لعده

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (قال بل ألقوا) كيف يصح من موسى عليه السلام أن يأمر بذلك وهذا الفعل منهم قبيح . وجوابنا انه أمر بشرط فانه قال ان كنتم محقين فيما تدعون فافعلوا وهذا كما يقول الحاكم للمنكر احلف على ماأنكرت فيكون مراده مثل ذلك ولا يمتنع أن يقال ان الالقاء اذا انكشف به المعجز من موسى صلى الله عليه وسلم جاز أن يحسن من وجه فلا يكون قبيحا من كل وجه .

(مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسي قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) كيف يخاف موسى وهو عالم بما يظهر عليه وانه يكشف عن بطلان ماأتوه . وجوابنا انه يجوز أن يكون خائفا على قوم قد شاهدوا مافعلته السحرة أن يفسدوا ويثبتوا على فسادهم خصوصا ان تأخر أمره تعالى بالقاء العصى ومن تأمل حال فرعون وقومه مع كثرتهم كيف ذهلوا عن القبول من موسى صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره علم ان شهوة المرء وهواه سلطان عليه فيجب أن يتحرز التحرز الشديد من اتباع الهوى وايثار الدنيا علي الآخرة ويبذل الجهد في اتباع الحق وان شق وأوجب مفارقة الالف والعادة ومفارقة السلطان والرياسة وكذلك القول في السحرة الذين آمنوا بموسي صلى الله عليه وسلم لما رأوا أمره الذى بهرهم كيف انقادوا واختاروا الايمان وحسن العاقبة على القتل والصلب فالمحكي

عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال أصبحوا من أهل النار وأمسوا من أهل الجنة كلام هذا معناه وروى انهاأ كرههم على ذلك السحر لقولهم (وماأ كرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) ثم قال سبحانه قالوا (إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيي ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) فان كان هذا من قول السحرة دل على استبصار منهم وان كان من كلامه تعالى دل على ان دار المجرمين غير دار الصالحين المؤمنين وقوله تعالى (وأضل فرعون قومه وماهدى) يدل على شدة الذم له وعلى انه تعالى لا يضل عن الدين وانه أراد باضافة الضلال الى نفسه ماتأولناه من ان المراد به العقاب وما يتصل به ولذلك قال تعالى (وما يضل به الا الفاسقين) (و يضل الله الظالمين) ثم قال (ان الله لايهدى من هو كاذب كفار) الى غير ذلك

٥(مسألة ٥) وربما قيل فى قوله تعالى (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ماالوجه فى ذلك وقد آمنوا به • وجوابنا ان المراد بذلك تشديد المحنة على أمة الرسول لان في حال حياته تكون المحنة أخف منها بعد وفاته وكذلك حال حضوره تكون المحنة أخف من حال غيبته ولذلك قال تعالى (وأضلهم السامرى) بما اتخذه من العجل.

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) والوصف المتقدم هو الاهتداء • وجوابنا انه لزم هذه الطريقة وحفظها وذلك غير الوصف الاول وفي ذلك دلالة على ان المكلف يجب أن يكون حافظا لما كلف من الطاعات لينتفع بذلك.

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل ما معنى قوله تعالى حكاية عما لم يعبد العجل من بنى

اسرائيل (ماأخلفنا موعدك بملكنا) وما الفائدة فى ذلك لان هذا الكلام لامعنى له • وجوابنا ان مرادهم انا لم نجد السبيل الى رد من عبد العجل ولم نتمكن من ذلك فلم نخلف ما كنا وعدناك من انكار مثل ذلك.

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (قال يا ابن أم لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) كيف يجوز ذلك على الانبياء وقد أدبه الله تعالى بقوله (فقولا له قولا لينا) فأمره بذلك في معاملة فرعون و يفعل بأخيه مثل هذا الفعل • وجوابنا ان ظاهر ذلك لايدل على ان موسى فعل وان كان هرون جوزان يفعل والذى في القرآن انه أخذ برأسه يجره اليه ليظهر لبني اسرائيل غضبه عليهم ومثل ذلك يحسن كما يحسن ان يأخذ نفسه فأحب هرون أن لايفعل ذلك وان كان فيه انكار واظهار للغضب و يفعل مايقوم مقامه

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل كيف يجوز في نبى من أنبياء الله أن يقول (وانظر الى الهك الذي) فسمى العجل الذي اتخذه إلها • وجوابنا ان مراده ما اتخذته الها على وجه التوبيخ ولذلك قال بعده (لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو) •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا) كيف يصح أن يخفى عليهم ذلك مع كثرتهم لانه تعالى قال (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) • وجوابنا ان المراد لبثهم بعد الممات فان ذلك يخفي ولا يعلم ولم يتفقوا على ذلك كما قال تعالي (اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما)

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي) كيف يصح هذا الوصف وقد ثبت أنهم فى الآخرة يبصرون كما قال تعالى (ورأي المجرمون النار) وكيف يصح أن يكون

معيشهم ضنكا وفيهم من ليس هـذا وصفه . وجوابنا انه تعالى يحشرهم عميا ثم يبصرون لان أحوال الآخرة مختلفة وقد قيل مشبها بالاعمي لما ينزل به من الحيرة ومتى قيل كيف يصح ذلك مع قوله تعالى من قبل (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) وهذا صفة للبصر . فجوابنا ان المراد نحشرهم زرقا عميا ثم يبصرون وقد قيل شبه الاعمى بالازرق لذهاب السواد عن البصر وقوله من بعد (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) يدل على أنهم مع معرفتهم بالآخرة فانهم آمنون

(سورة الانبياء)

❊(مسألة)❊ وربما قيل فى قوله تعالى (قل ربى يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية) مافائدة تكرار هذه الكلمة وكيف ترتبط بما تقدم ولم يتقدم في الكلام جحد فتليق به هـذه الكلمة . وجوابنا انه تعالى قد ذكر عن الكفار الجحود بقوله (لاهية قلوبهم وأسروا النجوي الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم) فبين تعالى بعده انه عالم بجحودهم ثم ذكر (بل قالوا أضغاث أحلام) فبين اختلاف أقاويلهم وان فيهم من قال ان الذي يأتينا من المنامات المختلفة وقال بعضهم افتراه وقال بعضهم هو سحر وانهم تحيروا في أمره فذكر تعالى انكارهم لنبوته وحقق ذلك بما حكاه عنهم بقوله (بل قالوا أضاث أحلام) وبين بقوله (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) انه فى ازاحة العلة ببعثة الانبياء قد بلغ الغاية فلم يبعث من نسب الي نقص فيكون في بعثته تنفير عن القبول منه

❊(مسألة)❊ وربما قيل فى قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) كيف يعرف انه لم يرسل الا الرجال فيرجع الى مسألة أهل الذكر . وجوابنا ان أهل الذكر والعلم يعلمون ان بعثة الانبياء اذا كانت للمصلحة والدعاء الى الطاعة فلابد من أن يكون المبعوث لا نقص فيه ولا عيب ينفر عنه وبين تعالى بقوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) لاعبين انه خلق ذلك على وجه الحكمة وعرض للثواب العظيم وخلق ما يكون لعبا وهو معنى قوله تعالى (ماخلقناهما الا بالحق) ومعنى قوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) ثم حقق ذلك بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وقال لمن خالف الحق (ولكم الويل مما تصفون) ثم بين تعالى حال عبادة الملائكة له وخضوعهم وانهم لا يستكبرون عن عبادته وكل ذلك ترغيب لنا فى الطاعة ثم قبح تعالى فعلهم فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض) تبكيتا لهم ثم بين فساد ذلك بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فبين انه لو كان يدبرهما آلهة لفسدتا لما عليه بأن يريد أحدهما أن يكون ليلا والآخر نهارا أو يريد أحدهما أن يكون حر والآخر برد فكان التدبير فيهما يفسد وهذا هو دليل علماء التوحيد فى انه لا ثاني لله تعالى قد نبه سبحانه عليه بهذه الكلمات اليسيرة ونزه نفسه عن هذا القول بقوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ثم بين تعالى حكمته في فعله بقوله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) لان من كل أفعاله حكمة لا يسئل عن فعل وانما يسئل من فى فعله سفه كان من فى فعله قبيح وذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة لانه لو كان كل ظلم وقبيح من فعله كان يجب أن يسئل عما يفعل تعالى الله وبين بقوله (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) ان من لا حجة معه فيما يأتيه فهو جاهل وفي ذلك دلالة على فساد التقليد وان كل قول لا برهان معه لا يصح ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) فنبه بذلك على ان المحق هو الاقل ثم نبه على بطلان قول النصارى فقال (وما

أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لااله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) فبين ان منزلة عيسى وسائر الانبياء انهم مكرمون ومعظمون وانه منزه عن الولادة ونزه نفسه عن ولادة الملائكة كما كانت العرب تقوله من انهم بنات الله تعالى فقال (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) و بين انهم (لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) و بين بذلك ان الشفاعة لاتكون الا لمن ارتضي الطريقة و بين انهم مع عبادتهم العظيمة يشفقون و كل ذلك ترغيب لنا في العبادة وفي العدول عن الاباطيل من المذاهب و بين تعالى بقوله (ومن يقل منهم إني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) ان من تكبر وأنزل نفسه عن منزلته فهو معذب عليه وان كل من قال ذلك فهذا سبيله ثم بين تعالى دلالة حدوث الاجسام بقوله (أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) وهذا هو دليل علماء التوحيد لانه اذا لم يخل من الاجتماع والافتراق وهو الرتق والفتق يجب أن يكون محدثا فلو لم يكن فى كتاب الله من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وغيرهما الا ما ذكرناه فى هذه الآية لكفي وكيف يذهب عن ذلك من يزعم انه ليس فى الكتاب التنبيه على علم الكلام ولا في السنن مع الذى ذكرناه ثم بين تعالى عظم نعمه بقوله (وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم) الآيات وقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فنبه بذلك على انه خلق هذه النعم للمكلفين وان تكليفهم منقطع وان مراده تعالى أن يثيبهم لدار أخرى وهى دار الخلود دون هذه الدار فلذلك قال (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فبين انه يكلف ثم يميت ثم يجازى

《 مسألة 》 وربما قيل فى قوله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أليس يدل ذلك على أن الشر كالخير فى أنه من قبل الله تعالى . وجوابنا أن البلوى انما

تقع بالامر والنهى ولا شبهة فى أنه جل وعز لا يأمر بالشر فالمراد به فى هذه الآية المشاق والآلام وأنه تعالى يبلو المكلف بذلك كما يبلوه بالخير و ينزل به المصائب والامراض كما يعاقبه و بين أن حال الدنيا ليست كحال الآخرة التى لا يتغير ما بأهلها إما عقاب يدوم وإما ثواب خالص يتصل بهم ولو كان الشر من قبل الله تعالى لوجب أن يوصف بأنه شرير اذا أكثر منه وعندهم لا شر الا من قبل الله والله يتعالى عن قولهم علواً كبيراً وقوله تعالى (والينا ترجعون) يدل على أن المراد ما قدمناه وأنه يجازيهم على ما ابتلاهم به عند رجوعهم اليه والمراد بقوله (والينا ترجعون) الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه لأنّ في دار الدنيا قد فوض تعالى هذه الامور الى غيره وفى الآخرة لاحاكم سواه وهذا كما اذا تنازع الخصمان فانهما يقولان يرجع أمرنا الى فلان والمراد هو الذى يفصل فى ذلك ويحكم فلا دلالة للمشبهة فى شئ من ذلك .

《 مسألة 》 وربما قيل مامعنى قوله جل وعز (خلق الانسان من عجل) ومعلوم أنه ليس بمخلوق من ذلك بل لا يصح ذلك فيه . وجوابنا أن ذلك من الكلام الفصيح فى الانكار والتبكيت فمن يكثر غضبه يقال له كانك خلقت من الغضب ومن يكثر نسيانه يقال فيه ذلك فنبه تعالي على أن الواجب على المرء التوقف والتثبت وتأمل ما يلزمه من الادلة وغيرها فلذلك قال بعده (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) وقال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يستعجلون لانفسهم العذاب جهلا منهم كما قال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنها الحق) ولذلك قال تعالى بعده (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون) ثم أنه

تعالى عزى رسوله صلى الله عليه وسلم في اختلافهم عليه وفي عنادهم فقال (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون) فبين أن الواجب فيما يفعل أن ينظر في عواقبه فاذا كانت العاقبة مكروهة لم يحسن أن يغتبط بها لخلافهم عليك يا محمد اذا كان يعقب مثل ذلك فهو وبال ودمار ثم بين تعالى أنه على اختلال أحوالهم حافظ لهم ودافع للمكاره عنهم فقال (قل من يكلؤكم بالليل والنهار) يبعثهم بذلك على طاعته لادامة النعم عليهم ونبههم بذلك أن لا إله سواه يدفع عنهم المكاره فلذلك قال (بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم) فهجن بذلك صنيع عباد الاوثان و بين تعالى أنه مع ذلك متعهم بالبقاء لكي يؤمنوا وأطال عمرهم فقال (بل متعنا هؤلاء وآباؤهم حتى طال عليهم العمر).

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) كيف يصح تعلق ذلك بقوله (بل متعنا هؤلاء) . وجوابنا أنه بين قدرته على افناء كثير من الخلق وخصهم بأن متعهم فقد روى عن بعض المفسرين أن المراد موت العلماء وروى عن بعضهم أن المراد به انزال أسباب الهلاك على قوم منهم وذكر تعالى الارض وأراد هلاك أهلها .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) كيف يصح أن يصفهم بالصمم ثم يذمهم بقوله (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا) . وجوابنا أن ذلك جرى منه تعالى على مذهب العرب في وصفهم بما هو مبالغة في الاعراض عن سماع الآيات لان من اشتد اعراضه يوصف بأنه أصم لا يسمع كما قال تعالى (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) وكما قال عز وجل في وصف الكفار (صم بكم

عمى) وكما يقال حبك للشئ يعمي ويصم .

« مسألة » وربما قيل ما معنى قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) وأي مدخل للموازين في أعمال العباد وفي المجازاة . وجوابنا أن المراد بذكر الموازين العدل في باب المجازاة ولذلك قال تعالى بعده (فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) فهذا جواب بعض علماء التوحيد وقال بعضهم بل هناك موازين يوزن بها ما تظهر به حال المرء في أنه من أهل الثواب أو من أهل العقاب ومن قال بذلك يقول توزن الصحف التي فيها ذكر الحسنات والسيآت فيتبين الرجحان وقال بعضهم يجعل تعالى في إحدى الكفتين علامة من نور فتكون علامة الثواب وفي الاخرى ظلمة فتكون علامة العقاب والفائدة في ذلك أن يعرف في دار الدنيا ما يخاف في الآخرة عند ذلك من الفضيحة لمن عصاه فيزداد بذلك غماً ويصرفه ذلك عن المعاصي وما يحصل من السرور لاهل الثواب في ذلك الموقف العظيم فيصير زائداً في المسئلة والطاعات ونبه بقوله جل وعز (وكفى بنا حاسبين) على ما ذكرنا من أنه يتولى عز وجل المحاسبة . ومتى قيل كيف يتولاه فجوابنا أن يفعل كلاما في بعض الاجسام فيظهر به حال المكلف واذا جاز ونحن في الدنيا أن يرزقنا وان كان لا يرى ولا مكان له جاز أيضاً في الآخرة أن يكلم المكلف وأن يتعالى عن الرؤية والمكان و بين تعالى بعده أنه آتى موسى وهرون الفرقان وما هو ذكر للمتقين الذين يخشون و يشفقون ثم قال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني الفرقان أفأنتم له منكرون وذلك تبكيت لمن أنكره ثم بين تعالى قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليبعث بذلك على الطاعة وما تحمله من الشدة في مخاطبة أبيه وقومه وصرفهم عن عبادة الاصنام الى عبادة الله تعالى ونبه بقوله تعالى

(لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) على فساد التقليد .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) كيف يكون مجيباً لهم بهذا الكلام وبهذه الشهادة . وجوابنا أن قوله (قل بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) كاف فى بيان جوابهم لان معرفة الله تعالى إنما تحصل بأفعاله فلما تم ذلك خصه بقوله تعالى وأنا على ذلكم من من الشاهدين) لانه جعل الحجة بشهادته بل أورده توكيد للدلالة .

(مسألة) وربما قالوا فى قوله تعالى (بل فعله كبيرهم هذا) أليس ذلك يدل على أن ابراهيم صلى الله عليه وسلم كذب فى هذه الحال وأن الانبياء يجوز عليهم الكذب وأنتم تمنعون من ذلك . وجوابنا أنه صلى الله عليه وسلم أورد ذلك على وجه التوبيخ لهم لينبههم على أن الذى تعبده القوم لايصح منه نفع ولاضر ولذلك قال بعده (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) قال (ثم نكسوا على رؤسهم) ثم قال بعده (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم) وكل ذلك يدل على ما قلناه .

(مسألة) وربما تعلق بعض المجبرة بقوله تعالى (وجعلناهم أئمة) وأن ذلك يدل على أنه الخالق للطاعة . وجوابنا فى ذلك أن المراد جعلهم أنبياء باظهار المعجزات وذلك من قبله جل وعز وان كانوا لا يتأهلون لذلك الا بعد تقدم عبادات وطاعات من جهتهم ولذلك قال بعده (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) فأضاف الخيرات الى فعلهم وقال (وكانوا لنا عابدين) فمدحهم باضافة العبادة اليهم .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ففهمناها سليمان) كيف يصح ذلك مع

قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) . وجوابنا أن الذى حكم به داود كان حقا فى وقته وفهم سليمان نسخ ذلك فلا يدل على مناقضة فى الكلام .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كيف يصح التسبيح من الجبال والطير ومامعنى قوله بعد ذلك (وكنا فاعلين) وقد افهم ذلك بقوله (وسخرنا) . وجوابنا أن تسبيح الجبال هو ما يظهر من دلالتها على أنه تعالى منزه عما لا يجوز عليه كما ذكرنا فى قوله جل وعز (سبح لله ما فى السموات والارض) الى غير ذلك فلما سخر ذلك لداود على خلاف المعتاد فكان يتصرف فيه كما يريد جاز أن يقول (يسبحن) بظهور أمر معجز فيها وفى الطير فهذا معنى الكلام وأما معنى قوله (وكنا فاعلين) فهو اخبار عن طريقه جل وعز فى فعل مثل ذلك فلذلك أتبعه بما أظهره عليه وعلى سليمان صلى الله عليه وسلم من العجائب وبما أظهره على أيوب وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم وبين تعالى بعد ما اقتصه من أخبارهم وما أظهره من العجائب فيهم عظم منزلتهم فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فبعث بذلك على التمسك بمثل هذه الطريقة ولذلك قال تعالى بعده (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) فبعث بكل ما تقدم على اخلاص العبادة له ونبه على عظيم المجازاة فى العبادة بقوله (كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون) فبين أنه يجازى على سائر ما فعل ثم بين من بعد اشراط الساعة بقوله (واقترب الوعد الحق) وبين كيف ينزل بهم أنواع الحيرات اذا عاينوا العذاب فأما قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فالمراد به الاصنام والاوثان ولا يدخل فى ذلك المسيح كما ظنه بعض من لايعرف وذلك محكى عن

بعض المتقدمين بين ذلك أنه قال تعالى (وما تعبدون) ولو كان المراد العقلاء لأورده بلفظ من وظاهر ذلك أنه جل وعز يعيد هذه الاصنام ويجعلها كالحطب في النار فيشاهدها من كان يعبدها فيكون حجة أعظم و بين بعده الفصل بين منزلة هؤلاء و بين منزلة الذين سبقت لهم منه الحسنى فقال تعالى (أولئك عنها مبعدون) و بين أنه لا يحزنهم الفزع الاكبر وأن الملائكة تبشرهم بمنزلة الثواب و بين بقوله تعالى (نعيده وعدا علينا) أنه تعالى قد أوجب على نفسه اعادة الخلق وما يتصل بهم .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قال رب احكم بالحق) كيف يصح ذلك وهو لا يحكم الا بالحق وما الفائدة فى أمره بهذا الدعاء . وجوابنا أن الدعاء بما لا يجوز خلافه قد يحسن وعلى هذا الوجه ندعوا الله للانبياء والرسل ونقول اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ونقول اغفر للمؤمنين والمؤمنات وعلى هذا الوجه قال ابراهيم (لا تخزني يوم يبعثون) فكيف تنكر ذلك وكيف نظن أنه يجوز أن يحكم بالباطل تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

﴿ سورة الحج ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) كيف يتعلق وصف الساعة بالتقوى . وجوابنا أنه بين أن ذلك الأمر العظيم يزول عن المتقين فيأمنون ما يخافه المجرم وذلك ترغيب في التقوى وتزهيد في خلافها .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) كيف يصح ذلك وليس هناك رضاع ولا حمل . وجوابنا أن ذلك كالمثل في عظم أهوال الآخرة وأنه يبلغ في العظم مبلغ ما يلهي

المرء عن ولده في باب الرضاع والحمل وذلك لان من أعظم الاشفاق اشفاق المرضعة على ولدها والحامل على حملها هذا وقد يجوز أن يعيد الله المرضعة على الولد والحامل على صفتها وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن كل أحد يموت يبعث على ما مات عليه فيكون ذلك كالحقيقة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى) أليس ذلك متناقضاً . وجوابنا أن المراد أنهم قد بلغوا في التحير الى حد السكران وان لم يكن هناك سكر ويحتمل أنهم سكارى من الخوف والحيرة وماهم بسكارى من الخمر ومثل ذلك يدخل في نهاية الفصاحة فكيف يعد مناقضا وقد يقبل المرء على من لحقه الدهش والحيرة فيقول مثل ذلك فلذلك قال بعده (ولكن عذاب الله شديد) فنبه على أنه وصفهم بذلك لخوفهم من هذا العذاب وقوله تعالى بعد ذلك (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يدل على أن معرفة الله تعالى مكتسبة وأن من لا علم له لا يحل أن يجادل بل الواجب أن ينظر ويتعلم وفيه دلالة على بطلان التقليد وقوله (ويتبع كل شيطان مريد) يدل على أن هذه الاتباع فعله ولذلك ذمه عليه وقوله (كتب عليه أن من تولاه فانه يضله ويهديه) المراد به يصرفه عن طريق الجنة ولذلك قال (ويهديه الى عذاب السعير) ونبه تعالى على قدرته على الاعادة بقوله (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة) فدل بخلقه الانسان على هذا الترتيب و بقدرته عليه على جواز الاعادة ودل أيضاً بقوله (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) على مثل ذلك ثم حقق ذلك بقوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتي وأنه على كل شيء قدير) ما قدمت من قدرته على الاعادة ومعني ذلك أن الهيته ووحدانيته هي الحق فوصف بذلك نفسه

وأراد ما ذكرنا وذلك مجاز لان الحق هو عبارة عن صحة الامور التي يعتقدها المحق ولذلك اتبعه بقوله (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) فبطل بذلك ما كان عليه فرقة من العرب من انكار الاعادة كما وصفهم بقوله تعالى (قال من يحيي العظام وهي رميم) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ما المفهوم من ذلك ولا يعرف ذلك في اللغة • وجوابنا أن المنافق يظهر العباد) ويبطن خلافها فشبه تعالى ظاهر أمره بحرف لان الحرف هو طرف الشيء والمرء يحتاج في العبادة أن يظهر باطنا وظاهرا فلما أظهر المنافق ذلك من أحد الوجهين وصفه تعالى بذلك ولذلك قال بعده « فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » وهذا الجنس من التشبيه يبلغ من الفصاحة مالا تبلغه حقائق الكلام ولذلك قال تعالى « يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه » فبين أنه بعيد الاصنام وبين أن ضرر ذلك أقرب من نفعه وكل ذلك يحقق ان العبادة من فعل العبد وقوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء) يدل على ان العبد هو الفاعل لانه اذا خلق فيه كل أفعاله فاي فائدة في النصرة .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (وان الله يهدي من يريد) ان ذلك يدل على انه يهدي قوما دون قوم بخلاف قولكم ان الهدى عام . وجوابنا ان المراد يكلف من يريد لان في الناس من لا يبلغه حد التكليف أو يحتمل أن يريد الهداية الى الثواب لانها خاصة في المطيعين دون العصاة ورغب تعالى المؤمن في تحمل المشاق واحتمال ماناله من المبطلين بقوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة)

فبين حسن عاقبة المؤمن عند الفصل ليكون في الدنيا وان لحقه الذل صابرا وعلى هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) كيف يصح السجود من هذه الامور وأكثرها جمادات • وجوابنا ان المراد بهذا السجود الخضوع فالمراد بذلك انه تعالى يصرفها في الامور ولا مانع ولاجل ذلك لما ذكر الذي للمكلفين خص ولم يعم فقال تعالى (وكثير من الناس) لان فيهم من ينقاد فيطيع وفيهم خلافه ويحتمل أن يراد بالسجود دلالتها على تنزيه الله تعالى فلما لم يصح فيها السجود أريد ذلك ولما صح ذلك في الناس أريدت الحقيقة فخصه ولذلك قال (وكثير حق عليه العذاب) لما لم يفعل السجود والعبادة وقوله من بعد (ان الله يفعل مايشاء) المراد به مايشاء أن يفعله لا مايشاء من غيره فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) كيف يصح أن يريدوا ذلك مع اليأس من الخروج وهذه الارادة تكون قبيحة ولا يقع من أهل الآخرة القبيح عندكم . وجوابنا ان في العلماء من قال ذكر تعالى الارادة وأرادها في نفوسهم من الميل الى ذلك كما قال تعالى (جدارا يريد أن ينقض) وقال بعضهم يحسن أن يريدوا ذلك وان لم ينالوه على وجه الاستغاثة كما يحسن منهم الصياح والصراخ على هذا الوجه فلهم في ذلك غرض يحسن منهم

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (وهدوا الى الطيب من القول) مافائدة ذلك في وصف المؤمنين في الجنة ومعلوم انهم يعرفون الطيب من القول من غير أن يهدوا اليه . وجوابنا ان المراد به مايعرفون من تحية البعض للبعض وذلك

مخالف لمايقع فى الدنيا لاغراض تتصل بمنافع الدنيا و بالتكليف و يحصل في هـذا القول من السرور بالتعظيم مالا يوجد مثله في دار الدنيا ومعنى قوله تعالى (وهدوا الى صراط الحميـد)ماينالهم من السرور بشكر نعم الله تعالى و يحتمل أن يكون المراد بذلك ما يكون في دار الدنيا وانهم هدوا الي الاخلاص والى اتباع طريقة الحق ·

(مسألة)ه ورىما قيل في قوله تعالى (والمسـجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) كيف يصح ذلك فى الحرم وقد ثبت انه مملوك · وجوابنا ان المراد نفس المسجد دون الدور والمنازل وفي ذلك خلاف شائع وعظم الله تعالى المعاصى في المسجد الحرام بقوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)و بقوله (وطهر بيتى للطائفين والقائمين) و بقوله (ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير) ولذلك قال بعده (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ومعنى قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا)مواضع النسك لانفس النسك الذى هو فعلها فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك ونبه بقوله تعالي (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) على ان الذى ينتفع به الاخلاص دون صورة العمل ونبه بقوله (ان الله لايحب كل خوان كفور) على ان ذلك من قبل العبد لانه لو كان من خلقه تعالى لماجاز أن لايحبه ولا يريده

ه(مسألة)ه وربما قيل في قوله تعالى (لهدمت صوامع وبيع وصلوات) كيف يصح هدم الصلوات · وجوابنا ان المراد أماكن الصلوات فى غير المساجد ثم أتبعه بذكر المساجد ومثل ذلك مفهوم كقوله (وكم قصمنا من قرية) الى ماشا كل ذلك ولذلك قال بعده يذكر فيها اسم الله كثيرا

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) كيف

يصح ذلك وفي جملة المؤمنين من يغلب · وجوابنا ان النصر على وجوه فلا بد فيمن ينصر ربه بالطاعة والجهاد ان يكون الله تعالي ناصره ببعض الوجوه هـذا والغلبة على المؤمن لاتخرجه عن انه المنصور لانه المحمود العاقبة

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) ماالفائدة في ذلك ولارسول الا وهو نبي عندكم · وجوابنا ان معنى وصف الرسول بأنه نبي اثبات مايختص به من الرفعة العظيمة فلما كانت الفائدة فى ذلك مخالفة للفائدة في وصفه بأنه رسول جاز أن يذكرهما فان قيل فما المراد بقوله (الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) وكيف يصح ذلك على الانبياء · وجوابنا ان المراد اذا تلا القرآن يلحقه السهو في قراءته وذلك معروف فى اللغة فلذلك قال بعده (فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) ولو كان المراد غير ماذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك فاما مايرويه الحشوية من انه صلى الله عليه وسلم ذكر فى قراءته أصنامهم وقال ان الغرانيق العلا شفاعتهن ترجى حتى فرح الكفار فلا أصل له ومثل ذلك لا يكون الا من دسائس الملحدة فبين تعالى بذلك أن السهو في القراءة جائز على النبي صلى الله عليه وسلم وانه من بعد يبين الفصل من السهو و يبين الصحيح منه ولذلك قال بعده (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك) وقال بعده (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه)ه

ه(مسألة)ه وربما قيل فى قوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) كيف يصح ذلك والملك فى كل حال لله عز وجل · وجوابنا أن المراد أنه فى دار الدنيا ملك كثيرا من الناس الامور وفي الآخرة لا حاكم سواه البتة ولذلك يحكم بينهم ·

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) كيف يصح هذا الجواب وهو تعالى عالم بكل شئ · وجوابنا أن ذلك تحذير من مجادلتهم لحذرهم بذلك بعد البيان ولذلك قال قبله (فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) ثم قال (وان جادلوك) فاذا تقدم البيان جاز من الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتصار على هذا الجنس من التحذير ولذلك قال بعده (الله يحكم بينكم يوم القيامة) و بين تعالى أنه عالم بكل شئ فقال (الم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) و بين أيضاً أن ما علمه من الامور التى تحدث قد كتبه ليستدل بها الملائكة فقال (ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير) وحذر بذلك عباد الاصنام فلذلك قال بعده (و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) ثم بين بعده ضعف المخلوقين بقوله (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) واكد ذلك بقوله (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) فبين أنه على حقارته يغلب المرء فلا يتمكن الانسان من استنقاذ ما سلبه وقد حكى عن أبي الهذيل رحمه الله تعالى أن بعض الملوك سأله وقال ما الفائدة فى خلق الذباب فأجاب بأن في ذلك اذلال الجبابرة ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) أليس يدل ذلك على نقيض قوله تعالى (فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا) فأيهما هو الصواب أيكون بعضهم كذلك أو كلهم أجمع ·وجوابنا أن بعضا منهم يكون رسلا الى الانبياء دون الكل ولئن كان جميعهم من الرسل فلا تناقض في ذلك ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من

قبل) كيف يصح ذلك ولغة العرب صادرة عن اسماعيل · وجوابنا أن المراد المعنى دون نفس الاسم فكأنه وصفهم بتمسكهم بالملة و بأنهم من أهل الثواب وهو المفهوم من وصفنا لهم بأنهم مسلمون ومؤمنون ·

﴿ سورة المؤمنون ﴾

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ثم قوله آخرا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) فكرر ذلك وكيف يجوز مثله ·وجوابنا أنه في الاول وصفهم بالخشوع في الصلاة وفي الثانى وصفهم بالمحافظة على أوقاتها وليس ذلك بتكرار ·

(مسألة) ومتى قيل مامعنى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) ومعلوم أن معنى الميراث لا يصح فيهم · وجوابنا أنه شبه وصولهم الى الفردوس من دون سبب يأتونه بوصول المرء الى الاملاك بالميراث عند الموت وهذا من أحسن ما يجرى فى الكلام من التشبيه ·

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة) كيف يصح أن يتكرر خلق الشئ الواحد فكيف يصح فيما خلق من طين أن يوصف بأنه مخلوق من نطفة وجوابنا أنه تعالى ذكر الانسان وأنه خلق من طين وهو آدم والنطفة لما كانت منه جاز أن يقول (ثم جعلناه نطفة) يعنى الاولاد وأما قوله (ثم خلقنا النطفة علقة) فالمراد مابه صارت علقة وهذا كما يقول المرء عملت من الخشب بابا والمراد أنه عمل مابه صار بابا فالخلق فى الشئ الواحد لم يتكرر وانما يحدث فيه شيئاً بعد شئ ·

« مسألة » ورىما قيل في قوله تعالى (ثم أنشأناه خلقا آخر) أليس ذلك يقتضى أنه غير ما تقدم ذكره . وجوابنا أنه لما صار بالحياة التى خلقها الله تعالى فيه على صفة لم يكن عليها جاز أن يقول ذلك مجازا وقد يقول الرجل في ولده وقد تأدب وتعلم وتغيرت أحواله إنه غير الذى رأيتموه وذلك مما يكثر في الكلام .

« مسألة » ومتى قيل ما معنى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) كيف يصح ذلك ولا خالق سواه . وجوابنا أن ذلك من حيث اللغة فوصف كل من تدبر فعله وأتى به على وجه الصواب أنه خالق وذلك مشهور في اللغة فعلى هذا الوجه يصح ما ذكره تعالى وانما منع أن يجرى هذا الوصف الا على الله تعالى مطلقا من حيث كل أفعاله لا تكون الا مقدرة على وجه الصواب كما لا يقال مطلقا في أحد سواه أنه رب وان كان قد يقال في زيد أنه رب داره وعبده فمن حيث التعارف لا يوصف بذلك سواه .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وأنزلنا من السما ماء بقدر فأسكناه في الارض) كيف يصح ذلك والماء انما ينزل من السحاب . وجوابنا أن الصحيح أنه ينزل من السماء ويحمله السحاب ثم ينزل الى الارض وانما يذكر ذلك بعض الأوائل لقولهم ان الماء يصعد من الارض كالبخار ويحمله السحاب ثم يصفو وينزل وليس الامر كما قالوه وكتاب الله أصدق من قولهم .

«(مسألة)» وربما قيل في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن) كيف يصح ذلك في اللغة وهي لا تنبت بالدهن ولا الدهن ينبت . وجوابنا أن المراد ينبت ما هو أصل الدهن وهو الزيتون الذى منه يخرج الدهن وتنبت أى تخرج وقد يقال في الشجرة إنها تخرج كيت وكيت ويقال أيضاً انها تخرج بكيت وكيت وقد قال ان الباء كالبدل من اللام لان ذلك من حروف الجر

فكأنه قال تنبت الدهن فالكلام صحيح على كل حال .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) كيف يصح وقد كان بين الرسل فترات وكيف يصح قوله تعالى (فأتبعنا بعضهم بعضا) وذلك تكرار . وجوابنا أنه تعالى وصف بعض الرسل بذلك ولذلك قال بعده (ثم أرسلنا موسى) وتقدم من قبل ذكر الرسل فلا يمتنع من ذلك البعض أنه أرسلهم على اتصال ولا يمتنع اذا تقارب بعثة بعضهم بعد بعض أن يقال ذلك فأما قوله فأتبعنا بعضهم بعضا فانه يعنى في الهلاك ولذلك قال بعده (وجعلناهم أحاديث) فالمراد بذلك الامم التى كان الله تعالى تعجل اهلاكها وقوله من بعد (فبعدا لقوم لا يؤمنون) دلالة على أن الذين يخرجون من العذاب هم المؤمنون ومعنى قوله من بعد (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة ومعجزة فانه تعالى نقض العادات فيها وفي ابنها وقوله تعالى من بعد (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) يدل على أنه أباح الطيبات وأنه لا يدخل في جملة الورع اجتنابها أكل ذلك وقوله من بعد (فذرهم في غمرتهم حتى حين) المراد به التخلية كأنه تعالى يعزى الانبياء فقد كانوا يتشددون في الدعاء الى الله تعالى ويغتمون بترك القبول وقال تعالى (فذرهم في غمرتهم) أى في حيرتهم التى أوتوا فيها من قبل أنفسهم حتى حين وذلك كالتهديد لان قوله تعالى (حتى حين) تنبيه على عذاب الآخرة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض) كيف يتعلق فساد السموات والارض باتباعهم أهواءهم . وجوابنا أن المراد من كذب بالرسل وبالله تعالى وأثبت آلهة سواه ولو صح مع الله تعالى آلهة الا الله لفسد التدبير وهذا هو المراد بالاية كما قوله في دلالة التمانع في قوله (لو كان

فيها آلهة إلا الله لفسدتا) ولذلك قال بعده (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ثم قال منزها لنفسه (سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) فحكى جل وعز عنه ذلك ثم قال (كلا أنها كلمة هو قائلها) ما الفائدة في ذلك وهو معلوم من قبل . وجوابنا أن المراد هذه طريقة في هذه الكلمة أنه يكررها ويتمنى عوده من حيث لا يتلافى ويقتصر على التمنى .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) كيف يصح نفي الانساب وهي ثابتة في الآخرة كما قال تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه) وقد يدعى الرجل فى الآخرة بالآباء . وجوابنا أن المراد انقطاع النفع بعد نفخ الصور بالانساب وقد كان ينتفع بها فى الدنيا والا فالنسب الذي قد ثبت وتقضى لا يزول ولذلك قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) وانما سينتفع بذلك أهل الصلاح فلذلك قال تعالى فى سورة الرعد (الذين يوفون بعهد الله) فوصفهم ثم قال فى آخره (أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) فعند ذلك يعظم السرور بالاجتماع و بعد ذلك قال تعالى حاكيا عمن خفت موازينه (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) و بين تعالى عظم ما أقدموا عليه بقوله (انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى) فدل بذلك على عظم هذا الجرم ثم بين مالهم من المنزلة بقوله (إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) .

« مسألة » وربما قيل كيف يجوز أن يقولوا (لبثنا يوما أو بعض يوم) وذلك كذب منهم لانه جواب لقوله (قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين) . وجوابنا أنهم لم يريدوا بذلك أحوال حياتهم بل أرادوا حال الوفاة ولم يريدوا بقولهم (لبثنا يوما أو بعض يوم) التحقيق لأنهم لو أرادوا الخبر لكان هذا القول متناقضاً وكأنهم أرادوا أنهم وان كثر لبثهم فهو قليل فى حكم يوم أو بعض يوم فى أنهم لم ينتفعوا بالتلافى والاستدراك ولذلك قال بعده (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) وقال بعده (وأنكم الينا لا ترجعون) فنبه على تقصيرهم حيث أمكنهم التلافي وأنهم فيما بعد فاتهم ذلك وقوله تعالى من بعد (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) دلالة على أن كل قول لا حجة فيه فهو محرم ولذلك قال تعالى (فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) .

﴿ سورة النور ﴾

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (سورة أنزلناها) كيف يصح انزال السورة وذلك يستحيل فيها . وجوابنا عن ذلك وعن سائر مافى القرآن نحو قوله (انا أنزلناه فى ليلة القدر) وقوله (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) الى غير ذلك هو أن المراد به انزال السورة بانزال من يحملها وعلى هذا الوجه نصف القرآن بأن الله أنزله وهذا كما يقال أنزلنا الماء ويراد بذلك الظرف ونزحنا الماء من البئر الى غير ذلك وكما يقال إن فلانا أظهر عليه والمراد أودعه الكتب فمن هذا الوجه يستدل بهذه الآيات على حدوث القرآن لأنّ ما هو قديم لا يجوز فيه انزاله بنفسه ولا بغيره وفي قوله تعالى (وأنزلنا فيها آيات بينات) والآيات هى الادلة دلالة أيضاً على حدوثه وفي قوله (لعلكم تذكرون) دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التذكر .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة) كيف يصح هذا الخبر ونحن نعلم أن الزانى قد يطأ وقد يعقد على غير الزانية وجوابنا أنه وان كان في صورة الخبر فالمراد به الامر . واختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال هو منسوخ ومنهم من قال بل هو ثابت وأن المراد أن الزاني لا يحل له التزويج بالعفيفة حتى انهم يقولون اذا حدث الزنا منه بطل النكاح ومع ذلك فان ظاهره انما يقتضى انه في حال زناه لا ينح الا زانية لان الزاني هو الواطئ بغير شبهة و بغير نكاح وملك ومن هـذا سبيله فهو غير ناكح الا الزانية ومن يقدر فيها هذا التقدير .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لـكم بل هو خير لـكم) كيف يصح في افكهم أن يكون خيرا مع قبحه وعظم الاثم فيه . وجوابنا أن المراد به خير لهم من حيث نالهم به من الغم ما صبروا عليه وان كان كذبا قبيحاً فالمراد هو ما قد ذكرناه ولذلك قال تعالى (لـكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) فذمهم و بين أن الذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ومعلوم أن هذا الصنيع منهم كان كالسبب في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والمتصلين بعائشة فصار الصبر عليه عظيم الثواب ولذلك يقال الآن فيمن رُمى بأهل له انه اذا صبر فله ثواب واذا ظلم المرء فلم يخرج الى المقاتلة على ذلك بل صبر فله ثواب وهذه القصة انما ضمت الى هـذه السورة لتعلقها بالقذف والرمى الذين بين الله تعالى حكمها في الاجنبي وفي الزوجيات وهى تشتمل على أحكام وأدب يمكن أن يقال ان جميع ذلك من الخيرات فبين تعالى أن من يتولى كبر الشئ أعظم انما ممن هو كالتابع و بين أن الواجب على من يسمع مثل ذلك أن لا يظن صحته بمن عرف عفته و يؤيده قوله (لولا اذ

سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا) وفيه أن الواجب في مثله الاعتماد على الشهادة فاذا انتفت وجب الـكف وهو معنى قوله (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء) لان المراد هلا فعلوا ذلك (فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الـكاذبون) .

« مسألة » ومتى قيل أليس من لم يأت بالشهود قد يكون صادقا فـكيف يصح ما ذكره تعالى . وجوابنا أنه وصف قولهم في هذه القصة خاصة بأنه كذب وما يذكر في كتب الفقهاء من أن الملاعن يكذب نفسه وان ذلك منه كالتوبة يجب أن يكون كالمجاز لان الزوج اذا رمى امرأته فقـد يكون صادقا و يكذب نفسه فان كذب نفسه على الحقيقة فذلك ذنب ثان لان تكذيب الصادق كذب و بين أنه لولا فضل الله عليهم لمسهم في ذلك عذاب عظيم وما يمسهم فيه العذاب لا يكون خيراً ونبه بقوله تعالى (وتقولون بأفواهكم ما ليس لـكم به علم) على أن الخبر بلا علم يقبح و بين أن الذنب قد يعظم عند الله وان حسبه المـذنب هينا و بين أن الخبر في مثل ذلك يسمى بهتانا فدل بذلك على عظمه لان في تلك الاخبار ما لا يسمى بذلك وان كان كذبا و بين بقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أن محبة القلب بانفراده قد تكون ذنبا عظيما فيبطل بذلك ما يظنه كثير من الناس من أنه لا يؤاخذ المرء بما يقع في قلبه اذا لم يعمل ولولا خوف التطويل لذكرنا سائر ما في هذه القصة من الفوائد فأما ما قاله آخرا من قوله سبحانه وتعالى (ولولا فضـل الله عليـكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولـكن الله يزكى من يشاء) فالمراد به اظهار الفضل والمدح وذلك يصح من الله تعالى وليس المراد نفس الطاعـة فليس للمخالفين التعلق بذلك وقوله تعالى (إن الذين يرمون المحصـنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا

والآخرة) يدل على أن ذلك من الكبائر العظام ويدل على أنه ملعون في الآخرة اذا لم يتب والملعون في الآخرة لا يصح أن يكون من أهل الجنة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) كيف تصح الشهادة من اللسان . وجوابنا بأن ينطقه الله وكذلك الكلام في أيديهم وفي أرجلهم وفي ذلك زجر عظيم لان المقدم على الذنب اذا تصوّر أنه يجزى عليه في الآخرة بهذه الشهادة كان ذلك من أعظم زواجره . فان قيل فاللسان واليد والرجل هي المتكلمة بهذه الشهادة . قيل له هذا هو الظاهر والله عز وجل قادر على أن يحييها مفردة لتتكلم بهذه الشهادة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم في الذراع أنها كلمته وقالت لا تأكلني يا رسول الله فانى مسمومة وفي العلماء من يقول هذه الشهادة من فعل الله تعالى فان وجدت في الاعصاب فيكون الله تعالى المتكلم بها وأضيفت الشهادة اليها على وجه من المجاز .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الله نور السموات والارض) أليس يدل ذلك على أنه جسم وعلى أنه أحسن الاجسام كما قاله بعضهم . وجوابنا أن المراد أنه منور السموات والارض يبين ذلك أنه قال تعالى (مثل نوره) فأضاف النور اليه وقال آخرا (يهدى الله لنوره من يشاء) ويحتمل أن يكون المراد نفس النور ويحتمل أن تكون الادلة وفي الوجهين من يفعل ذلك يوصف أنه منور وانما وصف نفسه بذلك مبالغة من حيث إن كل الانوار من قبله كما يوصف بأنه رجاء وغياث الى ما شاكل ذلك ولذلك قال تعالى بعد (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

« مسألة » ومتى قيل كيف يصح قوله عز وجل (زيتونة لاشرقية ولاغربية) ولا ثالث لهذين . وجوابنا أن المراد ان مكانها ليس مما تطلع عليه الشمس فقط

ولا تغرب أى تظهر عليه الشمس عند الغروب فقط بل مكانها المكان الذى لا تنقطع منه الشمس وذلك بين في وجه المنفعة للاشجار

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (اذا أخرج يده لم يكد يراها) بعد أن وصف الظلمات العظيمة كيف يصح ذلك . وجوابنا أن بعضهم قال لا يراها أصلا وقال بعضهم بل الظلمات وان عظمت مما تقرب المرء من تحريك أعضائه وقد يجوز أن يراها فليس في ذلك مناقضة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) كيف يصح الاقتصار على هذه القيمة وفي الحيوان ما يمشى على أكثر من أربع وجوابنا أن تبيان هذه الاوصاف لا يمنع فوق رابع لو صح ما قاله فكيف وما يظهر له من الارجل أكثر من أربع انما يمشى من جملتها على أربع فالكلام تام .

﴿ سورة الفرقان ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (خلق كل شيء فقدره تقديرا) أوما يدل ذلك على أنه الخالق لافعال العباد . وجوابنا أن المراد به الاجسام التى ننتفع بها لانه تعالى ذكر ذلك عقيب قوله (له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) وقد بينا من قبل أن الله لا يجوز أن يتمدح بفعل القبائح فالمراد ما ذكرنا وقوله تعالى (الذى أحسن كل شيء خلقه) يدل على أن مراده بهذه الايات ما يكون حسنا وحكمة فالله تعالى استفتح هذه السورة بما يدل على قولنا وهو قوله تعالى (الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) فبين أنه أنزله لينذر ويخوف كل واحد من العالمين والتخويف انما

يراد منه الانصراف عن الكفر والمعاصي فكيف يصح أن يمنه ليصرفهم عما هو الخالق له فيهم ولا يمكنهم وهو الخالق فيهم الانصراف عن ذلك ولو اجتهدوا كل الجهاد وقوله تعالى من بعد (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أراد تعالى أنهم لا يستطيعون السبيل الى القدح في نبوته فلا يصح للمخالفين أن يسألوا عن ذلك فى أن القدرة مع الفعل .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) كيف يصح ذلك فى النار حتى توصف بأنها تراهم وهى جماد وحتى توصف بأن لها تغيظا وزفيرا وذلك لا يصح الا فى الحى الذى يغتاظ مما يرى . وجوابنا أن المراد بذلك التمثيل دون التحقيق فمن يقرب من الشىء يقال براه وقد يشبه صوت النار عند التلهف بالزفير الذى يظهر من المغتاظ ويحتمل أنه تعالى ذكر اذا رأتهم وأراد خزنة جهنم فانهم يغتاظون فيكون لهم من الزفير بعد علمهم بما يقتضي ظهور ذلك .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد) كيف يصح ذلك ولا خير في النار أصلا . وجوابنا أن المراد أيهما أولى بأن يكون خيرا وقد يقول الحكيم لغيره من العصاة ان التمسك بالطاعة خير لك من المعصية والمراد ماقد ذكرنا .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر) وذلك خلاف قولكم . وجوابنا أن المراد أنه متعهم فاختاروا عند ذلك نسيان الذكر والمراد بهذا النسيان ترك الواجب لان النسيان فى الحقيقة من فعل الله تعالى فلا يجوز أن يذمهم عليه ولذلك قال تعالى بعده (وكانوا قوما بورا) وقوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا

لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) أحدهما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يرى والا لم يصح أن يستعظم هذا القول منهم كما لا يجوز أن ينزل الملائكة بدلا من البشر لكن انزال الملائكة مقدور والحكمة تمنع منه والرؤية ليست مما يصح أصلا وفى قوله عز وجل (يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى) دلالة على أن المضل عن الدين ليس هو الله تعالى كما يقوله المجبرة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) كيف يصح أن يكون تعالى جعلهم أعداء للانبياء . وجوابنا أنه تعالى اذا عظم الانبياء واصطفاهم وخصهم بالمعجزات وكان ذلك من قبله ولأجل ذلك عادوا الانبياء جاز أن يضيف ذلك الى نفسه من هذا الوجه بأنه يفعل فيهم العداوة مع زجره ونهيه عن ذلك ومع ايجابه عليهم أن يتركوها الى الولاية والى التصديق والانقياد وحكى تعالى عن الكفار أنهم قالوا (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كالذى فعله تعالى في كتب الانبياء وجعلوا ذلك كالطعن فقال جل وعز (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) فبين أن انزاله على تصرف الاوقات وتجديد ذلك على قلبه ما يوجب الثبات والصبر وذلك معلوم من حال ما يرد على السمع فى الاوقات المتباينة و بعد فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكتب ويقرأ فلو أنزل عليه جملة واحدة لكان مخالفا للحكمة و بعد فان انزاله فى وقته أحسن موقعا من انزاله قبله فعند الحوادث انزال الله تعالى ما يتصل بها .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) كيف يصح حشرهم على وجوههم . وجوابنا أنه تعالى قادر على ذلك ويكون أدخل في الذل والاهانة ويحتمل أن يكون المراد أنهم يساقون وجها واحدا

الى جهنم من دون ميل وتوقف كما يقول القائل جئتك اليوم وجها واحدا .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) كيف يصح وصفه بأنه مدولا يتأتى فيه ذلك . وجوابنا أن المراد به أنه مد ذلك أى أدامه كما قال تعالى فى صفة الجنة (وظل ممدود) لما لم يكن هناك شمس ومعنى قوله تعالى (ولوشاء لجعله ساكنا) أى دائما لا ينقطع لكنه جعل الشمس عليه دليلا وذلك أحد ما تظهر به نعمه لانه بالشمس وطلوعها يعرفون كيفية الظل .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء بشرا) كيف يصح وانما خلق آدم من طين . وجوابنا أن ذلك الطين اذا كان بالماء حصل على تلك الصفة فجاز أن يقول ذلك ويحتمل أن يريد سائر أولاده لانه من النطفة خلقهم فسماها ماء ثم ذكر تعالى ما يبعث المرء على التمسك به من الآداب والاحكام في صفة عباد الرحمن فقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) فذكر من صفاتهم ثلاثة عشر خصلة اذا تأملها المرء وتمسك بها عظمت منزلته في الدين ولولا خوف التطويل لشرحناها ثم قال تعالى آخرا (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما) فان قيل فقد ذكر تعالى في جملته (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) كيف يصح ذلك ومحال في السيئة الماضية أن تصير حسنة . وجوابنا أن المراد بالسيئات عقابها وبالحسنات الثواب فقال تعالى فيهم انهم اذا تابوا صار لهم بدلا من العقاب الثواب وفي قوله تعالى (الا من تاب) بعد ذلك الكفر والقتل والزنا دلالة على أن التوبة مقبولة في كل ذنب لا كما يظنه قوم في أنها لا تقبل في القتل .

«(مسألة)» وربما قيل ما معنى قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) وهل المراد بذلك المؤمن أو الكافر . وجوابنا أنه تعالى قال ذلك عقيب وصف المؤمن فالمراد به لولا دعاؤهم الذى هو التوحيد والعدل لم يعبأ تعالى بهم حتى يرقيهم في منزلة الثواب على ما وصف ويكون قوله تعالى (فقد كذبتم) يرجع الى من خالف حاله حال هؤلاء المؤمنين ويحتمل أن يكون المراد الكفار فانه عز وجل لا يدخلهم في انزال العقاب بهم لولا دعاؤهم وعبادتهم لغير الله ومعنى قوله (فقد كذبتم) أى بالله ورسوله (فسوف يكون لزاما) .

«(سورة الشعراء)»

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) كيف يصح هذا الجمع فى الاعناق وانما الصحيح أن يقال خاضعة . وجوابنا أن قوله أعناقهم يشتمل على ذكرهم وذكر أعناقهم فقوله (خاضعين) يرجع اليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يغتم بأن لا يؤمنوا فبين تعالى أن ذلك موقوف على اختيارهم وأنه تعالى لو شاء لانزل آية كانوا يخضعون لها فيؤمنون لا محالة قهراً لكن لا ينفع اذ المراد أن يؤمنوا على وجه يستحقون الثواب معه . وقد قيل إن المراد بالاعناق جملتهم كما يقال جاءنا عنق من الناس والاول أبين وبين بعده أنه وان لم ينزل هذه الآية القاهرة فقد أنزل القرآن فقال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) فبين أنه معقول كما نقوله وأنهم مع قيام الحجة به يعرضون عنه فلا عليك يا محمد أن تغتم بكفرهم (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) وبين بقوله (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أنه عز وجل ان ذلك من الادلة العظام التى لو نظروا فيها لعلموا أن ما هم عليه باطل .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (قال رب إنى أخاف أن يكذبون) وقد ناداه ربه (أن ائت القوم الظالمين) كيف يصح مع ذلك أن يعتل بهذه

العلة . وجوابنا أنه لم يرد الخوف على نفسه فان الانبياء لا يجوز أن يبعثهم الله تعالى الا وقد وطنوا أنفسهم على احتمال المكاره وانما أراد أنه يخاف منهم أن لا يقبلوا وسأل ربه المعونة التي تكون أقرب الى قبولهم فأعانه الله عز وجل بأخيه هارون وقال (فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) والاستماع وان لم يجز على الله تعالى لانه كالاصغاء فالمراد نفس السماع والله تعالى يوصف بذلك .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالي (وتلك نعمة تمنها عليّ ان عبدت بني اسرائيل) كيف يصح ان يعتد لفرعون بمثل ذلك . وجوابنا ان ذلك بمنزلة انكار كونه نعمة لا بمنزلة الاقرار لان الذى فعله ببني اسرائيل يجرى مجرى الظلم العظيم ويحتمل ان يكون المراد عبدت بنى اسرائيل وخيبتني مع الذى كان منك من تربيتي وغير ذلك فيكون فى الكلام حذف فعند ذلك قال له (وما رب العالمين) فأجابه بأنه رب السموات والارض وما بينهما لانه تعالي انما يعرف بأفعاله التي تختص به ولا تجوز عليه المشاهدة فكان الذى أجابه به هو الجواب الحقيق ولم يزل يكرر مثل ذلك حتى قال انه لمجنون ثم قال (لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين) وليس ذلك بطعن في أدلته والله تعالي مسخره لما علم من عاقبة أمر موسى صلى الله عليه وسلم عند ظهور الآيات وما ينزل بهم آخرا من الهلاك وعلى هذا ما فصله تعالي فى القصة .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالي (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين) كيف يصح ان يقول فانهم وانما يقال فى الاصنام فانها وكيف يصح ان يصفها بانها عدو وهى جماد وكيف يصح ان يقول الا رب العالمين فيستثنى من الاصنام رب العالمين . وجوابنا ان ابراهيم صلى الله عليه أجرى كلامه على طريقة اعتقادهم وكانوا يعتقدون فى الاصنام

انها تنفع وتضر كالناس بل أزيد فلهذا جمعها هذا الجمع ووصفها بهذا الوصف والا فهو عالم بأن الامر بخلاف ذلك فنبأهم على ان كل ذلك يضرهم وانما ينتفعون بعبادة الله الذى خلق ويهدى ويطعم ويسقى الي سائر ما ذكره من نعمه . فان قيل كيف قال في جملة كلامه (واغفر لابى) مع اصراره على الشرك فجوابنا أنه دعا له على شرط التوبة والانابة على ما تقدم قبل ذلك بيانه فان قيل فكيف قال (ولا تخزنى يوم يبعثون) وذلك ممتنع فى الانبياء . فجوابنا أن الداعى قد يدعو بما يعلم أنه لا يقع على وجه الانقطاع الى الله والتمسك بالخضوع وبين أنه فى الآخرة لا ينفع مال ولا بنون وانما تنفع الاعمال الصالحة الخالصة مما يفسدها وهو معنى قوله (الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين) وبين ما يقال لعابد الصنم فى الآخرة بقوله (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) وما يقولون بقوله (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وبين بقوله تعالى (وما أضلنا الا المجرمون) بطلان قول من يقول إن الله يضلهم فالقرآن يكذب قولهم ثم ذكر تعالى بعد قصة موسى وهارون وقصة ابراهيم وقصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ما نزل بهم من الامور وأنزل الله تعالى بأممهم من العذاب وكل ذلك ليتأمل القارئ فى كتاب الله تعالى فيعرف بذلك قدرته وحكمته ويكون ذلك داعية طاعته والانصراف عن معصيته . فان قال فى جملة كلام موسى صلى الله عليه وسلم (فعلتها اذا وأنا من الضالين) كيف يصح أن يصف نفسه مع نبوته بهذا . وجوابنا أن المراد بالضالين الذاهلون عن التمسك بالطاعة فيما أقدموا عليه لان ذلك وان لم يكن من الكبائر فهو من الصغائر . فان قيل فى جملته (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) وقال فى موضع آخر (كأنها جان) وذلك كالمتناقض . وجوابنا

أن المراد أنها كالثعبان في العظم وكالجان في سرعة حركتها من حيث خلقت من نار السموم . فان قال ففي القصة أن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون فأقر بأنه رسول كيف يصح ذلك . وجوابنا أنه أراد أنه كذلك في زعمه . فان قيل (يريد أن يخرجكم من أرضكم) كيف عرف فرعون ذلك . وجوابنا انه أراد بالقائه العداوة بينكم أنه ينحاز بعضكم الى بعض . فان قال فكيف قال (فألقى السحرة ساجدين) وهم في تلك الحال مؤمنون . وجوابنا الذين كانوا سحرة .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وإنه لفي زبر الاولين) أليس ذلك يدل على انه نفسه في زبر الانبياء والمعلوم خلاف ذلك . وجوابنا أن ذكره ووصفه في زبر الاوّلين بين ذلك أنه عربي وسائر كتب الانبياء بخلافه ومعنى قوله من بعد (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) يعني القرآن أي جعلناه بحيث يعلم ويقرأ فلم يقع منهم الانتفاع بذلك .

٭(مسألة)٭ ومتى قيل ما معنى قوله (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) كيف يصح أن يصير ذلك سبب هلاكهم وهو بأن يكون سبباً لنجاتهم أقرب . وجوابنا أن المراد ما أهلكنا أهل قرية الا بعد ازاحة العلة بالمنذرين الذين هم الانبياء وبعد كفرهم بهم ونصبهم العداوة لهم فلذلك قال بعده (ذكرى وما كنا ظالمين) وفي قوله من بعد (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) دلالة على اعجاز القرآن لانه لو جاز أن يقدر العباد عليه لجاز مثل ذلك في الشياطين الذين لمخالطتهم بنا يعرفون هذه اللغات وأدبه الله تعالى بقوله (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) بعد قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) وقبل قوله تعالى (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) فلم يأمره بأكثر من هذا القول في الكفار وأمره في المؤمنين بما ذكره ومن تأمل ذلك

وتمسك بمثله في العدو والولي فله الحظ الكثير في استعمال الاخلاق الحسنة ثم قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك) فان المرء اذا تصوّر فيما يأتيه أنه جل وعز يراه ويعلم كان أقرب الى أن لا يفعل الا ما يحسن منه والتوكل على الله هو أن يلتمس الخير ويبتعد عن الشر فيما عهد الله تعالى اليه ولا يفارق هذه الطريقة الى ما يكرهه وليس التوكل ما يدعيه قوم من أعمال الخير وترك التكسب والاشتغال بطلب ما يحتاج اليه من الناس فان ذلك محرم في أكثر الآيات .

﴿ سورة النمل ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) كيف يصح أنه تعالى يكون مزيناً لاعمال الكفار . وجوابنا أن المراد زينا لهم ما ينبغي أن يعملوه وما يجب عليهم السعي فيه وقد يقال لم يوجد مع ذلك أن عملهم على هذا الوجه ولذلك قال بعده (فهم يعمهون) وذكر تعالى ذلك بعد قوله في القرآن (هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) ثم قال عقيب ذلك إن من لم يؤمن قد زينا له ما يجب أن يأتيه لكنه يعمى عن ذلك وقد قيل زينا بمعنى موافقتها الشهوة والهوى للعلم بأنه تعالى يفعل الشهوة لكنه يصرف عنها والوجه الاول أولى .

٭(مسألة)٭ وربما قيل في قوله تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) ما معنى هذه البركة وما المراد بمن حولها وهل يتصل ذلك بموسى صلى الله عليه وسلم . وجوابنا أن البركة هي بمعنى الثبات والبقاء فبين تعالى ثبات تلك النار لموسى ومن حولها لان موسى قد كان جاءها وصار هو وأصحابه

حولها كما يتفق في العادة حال الناس مع النار وقيل أراد تعالى بقوله بورك من في النار موسى عليه الصلاة والسلام وأراد بمن حولها الملائكة عليهم السلام لأنهم حضروها ويحتمل في هذه البركة أنها لمكان البقعة التي أصابتها النار ولذلك قال تعالى في سورة القصص (نودى من شاطئ الوادى الايمن في البقعة المباركة) وقد قيل في من حولها أنهم لم يكونوا مؤمنين فأثبت الله تعالى البركة في النار لما جاءها موسى لما له من الفائدة في حضورها .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم) كيف يصح هذا الاستثناء من المرسلين ولا يجوز أن يكون فيهم ظالم خائف . وجوابنا أنه قد قيل الا من ظلم بالاقدام على صغيرة ثم تلافاه بالتوبة فانه غفور رحيم وقد قيل إن المراد لكن من ظلم فانه يخاف الا أن يتوب فيكون كلاما مستأنفا في غير الرسل لئلا يتوهم أن الخوف لا يزول الا عن الرسل وقوله تعالى من بعد (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) لا تناقض فيه لأن الحجة بعد البيان واليقين .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) كيف يصح من سليمان أن يسمع قول النمل وكيف صح من النمل هذا القول . وجوابنا أنها لما قربت من موضع مسيره صلى الله عليه وسلم وأنطقها الله تعالى بذلك صح أن يعلم ومثل ذلك وان كان معجزا فانه يصح في أيام الانبياء صلوات الله عليهم .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) كيف يصح هذا القول من سليمان صلى الله عليه وسلم في طير ليس بمكلف حتى يعذبه

وكيف يذكر ذلك في جملة الزجر وكيف يزيد ذلك بأن يأتيه بسلطان مبين وكيف يعرف الهدهد ذلك من مراده حتى يأتيه بخبر سبأ . وجوابنا أن الله تعالى كان سخر له الطير وفي جملتها ما يكون أقرب الى الفهم ولو كان ممنوعا من النطق ويجوز في تلك الايام أن يكون تعالى قد زاد في علمها بالهام وأن يكون سليمان قد تقدم من قبل بأمور عرفها الطير او الهدهد خاصة فلذلك قال (أو ليأتيني بسلطان مبين) فأما قوله عز وجل (لاعذبنه) فالمراد به التأديب فكما يؤدب المرء من قارب البلوغ فكذلك قال الهدهد فأما الذبح فقد يجوز أن يكون جائزا في شريعته كما ثبت في شريعتنا مثله فيما يؤكل فلا مطعن على ذلك بما ذكروه وقوله من بعد في صفة المرأة وأنها تملكهم وأنهم يسجدون للشمس من دون الله فقد يصح وقوع مثله ممن لم يبلغ حد التكليف فلا يصح أن يعترض به على ما ذكرنا وقوله تعالى من بعد (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) يصح في الهدهد وان كان لا يعرف التوحيد اذا أجرى الكلام على الحد الذى ذكرنا فان مثله يصح من المراهق لانه يعرف الفصل بين من يظهر التوحيد ويعبد ربه بأفعال وبين من يسجد لغير الله تعالى وان لم يكن مكلفا .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد في هذا القدر من الاوقات وان ذلك معلومة استحالته . وجوابنا أن سرعة الحركة والتحريك لا يعلم منتهى حده فلا سريع الا ويجوز أسرع منه فلا يمتنع صحة ذلك اذا كان الله تعالى مقويا له عليه ومعنى قبل أن يرتد اليك طرفك المبالغة في الاسراع لان ذلك قد يقال في الامر السريع الشديد السرعة ويحتمل أن طرفه لا يرتد الا بعد أوقات ويكون ذلك كالمعلوم من حاله لان من نظر

الى جهة ربما أطال النظر اليها ثم يرتد طرفه ومعنى قوله من بعد في قصة لوط صلى الله عليه وسلم (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) الفائدة فيه اعظام مافعلوه لانه اذا كان جهرة فهو أعظم من أن يكون خفية ورب شئ يحسن خلوة ويقبح كونه بحيث يشاهد وما ذكره تعالى من بعد من قوله (قل الحمد لله وسلام على عباده) فيه تنبيه على عظم نعمة الله جل وعز لتدبر فيقام بحق شكره فذكر مايقارب عشرين خصلة من النعم التى لا يقدر عليها غيره منبهاً على توحيده ثم قال فى آخره (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) موبخا لهم على جحد ذلك ثم على قول الكفار (وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا) فانه يقبح منهم هذا القول مع تقدم تلك الدلائل ومع قوله بعد ذلك (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) وقوله (وما من غائبة فى السماء والارض الا في كتاب مبين) يدل على أن الحوادث كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ليستدل بذلك الملائكة على قدرة الله وعلمه .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) كيف يصح أن يحسبها من يشاهدها جامدة ساكنة مع شدة الحركة وسرعتها . وجوابنا أن الجمود في العادة الاتصال ولا يكون الامع السكون وعند سرعة الحركة لا يحتمل التفرق فقال تعالى (إنها تمر مر السحاب) وهى على حالها التى يظن أنها لا تكون الا مع السكون وقد قيل أنها تبلغ في سرعة الحركة مالا يكاد يظن أنها متحركة خصوصاً اذا كان المرء يتحرك مع حركتها فيكون كراكب السفينة فانه يظن مع سائر الركاب أنهم ساكنون وان كانوا يتحركون أسرع حركة وقوله تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شئ) أحد مايدل على ان الكفر والفساد ليس من فعله والا لكان يصح وصفه بانه محكم متقن وقوله تعالى من

بعد (وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) يدل على أن الاهتداء والضلال من فعل العبد وقوله تعالى من بعد (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) لكى يتصور المرء نفسه فيما يأتى ويذر أنه يبصر ويسمع .

﴿ سورة القصص ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) أليس جعل الله تعالى لهم أئمة يدل على انه خلقهم كذلك فاذا كانوا أئمة بافعال فيجب ان يكون تلك الافعال خلقا لله . وجوابنا انهم انما يكونون أئمة بالعقل والخوف والتمكن و بالالطاف من قبل الله تعالى وكل ذلك من خلقه وهو الذى أراد تعالى وقيل ان المراد حكمنا بذلك كقوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) فالمراد عند الجميع قضينا وحكمنا و بين ذلك قوله تعالى (ونجعلهم الوارثين) فاراد بذلك نحو ماذكرنا لان التركة لاتكون باختيار الوارث وكذلك قال (ونمكن لهم في الارض) واذا كان موسى صلى الله عليه وسلم وقومه انما تم لهم ماتم بما أنزل الله تعالى بفرعون و بما خصه به من المعجزات وكل ذلك من فعله صح ان يقول وجعلناهم أئمة وليس المراد خلق فيهم صلاتهم وعبادتهم .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافي ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) كيف يصح ان يوحى اليها وقد بين فى غير آية انه ماأرسل الا رجالا وكيف يصح وهى لم تكن نبية فيوحى اليها بما لا يعلم الا من قبله تعالى . وجوابنا انه يجوز ان يعرفها

ذلك على لسان نبي الزمان فلا يلزم ماقلتم ويحتمل انه ألهمها ذلك فقوى في ظنها كل ذلك الى حصول العلم لها به وقد قيل أراها تعالى ذلك في المنام بعلامات مخصوصة فعلمت بها والاقرب ماقدمناه من أن رسولا كان في الزمان فعرّفها أو نزل جبريل فعرفها على ان ذلك من معجزات ذلك الرسول

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وكيف يصح ذلك مع قول مرأة فرعون (قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا) وجوابنا ان المراد بقوله تعالى (ليكون لهم عدوا حزنا) العاقبة والمراد بقوله تعالى قرة عين ما دعاهم الى التقاطه وذلك لاتنافي فيه وقد ثبت ان هذه اللفظة قد يراد بها المآل ومايقصد اليه كقول القائل في المرضعة والوالدة انها تربى ولدها لكى ينتفع به ويبقى لها وقد يقال مرضعة الموت اذا كان هذا هو العاقبة وعلى هذا الوجه قال الشاعر

وأم سماك فلا تجزعى ٭ فللموت ماعلت الوالدة

فاما قوله تعالى من بعد (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها) فالمراد فراغ قلبها من سائر أمور الدنيا سوى أمر ولدها فلذلك قال تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) أى تصدق بما أوحينا اليها وقوله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) المراد به الصرف والمنع لا التحريم في الحقيقة وذلك كقوله تعالى فى أهل النار (ان الله حرمهما على الكافرين) فليس لاحد ان يطعن بذلك وكقوله (وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون) وقوله تعالى (ولتعلم ان وعد الله حق) يدل على ان ذلك الوحى كان مقطوعا به على ماذكرناه.

(مسألة) ومتى قيل في قوله تعالى (هذا من شيعته وهذا من عدوه) كيف يصح

ذلك وانما يقال هذا من أعدائه فيستقيم الكلام . فجوابنا ان المراد ماذكرته والعدو قد يقع على الجمع وعلى الواحد على طريقة العرب في المصادر.

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فوكزه موسى فقضى عليه) كيف يصح من النبي ان يقع منه قتل من لايحل دمه . وجوابنا ان وكزه كان على وجه الدفع لما أراد مخاصمته ولم يظن انه يؤدى الى قتله وذلك كالمرء يؤدب ولده استصلاحا له فيؤديه الى الموت وهذا من الصغائر التى نجوزها على الانبياء ولذلك قال (هذا من عمل الشيطان) وذلك يدل على ان أفعال العباد ليست من خلق الله تعالى والا كان الاشبه به ان يقول هذا من عمل الرحمن ولذلك قال بعده (قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم) وقوله تعالى (قال رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أحد مايدل أيضاً على ماقلناه لان فعل المجرمين ان كان خلقاً لله تعالى فما فائدة تحرزه من ان يكون ظهيراً لهم لانه تعالى ان خلق جرمهم فلا فائدة فى ان يكون ظهيرا وان لم يخلق هو أيضاً فلا فائدة فى ذلك وقوله تعالى (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين) يحتمل انه ظهر منه مايوجب ان لايعينه ويحتمل انه خاف ان أعانه على نفسه منهم فلا مطعن فى ذلك وقوله من بعد (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) يدل على التأويل الثاني وانه خاف من ذلك فلهذا امتنع من نصرته وقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أحد مايدل على وجوب العمل بالخبر فيما يجرى مجرى الخوف ولذلك خرج خائفاً الى مدين وسأل الله تعالى ان ينجيه من القوم الظالمين ولو كان ظلمهم من خلق الله لكان ينجيه من نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى من بعد

(فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير)مع شدة حاجته عجيب فى اقتصاره على هذا القدر حتى دعاه شعيب وأمنه وكفاه وأنكحه ابنته وقضى له موسى بعد ذلك أحسن الاجلين فالمروي عن المفسرين انه قضى الاجل الا كمل وقوله بعد (نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني أنا الله رب العالمين) أحد مايدل على حدوث كلام الله تعالى والا كان يجب ان يكون أبدا قائلا لموسى هذا القول

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى إله موسى) كيف يصح على فرعون ان يظن هذا الظن مع كمال عقله ومعرفته بأن القصور وان بنيت أطول منها فلا يصح فيها ذلك وكيف يصح ان يقول هذا القول مع قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل (لقد علمت ماأنزل هؤلاء الا رب السموات والارض)فان كان عالما بذلك فكيف يصح ان يظن الاطلاع الى إله موسى . وجوابنا ان فرعون لما ادعى الالهية وصدقه قومه لجهلهم كان يظهر القدرة ويدعيها وان كان فى الباطن يعلم خلاف ذلك وعلى هذا الوجه قال ماعلمت لكم من إله غيرى مع علمه باحتياجه الى الا كل والشرب ودفع المضار وعلى هذا الوجه أيضا قال لهامان وذلك لا يمنع من ان يكون فى الحقيقة عالما بالله تعالى على مايدل عليه قوله (لقد علمت ماأنزل هؤلاء) فليس بين الآيتين اختلاف .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه) أليس يدل على شك منه فى النبوة . وجوابنا انه تعالى قال ذلك على وجه الحجاج ولذلك قال بعده (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) فاما قوله تعالى بعد ذلك (انك لاتهدى من أحببت)

فالمراد لاتثبته وليس المراد لاتدله ولاتبين وكيف يصح ذلك وقد قال جل وعز (وإنك لتهدى الى صراط مستقيم) أو يقال انه ظهر منه صلى الله عليه وسلم شدة المحبة لايمان أبى طالب عمه وان يكون من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذلك منبها به على ان الجنة لاتنال الا بالعمل الصالح ولذلك قال (ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

•(مسألة)• وربما قيل فى قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) كيف يصح أن يصف نفسه بأنه يختار مااختاروه أو يختار مالم يختاروه وأى فائدة فى ذلك . وجوابنا أن المراد ما كان لهم الخيرة فى ترك عبادة الله واتخاذ الاصنام آلهة ولذلك قال بعده (سبحان الله وتعالى عما يشركون) فبين أنه الخالق لما يشاء وأنه يختار لهم التوبة لان هذه الآية عقيب قوله (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) فبين أنه تعالى يختار المكلفين ما هو أصلح وأنه ليس لهم الخيرة فيما يختارونه بارادتهم وشهوتهم .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) كيف يصح أن يبلغ فى الغنى هذا الحد ومثل ذلك متعذر فى العادة . وجوابنا أن العصبة قد يقل عددها ويكثر فلا يمتنع أن يكون الله تعالى قد آتاه من الاموال ما فرقه فى الظروف الكثيرة وبلغت مفاتيح غلقها ما ذكره الله تعالى ولسنا نعلم أن الغلق فى ذلك الزمان كيف كان فانه قد يعظم فتعظم لذلك مفاتيحه وقد يصغر ومعلوم أن كثيرا من الملوك يجتمع فى خزانته مثل ذلك وأكثر فلاحاجة لاستبعاد ذلك وقوله تعالى (اذ قال له قومه لاتفرح) لا بد من حذف في الكلام وهو لا تفرح بما حصل فرح من يظن أنه يدوم ويبقى وقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يدل على ما قلناه فكأنهم

أشاروا عليه بأن ينفقه في سبيل الله وينصرف عن الجمع الكثير وقوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) المراد به التمتع بالقدر الذى يخرج فى العرف وقد قيل أن المراد أن يأتي في الدنيا ما يفوز لاجله بالآخرة اذ الدنيا انما تراد لمثل ذلك اذا وسع الله على المرء ولذلك قال تعالى آخرا (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) حاكيا عن أولى العلم منهم ونبه تعالى بقوله (فخسفنا به وبداره الارض) على أن الاعتداد بالدنيا وان كثرت من أعظم الخطأ وأن الواجب تفريق ذلك في مصالح الدين والدنيا وقال تعالى (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فان من يكون بغيته جمع الاموال وعمارة الدنيا ويلهو عن الآخرة فمراده العلو في الارض والفساد فان انضاف الى ذلك التسلط على الناس لما فضله الله به فهو أعظم ولمن يعنى بذلك ارادة العلو في باب الدين فان بلغ الانبياء هذه الرتبة العالية فيجوز أن يريدوا انقياد الناس لهم ودخولهم تحت طوعهم وقوله عز وجل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) أحد ما يدل على أنه لا يزيد في العقاب البتة وان كان يزيد على الثواب التفضل الكثير وقوله تعالى من بعد (ولا تدع مع الله الها آخر لا إله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) فالمراد به أنه يفنى جميع الاشياء ثم يعيد ما يجب اعادته وقوله الا وجهه المراد به الا هو فليس للمشبهة تعلق بذلك ويلزمهم أن أثبتوا لله وجها ويدا أن يقولوا إن سائره يفنى ويبقى وجهه وليس ذلك مما يعتقده مسلم وعلى هذا السبيل يقال هذا وجه الامر وهذا وجه الصواب فقد يذكر الوجه ويراد نفس الشئ فعلى هذا الوجه تأول الآية .

(سورة العنكبوت)

﴿مسألة﴾ قد بين تعالى فى هذه السورة ماذا وطن المكلف نفسه عليه كان باعثا له على العبادة وصارفا له عن المعاصى فقال تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فبين أن المؤمن لا يخلو من فتن ومحن وشدائد وأن الواجب أن يعتبر بذلك ويصبر وصبره على ذلك يدعوه الى الصبر على العبادة وعن المعاصى ثم بين أن هذه عادة الله تعالى فيمن تقدم أيضا فقال جل وعز (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وذكر العلم وأراد المعلوم لانه تعالى عالم لم يزل ولا يزال ولا يعلم الشئ عند كونه فقط ومثل ذلك يجرى مجرى الوعيد كقول القائل لغيره أنا عالم بتقصيرك اذا قصرت وبوفائك اذا وفيت ثم بين من بعد بقوله (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين) أن من تمسك بعبادته فالى نفسه أحسن وأنه تعالى ما أراد بتكليفه الا أن يعرضه للمنزلة العالية (فان الله لغنى عن العالمين) وبين أنه وصى المرء ببر الوالدين ايجابا لحقهما وأنه يجب أن لا يمتنع من برهما وأن دعواه الى الشرك لكنه لا يطيعهما فى باب الدين ويصاحبهما بالمعروف .

(مسألة) ومتى قيل مامعنى قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) وأى فائدة فى هذا الادخال وقد آمنوا وعملوا الصالحات ولم صاروا هم بأن يدخلوا في الصالحين أولى من أن يدخل الصالحين فى جملتهم . وجوابنا أنه تعالى قد بين ما للصالحين من المنزلة فى الآخرة وما يفعله بهم من معونة ونصرة فى الدنيا ثم بين أن كل من آمن وعمل صالحا فهو داخل فى هذا الوعيد باعثا لهم على التمسك بالايمان وبين من بعد أن المعتبر بالاخلاص لا بالقول

فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) و بين أن النفاق يمنع من دخول المنافق وان أظهر الايمان فيما وعد به الصالحين فقال تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) •

﴿ مسألة ﴾ ومتى قيل ما معنى قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) • فجوابنا أن الله تعالى أنكر ذلك عليهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء) وانما قالوا ذلك ايهاما للمؤمنين بأنهم ينصرونهم فى الدنيا و ينفعونهم لا بأنهم يحملون خطاياهم فى الحقيقة ثم بين تعالى أن الامر بالضد من ذلك وان هؤلاء الكفار يحملون أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم لانهم اذا دعوا غيرهم الى الكفر والمعاصى كانت هذه منزلتهم •

﴿ مسألة ﴾ ومتى قيل فى قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) كيف يصح أن يعيش المرء هذا القدر وهذا بخلاف العادة • فجوابنا أن من ينكر ذلك فمراده دعاء الى التعطيل والالحاد والله تعالى قادر على ذلك وعلى هذا الوجه بين أمر الجنة وأنه يبقيهم ومن تأول ذلك على أن المراد أن دعوته الى الشريعة بقيت هذه المدة فقد أخطأ وكان صلى الله عليه وسلم يدعو حالا بعد حال و يصبر عليهم كما ذكره الله تعالى فى نبوة نوح ثم دعا عليهم آخرا بقوله (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) لما علم بأنهم لا يؤمنون وأنزل الله تعالى بهم من بعد العذاب وقوله عز وجل (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة) يدل على أنه بقى هذه المدة وانه بقى بعدها أيضاً ولذلك قال (وجعلناها) يعني السفينة (آية للعالمين) •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ما فائده قوله تعالى (ان كنتم تعلمون)

والمعلوم أن ذلك خير لهم على كل حال • وجوابنا أن ذلك يقال على وجه التهديد لا لان علمهم يدخل ذلك في أن يكون خيرا ثم بين لهم ان الذين يعبدونهم لا يملكون لهم رزقا ولا نفعا وأن الواجب عبادة من يبتغى من جهته الرزق ومن اليه المرجع في الانابة •

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) كيف يصح وقوع الكفر في الآخرة • وجوابنا أن المراد بهذا الكفر الجحد والانكار فان المودة بين المبطلين تكون في الدنيا دون الآخرة كما قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) •

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها) كيف خفي على ابراهيم انهم لم يريدوا بالاهلاك لوطا ومن آمن معه حتى قال ماقال فاجابوه بما أجابوا • وجوابنا انه يجوز فى الدنيا ان يلحق العذاب بالعصاة ويكون فيهم غيرهم فيكون ذلك محنة فلما كان ذلك مجوزا جاز ان يقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ماقال ولا يمنع ان يكون فى ظنه ان القوم لايعرفون ان لوطا فيها فعرفهم ذلك وقوله تعالى من بعد (فكلا أخذنا بذنبه) لذكر ماأنزله بأمم الانبياء من العذاب وقوله بعد ذلك (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يدل على ان هذه الافعال أفعال العباد ليصح ان يؤاخذوا بها وان ينسب الظلم الى أنفسهم كما نقوله فى هذا الباب وقوله من بعد (خلق السموات والارض بالحق) أيدل على مانقوله من انه لا يفعل الا الحكمة والصواب وقوله وفى قوله بعد (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ربما يقال انا نرى من يصلى ولا ينتهى عن ذلك فكيف يصح هذا الظاهر • وجوابنا

عنه ان الذى تنهى الصلوة عنه هو الذى لايقع والمصلى وان فعل منهما الكثير فمعلوم من حاله انه غير فاعل لشئ من ذلك في بعض الاوقات فبين الله تعالى انه أوجبها لان عندها ماهو أزيد منه ومعلوم أيضا انه غير فاعل المصلى لا يختار الفحشاء والمنكر والا فالصلاة محال ان تنهى فالمرادماذ كرناه وهذاأحدمايعتمد عليه فى انه تعالى لايعبد بهذه الشرائع الا لهذا الوجه وقوله من بعد (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم) ربما قيل فيه ان ظاهره يقتضى فيمن ظلم منهم انه يجادل بما ليس احسن وذلك لايصح . وجوابنا ان من ظلم منهم نفسه وتمرد لا يكون مايلزمنا ان نرد به عليه مثل الذى نخاطب به غيره وان كان الجميع حسنا ولا ننكر انا نفعل مع بعضهم ما غيره أحسن منه وان كان كل ذلك من باب الحسن وقوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) يدل على ما نقوله من أنه تعالى ينزه الانبياء عن كل أمر ينفر عنهم وقوله تعالى من بعد (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ربما يتعلق به الخوارج في أن كل فسق كفر وربما يتعلق به من يقول انه مع الايمان لايضر شئ . وجوابنا أن ذلك لا يمنع من أن يحيط بغيرهم فلايدل على ما قالوه وفى قوله تعالى (ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) دلالة على أنهم يعاقبون ويعرفون أن ذلك العقاب عدل من حيث عملوا وأذنبوا ولو كان ذلك من خلق الله تعالى فيهم لماصح ذلك وقوله تعالى من بعد (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) ربما يقال ما الفائدة في ذلك وهو معلوم للمخاطب . وجوابنا أن المراد فاياى فاعبدون ولا يصدنكم عن العبادة عدم الاستقرار فى مكان واحد بل يجب أن المرء يكون الوفا بعبادة الله تعالى ولو مع التحول ان تحول فأرض الله واسعة .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) كيف يصح ذلك فى وصف الدار التي هى جماد . وجوابنا أنه تعالى بين بهذا المجاز مالا يفهم بالحقيقة اذ المراد أن هذه الدار من حق الحياة فيها أن تدوم ولا تنقطع ومن حقها أن يدوم نعيمها بلا بؤس وأن يتصل ولا مشقة .

(سورة الروم)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) كيف يصح أن يفرحوا بغلبة بعض الكفار لبعض . وجوابنا أنه تعالى لما بشر المؤمنين بأنهم سيغلبونهم ذكر ذلك فلو لم يكن الا ما يظهر من صدق هذا الوعد لكفى فكيف وقد ينصر المؤمن مما يجرى من الذل على الكفار من قبل الكفار أيضاً ولذلك قال تعالى بعده (وعد الله لا يخلف الله وعده) وبين أن الاكثر من الناس لايعلم الاظاهر الحياة الدنيا دون مايتعلق بالدين بقوله تعالى (ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ومتى قيل في قوله تعالى (وهم عن الآخرة) لماذا كرر وما الفائدة فيه وهل يحمل على التأكيد أو فيه مزيد فائدة . فجوابنا

جواب هذا السؤال لم نجده في شئ من نسخ الكتاب وانما وجدنا مكان الجواب بياضا هكذا وقد ذكر الزجاج في تفسيره فقال هم الاول مرفوعة بالابتداء وهم الثانية ابتداء ثان وغافلون خبرهم الثانية والجملة الثانية خبر الاول والفائدة في الكلام ان ذكرهم الثانية وان كانت ابتداء يجري مجرى التوكيد كما تقول زيد هو عالم وهو أوكد من قولك زيد عالم ويصلح ان تكون الثانية بدلا من هم الاولى مؤكدة أيضاً كما تقول رأيته اياه ورأيت زيدا نفسه ولعل قاضى القضاة لم ير منه جوابا شافياً وأراد اشفاء منه فتوقف فيه ولا يمتنع أن يكون قد أجاب عنه في نسخة أصله وأن لا يكون قد وقع البيان .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى أن كذبوا بآيات الله) كيف يصح أن يسمى ما يفعله بهم تعالى سوأ وذلك لا يكون الا قبيحاً . وجوابنا أنه أجرى هذا اللفظ على ما هو جزاء عليه كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وذكره كثير في اللغة والا فما يفعله تعالى لا يكون الا عدلا وحكمة وذلك لا يوصف بهذا الوصف ولذلك لا يحسن وصف الله تعالى بأنه مسيء .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) ثم قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فبين أنهم عند قيام الساعة يتفرقون الى هذين القسمين كافر ومؤمن فقولك أن الفاسق له منزلة بينهما يبطل . وجوابنا أنه تعالى قال يتفرقون ثم ابتدأ بقوله تعالى فأما الذين آمنوا وأما الذين كفروا فذكرهما ولم ينف ثالثا لهما وقد ثبت حكم ذلك الثالث بسائر الآيات .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أليس يدل ذلك على أن كلامهم من خلق الله تعالى وجوابنا أن اختلاف خلقة الالسنة من قبله تعالى ولاجل هذا الاختلاف يدرك كلامهم مختلفا فمن كان في لسانه رقة لا يكون كلامه بمنزلة كلام من في لسانه غلظ وكذلك اختلاف منافذ الرياح والنفس فبين تعالى ان في ذلك آية وعبرة وهذا الجواب أولى من قول من يقول ان المراد به اختلاف اللغات وأنها من باب التوقيف وتضاف الى الله تعالى لان الوجه الذي به يقع الاعتبار في اختلاف الالسنة هو في كيفية ادراكنا لان الكلام في اللغات هل هي توقيف أو اصطلاح فيه الخلاف الكثير ومعنى قوله تعالى من بعد (ومن آياته أن تقوم السماء

والارض بأمره) أنهما تقومان بفعله وارادته وذكر الامر على وجه التفخيم لشأنه كأن هناك أمراً هو قول وهذا كقوله تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله تعالى من بعد (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) يجري هذا المجرى لانه تعالى لا يدعوهم في الحقيقة لكنه يحييهم ويكمل عقولهم ويمكنهم فيخرجون ويرجعون الى الله تعالى بمعنى الى حيث لا حاكم سواه وقوله تعالى من بعد (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ربما قالوا فيه ان ذلك يدل على جواز الضعف عليه . وجوابنا أنه بمعنى هين كما اذا قلنا في الله انه اكبر وأعظم فالمراد به كبير عظيم وكما قال الشاعر

إن الذي سمك السماء بنى لنا ٭ بيتاً دعائمه أعز وأطول

والمعنى أنه عزيز طويل .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) كيف يصح ظهور الفساد لاجل كسبهم . وجوابنا أنهم اذا أفسدوا في الارض وظلموا ومنعوا الحقوق يظهر بذلك الفساد في الموضعين واذا قلت النعم من جهة الله تعالى لاجل ذلك كان ردعا لهم عن أمثال ما فعلوا وبذلك قال تعالى (لنذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ولا يمتنع أن يكون الصلاح عند كسبهم أن يقع من الله تعالى التضيق في المعيشة على وجه الاعتبار كما فعله تعالى بأمم الانبياء من انزال العقاب بهم ولذلك قال تعالى بعده (قل سيروا في الارض) فبين ما نالهم لاجل شركهم وقوله من بعد (فأقم وجهك للدين القيم) هو خطاب للكل وان كان لفظه خاصا والمراد بالوجه نفس الانسان فكأنه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه ولا تزول فلا تأمن في كل وقت من الاخترام فاذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين ولذلك

قال تعالى بعده (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) وقوله تعالى من بعد (من كفر فعليه كفره) يدل على أنه من فعله والا كانت اضافته الى خالقه أولى وقوله تعالى (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يوجب أن ذلك من فعلهم أيضا وقوله تعالى من بعد (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) يدل أيضا على ذلك لان المجازاة من الله تعالى على نفس ما خلق لا تصح وقوله تعالى من بعد (إنه لا يحب الكافرين) يدل أيضاً على ذلك لان الكفر ان كان من خلقه فقد أراده وأحبه واذا أراده فقد أحب الكافر اذ محبة الكافر هو محبة كفره وقوله تعالى من بعد (فانتقمنا من الذين أجرموا) يدل على أن الجرم من قبلهم وقوله تعالى من بعد (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) يدل على أن إيمانهم من قبلهم اذ لو كان خلقا من الله لكان ناصراً لنفسه وذلك محال وقوله تعالى من بعد (فانك لا تسمع الموتى) هو على وجه المبالغة لتركهم القبول والتفكر وكذلك قوله (ولا تسمع الصم الدعاء) ولذلك قال تعالى بعده (اذا ولوا مدبرين) ولو أراد حقيقة الصم لكان حالهم في الاقبال كحالهم في الادبار ولذلك قال تعالى بعده (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فأما قوله عز وجل (الله الذى خلقكم من ضعف) والضعف عرض لا يصح أن يخلق الجسم منه فالمراد المبالغة في ضعفه وهو على ماهو عليه و بين أن آخر أمره أن لا ينتظر له قوة بعد ضعف و بقوله تعالى (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) وكل ذلك تحريك لهم على التدارك الى التوبة خصوصاً وقد أدرك حال الشيبة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) كيف يصح أن يخبروا بذلك و يقسموا عليه وهو كذب وعندكم أنهم في الآخرة هم ملجؤن الى أن لا يفعلوا القبيح . وجوابنا أن المراد بذلك إخبارهم

عن أنهم ما لبثوا غير ساعة عند أنفسهم لأنَّ ما بين الموت والاعادة وان طالت مدته فهو كالقصير من الاوقات في أن المعاد لا يتبين له ذلك وقوله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) يدل على ما نقول لانه ان كان ظلمهم من خلق الله فهم مستغنون عن المعذرة .

﴿ سورة لقمان ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها) كيف يصح مع ثقلها وعظمها أن تقف لا على عمد . وجوابنا أنه تعالى اذ اسكنها حالا بعد حال وقفت وان كانت ثقيلة كما أن أحدنا يمسك بيده وقد بسطها فمن حيث يفعل فيها السكون حالا بعد حال تثبت ولذلك متى لم يسكنها سقطت لانّ أحدنا يغفل و يلهو والله سبحانه يتعالى عن ذلك واختلف المفسرون فى ذلك فقال بعضهم الفائدة فيه نفي نفس العمد أصلا على ما ذكرنا وقال بعضهم الفائدة فيه انا لا نرى العمد والاول هو أقوى وهو داخل فى الاعجوبة وقوله تعالى من قبل (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) يدل على أن المضل هو الانسان وأنه مذموم و يدل على أن كل قول قيل بلا علم فى الاديان فهو مذموم وقوله تعالى من بعد (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) يدل على أن العشرة المتصلة بأحوال الدنيا قد تحسن مع المباينة في الدين ثم بين أن من أناب الى الله يجب أن يتبع فقال (واتبع سبيل من أناب) الى قوله تعالى من بعد حاكيا عن لقمان (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل) القصد فيه أن يتأمله المرء فيعمل به فان هذه الوصية جامعة للانقطاع الى الله تعالى بعد المعرفة بعلمه وقدرته لان قوله تعالى (إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الارض

يأت بها الله إن الله لطيف خبير) يؤذن بان ما أقدم المرء عليه دق أم جل فهو معلوم لله وتكون المجازاة بحسبه وذلك ردع عظيم وهى جامعة القيام بالعبادات وهو بقوله (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك) وهى أيضاً جامعة للآداب وما ينبغى أن يتمسك به المرء من الاخلاق والتواضع وهو بقوله (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا) الى آخر الكلام وقوله من بعد (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) يدل على أن التمسك بالمذاهب انما يحسن اذا كان عن علم وقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) مما لا مزيد عليه فى بطلان التقليد لانه تعالى بين أنهم اذا جاز أن يتركوا الدليل اتباعا لابائهم من دون دلالة فقد تجاز أن يرجعوا الى اتباع الشيطان فيما يدعوهم اليه لان ما في كلا الموضعين هو اعتماد على القول من دون دلالة وهذا هو الذى نعتمد عليه فى بطلان التقليد ونقول إنه اذا جاز تقليد الاباء في الاسلام فيجوز تقليد أولاد النصارى لابائهم لان كل ذلك اعتماد على قبول القول من غير دلالة وقوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) يدل على أن كلام الله مقدور له يحدث حالا بعد حال لا كما قاله قوم من أنه متكلم بذات أو بكلام قديم لا يصح فيه زيادة ولا نقصان.

« مسألة » وربما تعلقوا بقوله تعالى (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله) وقالوا يدل ذلك على أن جريه من فعل الله تعالى ليكون مضافا الى الله تعالى ولولا ذلك لوجب أن يكون مضافا الى الملاح ولما صح أن يكون آية وقد قال تعالى (ليريكم من آياته) وجوابنا أن وجه الاعتبار فى ذلك خلقه تعالى الماء في البحر على الصفة التي معها تجرى السفن وخلقه الرياح على هذا الوجه ولولا

ذلك لما صح جريها بفعل العباد وفي ذلك آيات الله تعالي ونعمه لانه لولا ذلك لما صح التوصل الي قطع البلاد وجلب النعم وقوله تعالي (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) يدل على أن الجحد لا يكون من خلق الله تعالي اذ لو كان من خلقه لما صح أن يذمه هذا الذم العظيم وقوله تعالي من بعد (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى عقاب ربكم بالتحرز من المعاصى وقوله تعالي (واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق) من أقوى دلالة ما يدل على أن وعده و وعيده لا يجوز أن يقع فيهما خلف ومن أقوى ما زجر الله به عباده عن المعاصى فاذا تدبر المرء عند قراءته ما ذكرنا عظم انتفاعه بذلك ولذلك قال بعده (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) يعنى بذلك متاعها (ولا يغرنكم بالله الغرور) زجر بذلك عن قبول كل قول يغر المرء ويصرفه عن التمسك بطاعة الله ثم بين تعالى ما يختص به عز وجل من العلم ولم يطلع العباد عليه بالادلة وان جاز أن يطلع أنبياءه على بعضه ليكون معجزاً لهم فقال جل من قائل (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث و يعلم مافي الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) وفى ذلك دلالة على بطلان قول من يحكم أن أحكام المنجمين صحيحة فيما جرى هذا المجرى.

﴿ سورة السجدة ﴾

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم) أليس ذلك صريحا في أنه تعالي فى السما . وجوابنا أنه جعل جل وعز السماء مكانا للملائكة وللارزاق التى بها يحيي الناس ولذلك قال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فلأجل ذلك قال (يدبر الامر من السماء الى

الارض) ومعنى قوله (ثم يعرج اليه) أى الى المكان الذى لاحكم فيه الاحكمه لانّ الملائكة طوع الله ولا يفعلون الا بأمره .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يعرج الملائكة اليه في يوم كان مقداره ألف سنة) أن ذلك مخالف لما ذكر في سورة سأل سائل من قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) . وجوابنا أن المراد بهذه الاية نزول الملائكة بالوحى وغيره من السماء الى الارض ورجوعها الى مكانها فلا يكون ألفسنة بل بين السماء والارض مسير خمسمائة عام وأما الاية الثانيـة فالمراد بها يوم القيامـة ويدل عليه قوله تعالى (انهم يرونه بعيـدا ونراه قريبا) فبين أنه يطول ذلك الزمن على الكفار لشدته فيساوى لاجل تلك الشـدائد خمسين ألف سنة وقوله من بعد (الذى أحسن كل شئ خلقه) يبين أنه لا قبيح في قوله ولا أسمائه فان قيل ففى جملة ما خلق ما يقبح في الصورة . فجوابنا أن المراد نفى ما يقبح في العقل من فعله لا ما يستقبح في الصورة بين ذلك أن هيئة الانسان فى صلاته وقضاء حاجتـه والنهى عن المنكر قد يستقبح في المنظر وتوصف مع ذلك بأنها حسنة وحكمة وقوله تعالى (أاذا ضللنا في الارض أإنا لفي خلق جـديد بل هم بلقاء ربهم كافرون) يدل على بطلان تعلقهم في باب الرؤية بذكر اللقاء لانّ الله عزوجل بين أنهم كافرون بلقاء ربهم وأراد كفرهم بالاعادة وبالثواب والعقاب وقوله عزوجل من بعد (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون) المراد به يقولون ربنا وحذف مثل ذلك يحسن في الكلام اذا كان فيه ما يدل عليه ولا يجوز أن يتمنوا ذلك ويسألوه الا والعقاب من جهتهم يقع وباختيارهم يكون وقوله تعالى (ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها) فالمراد به على وجه الالجاء الذى اذا وقع لم ينتفعوا به لانهم انما

ينتفعون بما يفعلونه طوعا ليستحقوا به الثواب ولذلك قال تعالى (ولكن حق القول منى لاملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هـذا) يدل على أن اللقاء ليس بمعنى الرؤية وأراد تركتم النظر والعلم بالاعادة وقوله تعالى (انا نسيناكم) والنسيان على الله تعالى لا يجوز والمراد به عاقبناكم على تركـكم على مثال قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون) يدل على أن الفاسق ليس بمؤمن لانه تعالى ميز بينهما فجعل للمؤمنين جنات المأوى وللفاسقين النار .

٥(مسألة)٥ ومتى قيل ما معنى قوله تعالى (ولنذيقنهم من العـذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) . وجوابنا أن المراد ما عجله من الالام لـكى يصلحوا فسماه عذابا مجازا ويجوز أن يريد بذلك عذاب القبر أو الحدود التى تقام على بعضهم فمن يعلم ذلك يكون أقرب الي أن يرجع عن معاصيه وقوله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه ثم أعرض عنها) أحد ما يدل على أن العبـد مختار لفعله والا فالاعراض ممن لا يقدر على الشئ وتركه محال لانه لا يقال في أحدنا أنه أعرض عما يعجز عنه وقوله تعالى من بعد (انا من المجرمين منتقمون) والمراد به العقاب يدل على أن كل مجرم وان كان من أهل الصلاة فالله تعالى ينتقم منه الا أن يكون تائبا أوجرمه صغيرا وقوله تعالى من بعد (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) المراد به جعلناهم أنبياء وعلماء يقتدى بهم لاجل صبرهم فدل بذلك على أن الانبياء لولا صبرهم عن معاصى الله لما جعلوا أنبياء فيبطل بذلك قول من يجوز عليهم الكفر والكبائر قبل البعثه وقوله تعالى من بعد (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يحمل على أنه تعالى يفصـل بينهم بالعلم فينقاد المبطل ويعرف المحق

حاله في ذلك فان كان الفصل يقتضى نقل الاعراض فسيفعله تعالى .

(مسألة) وربما قيل ما معنى قوله تعالى (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) وكيف يصح والقوم يكذبون بذلك كما قال تعالى بعده (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) ومن لا يؤمن بيوم القيامة كيف ينتظر ذلك . وجوابنا أن موتهم لما كان مقدمة الاعادة جاز أن يقول ذلك ويحتمل أنهم على غير يقين مما قالوا فهم على شك وتجويز فحكمهم حكم المنتظر .

(سورة الاحزاب)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) مامعنى ذلك فان كان تعريفا لنا فهو معلوم . وجوابنا ماجعل لاحد ما يتسع به فى النظر في الامور وفى الاجتهاد وفي الرأى حتى لايشغله بعض ذلك عن بعض بين ذلك ان المراد مقصور على ما جرت به العادة على النظر فى الدين والدنيا وقد قيل انه كان فى الصحابة من يلقب بذلك ويعتقد فيه الاتساع في الرأى والمعرفة فانزل الله تعالى ذلك لان المنافقين زعموا انه له قلبين .

(مسألة) ومتى قيل ما المراد بقوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) كيف يصح ان يكون أولى بهم من أنفسهم وكيف يصح فى أزواجه ان يكن أمهاتهم . وجوابنا انه أولى بهم فيما يقتضى الانقياد في الشرع وأولى بهم فيما يتصل بالاشفاق أوالمراد انه أولى بهم من بعضهم لبعض كقوله تعالى فسلموا على أنفسكم واما ان أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين وتبرئة رسول الله عن ان يخلفه فى أزواجه غيره ولذلك روى عن عائشة في امرأة قالت انك أمي انها أنكرت ذلك وقالت انما أنا أم

رجالكم لان التزويج في الرجال يصح فأكد ذلك بأن شبههن بالامهات وربما حذف في التشبيه اللفظ ليكون على وجه التحقيق كما يقال للرجل البليد هو حمار ولمن لايصغى ولا يفهم انه ميت قال تعالى (انك لا تسمع الموتى)

(مسألة) ومتى قيل ما معنى قوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) وقوله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) ماهذا الميثاق المأخوذ من أمم الانبياء . وجوابنا انه تعالى لما أعلمهم وجوب طاعته وطاعة الرسول ودلهم على ذلك ببعثة الرسل وغيرهم وألزمهم القيام بذلك كان ذلك أوكد من المواثيق بالايمان المغلظة وأعظم في وجوب الحجة عليهم في الآخرة ولذلك قال تعالى بعده (ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) كيف يجوز أن يزيد في عقابهن وذلك ظلم تعالى الله عنه . وجوابنا ان مكان اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم نعمة الله عليهن بذلك وبغيره يوجب ان مايقع منهن من المعصية يكون أعظم عقابا لان المعصية تعظم بعظم نعمة المعصي كان معصية الولد لوالده وله عليه الحقوق العظيمة أعظم فبين الله تعالى ان عقاب معصيتهن لو وقعت منهن يكون أعظم لان ذلك عين المستحق فان قيل فقد قال تعالى (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) فانه كان عظم المعصية لعظم النعمة فيجب في الطاعة ان يكون موقعها منهن أخف لان عظم النعمة كما يعظم المعصية يخفف أمر الطاعة . وجوابنا عن ذلك ان الطاعة لله تعالى تعظم لوجه آخر وهو ان الناس يقتدون بهن لعظم منزلتهن في القلوب كما قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في من سن سنة حسنة

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت) أليس ذلك يدل على أنه تعالى يفعل فيهم الصرف عن المعاصي . وجوابنا ان المراد بهذا انه تعالى يلطف لهم زيادات الطاف فلايختارون الا الطاعة فهذا معنى الاذهاب بالرجس ولذلك قال بعده (ويطهركم تطهيرا)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل ما معنى قوله في قصة زيد (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) . وجوابنا أنه تعالى أحب فيما أراده من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة زيد أن يكون مظهرا لذلك لانه من باب ما قد أحله الله تعالى له وأن لا يكون فى قلبه من الناس ما يتكلف لاجله ابطان ذلك ولذلك قال (فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا كها) وقوله تعالى (انا أحللنا لك أزواجك) مع أنه مقدم فى الانزال على قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) وهي التاسعة لان المعتبر فى الناسخ أن يكون متأخراً فى التعريف والانزال لا فى التلاوة وقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) فيها اختلاف فبعض المفسرين يزعم أن ذلك مقدار ثابت بين به تعالى أنه يحل له التزوج فلا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مخصوص بذلك كما خص باباحة الزيادة على أربع ومنهم من يثبت الموهبة ولذلك قال تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) .

(مسألة) ومتى قيل في قوله تعالى (ان الله وملائكته) بعبارة واحدة ذلك عندكم ممنوع منه وكيف يصح الصلاة من الله تعالى ومن الملائكة على الرسول فجوابنا أن قوله تعالى (يصلون على النبي) يرجع الى الملائكة فقط لانه تعالى يعظم أن يذكر مع غيره ولكنه يعقل بذلك أنه جل وعز أيضاً يصلى على الرسول وصلاته جل وعز معناها الرحمة العظيمة والانعام الجسيم وصلاة الملائكة الدعاء وقد قال تعالى قبل ذلك (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) وذكر ذلك فى عباده والمراد أنه يرحمكم بالهداية لتصلوا الى الثواب وقوله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا صلوا عليه) المراد الدعاء له بالمغفرة والرحمة العظيمة وفى الفقهاء من استدل بذلك على وجوب الصلاة عليه وعلى وجوبها فى التشهد ومن حيث قال (وسلموا تسليما) فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرفنا معنى السلام عليك فكيف الصلاة عليك فعلمهم كيف يصلون عليه فيوردون ذلك فى الصلاة كما علمهم التشهد من قبل .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون) كيف يصح ذلك . وجوابنا أنه تعالى يفعل ذلك في الحقيقة لانه قادر على ذلك فيكون أزيد في غمهم وقوله تعالى من بعد (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) في السادة الذين اتبعوهم صحيح لان من سن سنة سيئة يزاد في عقابه فأما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ففى المفسرين من قال دخل ليغتسل فلما خرج وثيابه على حجر عدا الحجر حتى رؤى مكشوفا فبرأه الله مما كانوا يضيفونه اليه من أنه عليه السلام آدر وهذا مما أنكره مشايخنا وقالوا إن ذلك لا يجوز على الانبياء وأن المراد بالاية أنهم اتهموه بأنه قتل هارون أخاه لانه مات قبله وكان في هارون ضرب من اللين وفى موسى صلى الله عليه وسلم خشونة فلميلهم اليه قالوا هذا القول فبراه الله اعاده حتى برىء موسى من هذه التهمة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) كيف يصح ذلك فيها وهى من جملة الجمادات التى لا يصح أن تعرف وتعلم . وجوابنا أن المراد عرضنا الامانة أى تضييع الامانة وخيانتها على أهل السموات والارض وهم الملائكة (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) والاشفاق

لا يصح الا في الحي الذي يعرف العواقب ثم قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) ولو حمل نفس الامانة لم يصح ذلك فيه ·

﴿ سورة سبأ ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وله الحمد في الآخرة وهو العزيز الحكيم) كيف يصح ذلك وقد زال التكليف · وجوابنا انه وان زال فالشكر والحمد لله في الآخرة يكثر لأنهم يسرون بذلك فيشكرون نعم الوقت حالا بعد حال ويشكرون النعم المتقدمة وما يفعله المرء لربه لا يكون داخلا في التكليف ·

﴿ مسألة ﴾ ومتى قيل كيف يصح في قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلي وربي لتأتينكم) وما تعلق به قوله تعالى (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة) مما تقدم · وجوابنا أن من أقيمت له الدلالة على بطلان ما هو عليه يجوز اذا ذكر مذهبه أن يكون هذا جوابه لينبه على تقصيره فبين الله تعالى بأنه عالم الغيب وأنه يجازي كل أحد يوم القيامة بما استحقه على ما ذكره من بعد ·

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) كيف يصح أن يأمر الله تعالى الجبال والطير وكيف يلين الحديد وفي تليينه ابطال كونه حديدا · وجوابنا أن ذلك بمنزلة قوله تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وليس ذلك بامر فالمراد بيان ان الجبال والطيور لا تمتنع عليه فيما يريده فاما تليين الحديد فمعلوم أنه يلين بالنار ولا يخرج من أن يكون حديدا فجعله الله عز وجل لداود صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة أو جعله من حيث القوة بحيث يتصرف فيه كتصرف أحدنا في الطين وكل ذلك صحيح ولما بين عظم نعمه على داود وسليمان بالامور التي سخرها لهما قال تعالى من بعد (اعملوا آل داود شكرا)

وذلك يدل على ان النعم توجب مزيد الشكر والقيام بالطاعة على وجه الشكر وبين تعالى بقوله (وقليل من عبادي الشكور) ان التكاليف وان عم الكثير فقليل منهم يقوم بحق شكره وذكر تعالى ذلك ليجتهد كل أحد أن يكون من جملة هذا القليل فيفوز بالثواب فاما قوله تعالى من بعد (وهل نجازي الا الكفور) فلا يصح للخوارج الذين يقولون ان كل ذنب كفر ان يتعلقوا به لان المراد وهل نجازي بما تقدم ذكره الا الكفور وقد أجري الله تعالى العادة بانه لا يعذب بعذاب الاستئصال في الدنيا الا من كفر وقوله تعالى (وقدرنا فيها السير) ربما يتعلق به المجبرة في انه تعالى يفعل السير وذلك بعيد لان المقدر للشيء لا يجب أن يكون فاعلا له لان من بين الشيء كيف يفعل وصف بانه قدره وان كان الفعل من غيره ولذلك قال بعده على وجه الامر (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) كيف يصح من العقلاء أن يسألوا ربهم أن يباعد بين أسفارهم وهي قريبة · وجوابنا ان ذلك منهم جاء على وجه الجهل كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) هذا اذا قرئ على هذا الوجه وقد قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وذلك على وجه الخبر لانه غير أحوالهم فنالهم من المشاق في أسفارهم خلاف ما كانوا عليه وقد يقول الضعيف بعد على الطريق لمزية مشقته وان كان حال الطريق لم يتغير

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة) كيف يصح أن يصف نفسه بانه يعلم بانه لم يكن له عليهم سلطان وهو عالم بنفسه · وجوابنا انه تعالى يذكر العلم ويريد المعلوم كما ذكرنا من قبل فالمراد به انه لا يقع من ابليس الا الوسوسة والترغيب في المعاصي وعند ذلك يتميز من يؤمن ممن يشك ويجهل ولذلك قال بعده (وربك على كل شيء حفيظ)

أي هو عالم بهذه الامور قبل أن تقع .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) من المراد بذلك وما معنى قوله لمن بعد (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق)وما الفائدة في هذا الجواب . وجوابنا ان المراد بذلك الملائكة بين تعالى انهم لا يشفعون الا باذنه وانهم بخلاف الشياطين فلا يقع منهم الا ماهو طاعة لله تعالى و في الخبر عن ابن مسعود انه تعالى اذا أراد أن يكلم ملائكته بما لا يريد ظهوره لغيرهم يحدث في السماء صوتا عظيما يفزع منه سائر الملائكة فاذا انجلى يقولون للملائكة الذين كلمهم الله ماذا قال ربكم فيجيبون بقولهم قالوا الحق أي قال ربنا الحق فيعلمون ان ذلك من الباب الذي يجب أن لا يظهر فهذا معناه وقد قيل ان الملائكة الذين ينزلون لكتب أعمال العباد اذا نزلوا فزع من هو دونهم من ذلك وتوهموا ان ذلك لقيام القيامة فيسألون ويجابون بما تقدم فاما قوله من بعد (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو إيا كم لعلى هدى أو في ضلال مبين)فالمراد بيان الحق وتمييزه من الضلال كما يقوله أحدنا لمن يستدعيه لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلم انه على هدى وان المشركين على ضلال وقوله تعالى من بعد (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) دليل قوى على أن العبد هو القادر عليه لانه تعالى لو كان هو الخالق فيهم الايمان لما صح أن يقولوا لولا أنتم لكنا مؤمنين بل الصحيح أن يقولوا لولا خلق الله تعالى الكفر فينا لكنا مؤمنين فذلك يدل على قدرتهم على الايمان واعترافهم يوم القيامة بأن الذى صرفهم عن الايمان دعاء هؤلاء الرؤساء وأنه لولا دعاؤهم لكانوا يختارون الايمان وقوله تعالى من بعد (قال الذين

استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) يدل أيضاً على ما ذكرنا لانهم بينوا أن الذى وقع منهم لم يكن صدا لهم عن الهدى وقد ظهر لهم وتجلى أن ما وقع منهم انما وقع باختيارهم ولو كان تعالى يخلق فيهم لكان أقوى حجة لهم أن يقولوا أنحن صددناكم بل الله خلق فيكم ذلك وقوله تعالى من بعد (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا) بيان من الله تعالى بأن الاموال والاولاد لا تنفع في الآخرة وأن الذى ينفعهم ايمانهم وعملهم الصالح وبين من بعد بقوله تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) ما يقوى قلب المرء على الانفاق في طاعة الله فان قيل فنحن نرى من ينفق ولا يخلف الله عليه شيئاً . وجوابنا أن المراد فهو يخلفه متى كان صلاحا ولم يكن فسادا ولم يوقت ذلك بوقت وذلك يبطل السؤال .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) كيف يصح ذلك وفيهم من لم يكن يعبد الملائكة بل اكثرهم ليس بهذه الصفة . وجوابنا أن الغرض ابطال عبادة غير الله دون بيان لمن كانوا يعبدون من ملك أو جن أو صنم ولذلك قال تعالى بعده (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) فاذا أقبل على الملائكة جل وعز ونبه على أن من عبدهم فقد عبد من لا يملك له ضرا ولا نفعا فقد نبه بذلك على أن عبادة الجن والصنم بهذا التوبيخ أولى وقوله تعالى من بعد (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى) فيما يدل على الضلال من قبل العبد ولا يضاف الا اليه من حيث زجر الله تعالى عن فعله والاهتداء والايمان وان كان من فعله فانه يضاف الى الله تعالى من حيث أمر به ورغب في فعله ولطف فيه وأعان وذلك صريح قولنا فيما يضاف الى الله تعالى وما لا يضاف .

(سورة الملائكة)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وذلك متناقض . وجوابنا أنه لا يمتنع أن يكون بعضهم رسلا الى بعض و يكون ذلك توكيدا في ألطافهم فأما قوله تعالى (أولي أجنحة) فالمراد أنهم بهذا الوصف فبعضهم لمثنى و بعضهم لرباع و يحتمل أن يكون الملك متمكنا من أجنحة هى ثلاث ومن أجنحة هى مثنى ومن أجنحة هى رباع لان الجناح لا حياة فيه وهو آلة الطيران فقد يجوز فيه الزيادة والنقصان .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله) أليس ذلك يدل على أن كل محدث مخلوق فالله خالقه لا خالق سواه وذلك بخلاف قولكم لانكم تقولون أنه من فعل الشئ مقدرا فهو خالقه وتستدلون بقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) . وجوابنا أنه تعالى انما نفى خالقا سواه ورازقا لنا لانه قال هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ولا خالق بهذه الصفة الا هو وقد بينا من قبل أن اطلاق هذه اللفظة لا يصح الا فى الله تعالى فلا وجه لاعادته .

«(مسئلة)» وربما قيل فى قوله تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) كيف يصح أن يرى القبيح حسنا . وجوابنا أن الداعى له الى القبيح زينه في عينه حتى اعتقده بهذه الصفة وهذه طريقة اتباع من يضل ويفسد و بين تعالى بعده أنه الذى يضل عن الثواب فقال (ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كيف يصح ومن ليس بعالم قد يخشى عقاب الله . وجوابنا أن المراد الخشية الصحيحة فانها لا تقع الا من عالم بالله تعالى على حقه ومن عالم بثوابه وعقابه ومن عالم بما تؤدى هذه الخشية من العبادات وما معه يثبت ما يخشاه فهذا معنى الكلام ثم أنه تعالى رغب في طاعته نهاية الترغيب بأفصح قول فقال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أنه غفور شكور) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه) كيف يصح فى الانبياء أن يكون بعضهم ظالمين و بعضهم مقتصدين و بعضهم سابقين بالخيرات والواجب أن يكون جميعهم من السابقين وجوابنا ان المراد انه تعالى أورث الكتاب الانبياء الذين بعثهم من جملة عباده والاقسام المذكورة لم ترجع اليهم بل ترجع الى عبادنا فكأنه قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من جملة عبادنا وعبادنا منهم ظالم لنفسه وهم الذين يعصون ربهم بكفر أو فسق ومنهم مقتصد وهو المؤمن التائب الذي لم ترتفع منزلته في باب الثواب ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين علت منزلتهم فهذا معنى الكلام وفيه وجوه من الاقاويل لكن الذي ذكرنا أبين وهذه طريقتنا في اقتصار الاجوبة رغبة منا في أن لا يطول وقوله تعالى (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) وقوله تعالى لهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) من أقوي مايدل على انهم كانوا يقتدرون على الايمان وانهم قصدوا أن لا يختاروا ذلك

﴿ سورة يس ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) كيف يصح

اثبات مكلفين لينذروا • وجوابنا انذلك يصح اذا كان المعلوم من حالهم أنهم يعصون فى كل شئ على كل حال فجاز أن يقتصر بهم على التكليف دون الانذار الواقع من الانبياء وعلى هذا الوجه تأخر القرآن فى الزمن فان قيل فان كان كذلك فلم ذمهم تعالى بقوله (فهم غافلون) . فجوابنا لأنهم عصوا من حيث لم ينفع فيهم الانذار ولذلك قال تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) ثم ذمهم بان شبه حالهم بالمغلول و بمن سدت عليه الطريق وقد مضي الكلام فى ان مثل ذلك يقع منه تعالى على طريقة التشبيه والتمثيل لحالهم بحال من هذا وصفه وقد قيل ان المراد لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم على هذا الحد من الشرع والأول أقرب الى الظاهر وقوله تعالى من بعد (انما تنذر من اتبع الذكر) ربما تعلقوا به فى أنه تعالى لم يهد الا من كان قد اهتدى وقد تقدم القول فى تأويل مثل ذلك في قوله (هدى للمتقين) في سورة البقرة وبينا ان من لم يقبل شبه بمن يتعذر عليه القبول لما تعلمه من حال الرسول وانه أنذر الكفار كما أنذر المؤمنين

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) ما الفائدة فى ارسالهما اذا كان لابد من ثالث • وجوابنا ان المصلحة ربما تكون في الاقتصار على اثنين في الارسال في وقت ثم فيما بعده تكون المصلحة في ضم ثالث اليهما لان المصالح تختلف بالاوقات ومتى قيل كيف يصح بعثه الرسل فى حالة واحدة والشرع واحد وما الفصل بين الجماعة في ذلك و بين الواحد وجوابنا انه اذا قدر ارسال بعض دون بعض فلاختلاف المصالح في الاوقات واذا جمع بينهم في الارسال فلان المصلحة في جماعتهم ولابد في المعجز من أن يظهر على كل واحد أو على جماعتهم وقوله من بعد (وما علينا الا البلاغ المبين) يدل على أنه لا نبي الا وقد بلغ ما جاء به قبل أم رد وقوله عز وجل (قيل ادخل

الجنة قال ياليت قومى يعلمون) المراد به من جاء من أقصى المدينة يسعى وظاهر ذلك يقتضى ان دخوله الجنة واقع وأنها ليست جنة الخلد ولا يمتنع فى بعض من يحبه الله تعالى أن يدخله بعض جنان السماء كما ذكرناه في الانبياء والشهداء فلا يصح أن يجعل حجة في أن جنة الخلد مخلوقة ويدل ذلك على سرور المرء بوقوف قومه على عظم منزلته واجتماعه معهم لا يكاد يعدله غيره من السرور

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم) أليس يدل ذلك على أنه تعالى جعل ما عملته أيديهم كجعل الجنات وذلك يدل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى • وجوابنا ان قوله (وما عملته أيديهم) يرجع الى قوله (ليأكلوا من ثمره) فكأنه قال ليأكلوا من ثمره وليأكلوا ما عملته أيديهم بالمكاسب وغيرها فبين انه جل وعز خلق لهم النعيم ومكنهم أيضاً من اكتساب النعيم فيبطل ما قالوه وقوله تعالى من بعد (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) أحد ما يدل على وجوب النظر فى الآيات وفساد التقليد

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) ما معنى ذلك وهل يصح وقوعه من عاقل • وجوابنا أن الجاحد لربه والمنكر للقول بان هذه النعم من جهة فاعل حكيم قد يجوز أن يقول لمن يعتقد ربوبيته وان النعم من قبله هذا القول لظنه انه كالشبهة فيما ذهب اليه القول اذا كان الاطعام والارزاق من قبله تعالى فما الفائدة فى أن يحوج العبد الى غيره وهلا كفاه بنفسه فعلى هذا الوجه يقع مثل هذا الكلام من العاقل ولو علموا ان الاحسان من الله على العبيد لابد أن يكون بحسب المصالح وأنه قد يجعل حاجته الى غيره ويحمله الكلفة فى ذلك لكى ينتفع فيكون له

مصلحة في الطاعة التي يلتمس بها الثواب وازالة العقاب لعلموا ان ذلك هو الحكمة والصواب وقوله تعالى (ماينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية) أحد البواعث على المبادرة الى الطاعات والى الثواب من حيث لايأمن المرء الاخترام فى كل وقت ولذلك قال تعالى (فلا يستطيعون توصية ولاالى أهلهم يرجعون) وقوله تعالى من بعد (فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولا تجزون الاما كنتم تعملون) يدل على ان العبد يفعل و يستحق على فعله الثواب أو العقاب وانه لايجوز أن يؤاخذ بعمل غيره وانه لايجوز منه تعالى أن يعذب الاطفال بذنوب الآباء وقوله تعالى من بعد (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) المراد به القبول من الشيطان على ماتأولنا عليه قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال صلى الله عليه وسلم لما أحلوا وحرموا بقولهم وصفهم بذلك وقوله تعالى من بعد (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) يدل على ان الاضلال فى الدين لا يكون من قبله تعالى كما يقوله القوم والا كانت الاضافة الى الشيطان لاوجه لها وقوله من بعد (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) احد ما اذا تصوره المرء يكون زاجرا له عن المعاصى لئلا يشهد عليه جوارحه بها يوم القيامة فيكون الفضيحة الكبرى وقد بينا من قبل ان هذا الكلام يفعله تعالى فيصير بصورة أن يكون الكلام كلام اليد والرجل وان هذا أقرب من قول من يقول هو كلامهم

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق) كيف يصح ذلك والمعلوم من حال كثير ممن يعمر انه لاينكس فى الخلق . وجوابنا انه لابد من تقدير شرط فى الكلام فان التعمير هو تطويل العمر واطالة العمر قد تختلف فاذا بلغ حدا مخصوصاً فلا بد من أن ينكسه في الخلق فتتغير أحواله فيجب أن

يكون هذا هو المراد

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) كيف يصح ذلك وهو صلى الله عليه وسلم أفصح العرب . وجوابنا ان المراد انما علمناه انشاء الشعر فيكون حاله كحال من اتسع فى معرفة اللغة فما هو منهم ولا يجوز حمله على انه لم يكن يعرف أوزان الشعر أو لم يكن يحفظ الشعر فانه كان يحفظه ولاينطق به فاذا صار ذلك عادة له معروفة كان أبعد من التهمة فيما جعله الله معجزة له ولذلك قال تعالى (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أليس ذلك يدل على أن لله تعالى يدين . وجوابنا ان دل فيجب أن يدل على أيدى ولا يقول بذلك أحد واذا وجب أن يتأول ذلك فكذلك سائر الآيات وذكر تعالى الايدى على طريق توكيد اضافة العمل اليه كما قال تعالى (بشرا بين يدى رحمته) وكما يقال في كلام وقع من المرء هذا ما عملت يداك وانما تذكر اليد من حيث أنها أقوى الات الافعال وختم جل وعز السورة بالرد على من أنكر الاعادة والذى أورده من أقوي ماورد في ذلك وهو أنه اذا ابتدأ الحي وصح منه ذلك وهو عالم لذاته صح أن يعيده اذا أفناه لان حال المعاد في صحة وجوده لاتغير حال القديم تعالى في صحة ايجاد ما يقدر عليه .

﴿سورة الصافات﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) كيف يصح ذلك والكواكب لااتصال لها بسماء الدنيا لانها جارية في أفلاكها وجوابنا أنها في المنظر كذلك فصح أن يصفها تعالى بهذا الوصف وكل ما علا يوصف بأنه سماء .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (بل عجبت ويسخرون) وأنه قد قرئ بالضم وذلك يوجب جواز التعجب على الله تعالى • وجوابنا أن المراد قل يا محمد بل عجبت ويسخرون فيكون فيه هذا الحذف ويحتمل أن يكون المراد استكثاره تعالى لذلك الامر فأجرى هذا اللفظ عليه مجازا •

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فنظر نظرة في النجوم) كيف يصح ذلك على الأنبياء وعندكم ان أحكام النجوم باطلة وجوابنا انه ليس في الظاهر انه أراد احكام النجوم فيحتمل انه نظر في نفس النجوم ويحتمل انه أراه نجوما كان تعالى قد جعلها علامة له فيما يريد معرفته أو كانت علامة لهم فيما كانوا ينظرون فيه

(مسألة) وربما قيل في قوله جل وعز (اني سقيم) كيف يصح على الأنبياء الكذب وجوابنا انه يجوز في حال ما قال هذا القول انه أصابه بعض العلل فقال ذلك ويحتمل انه يريد سأسقم كقوله تعالى (انك ميت) أي ستموت (وكقوله اني أراني أعصر خمرا)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد • وجوابنا ان المراد والله خلقكم وما تعملون من الاصنام فالاصنام من خلق الله وانما عملهم نحتها وتسويتها ولم يكن الكلام في ذلك فانه صلى الله عليه أنكر عبادتهم فقال أتعبدون ما تنحتون وذلك الذي تنحتون الله خلقه ولا يصح لما أورده عليهم معنى الا على هذا الوجه وذلك في اللغة ظاهر لأنه يقال في النجار عمل السرير وان كان عمله قد تقضى وعمل الباب ونظير ذلك قوله تعالى في عصا موسى (فاذا هي تلقف ما يأفكون) المراد ما وقع أفكهم فيه فعلى هذا الوجه تأول هذه الآية ومعنى قوله من بعد (وقال

أني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين)

(مسألة) وربما قيل في قوله (فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى) وقوله من بعد (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) وقوله من بعد (وفديناه بذبح عظيم) سؤالات منها ما رآه في المنام كيف يلزمه والانبياء انما تعمل على الوحي ومنها انه كان يجعل ذلك كالأمر وكيف يصح ان يأمره بذبحه ثم يزول ذلك وهل هذا الا كالبداء ومنها انه كان الفداء بذبح فكيف يصح من غير جنس ما جعل فدية له • وجوابنا ان رؤيا ابراهيم في المنام يجب ان تكون قد تقررت بما يعلم به ان ذلك بالوحي ولولاه لما قال (فانظر ماذا ترى) ولما أخذ في ذبحه فانه ان يفعل فقد مات الذبيح مع شدة اشفاقه على ولده ولذلك قال ولده (إفعل ما تؤمر) فلولا علمهما ان هذا أمر من الله لم يصح فأما هذا عندنا فهو أمر بمقدمات الذبح وعظم ذلك عليه لظنه انه سيؤمر بإتمام الذبح لان العادة جارية بان الاضجاع وأخذ الآلة لا غرض فيه الا الذبح فعلى هذا الوجه فعل ما أمر وما ظنه لم يؤمر به فلا يؤدي الى البداء وقد قيل انه فعل الذبح لكنه عز وجل كان صرفه عن موضع الذبح وكان تعالى يلحمه فعل ما يفعله الذابح وبقي الذبيح حيا لما فعله الله تعالى وقيل غير ذلك فأما الذبح الذي أمره الله بأن يفدي به فذلك صحيح وان لم يؤمر بالذبح ويكون فداء عما لو أمر به لفعله ولا يجب في الفداء ان يكون من جنس ما يجعل فداء منه ولذلك يصح في الشاة ان يكون ذبحها فداء عن حلق الشعر في الحرم الى غير ذلك وقوله عز وجل من بعده (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) بعد ذكر الامر بالذبح يدل على ان الذبيح هو اسماعيل على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أنا ابن الذبيحين

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) كيف يصح ذلك ولا أحد يجعل بين الله وبين الجنة نسبا . وجوابنا انه يحتمل ان يريد الملائكة وقدم تقدم ذكرهم لانهم لا يرون كالجن وقد كانوا يقولون في الملائكة أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك ويحتمل انهم عبدوا الجن كما عبدوا الله بأن اطاعوهم ويبين ذلك قوله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي في العقاب

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون) كيف يصح ذلك ومنهم من غلب وقتل . وجوابنا ان النصرة ربما تعتبر فيها العاقبة فمن عاقبته محمودة فهو منصور على من غلبه وعاقبته ذميمة فالنصرة أبدا تكون للمطيعين خصوصاً ولهم نصرة بالحجة والادلة وغيرهما

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فيما تقدم من قصة يونس صلى الله عليه (وارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) كيف يصح ذلك وظاهره الشك فى هذا العدد وفى الزيادة . وجوابنا ان المراد به ويزيدون أو بل يزيدون على ما روى عن المفسرين وقد يجوز ان يزيد فى منظر عيون من يشاهدهم من دونه ما الله تعالى يعلم عددهم مفصلا

﴿ سورة ص ﴾

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض) ان في هذه الايات مطاعن منها تسورهم عليه وهم خصمان كيف يصح ومنها انه جمع بقوله تسوروا وثنى بقوله خصمان وبقوله (ان هذا أخي) وبقوله (لقد ظلمك) ومنها ان في الخبر ان ذلك ورد في قصة أوريا ورغبة داود

في امرأة أوريا وانه عليه السلام عرضه للقتل رغبة فيها الى غير ذلك مما يذكره الجهال . وجوابنا ان الصحيح ان كانت تلك المرأة التى رغب فيها قد صارت ايما بلا زوج فخطبها وكان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت اليه ولم يفتش عن ذلك فصار ذلك ذنباً صغيراً وعلى هذا الوجه نهى صلى الله عليه ان يخطب المرء على خطبة أخيه ويدل على ذلك قوله (وعزني في الخطاب) فنبه بذلك على ما ذكرناه والذى يرويه من لا معرفة له بأحوال الانبياء صلى الله عليهم لا معتبر به فالله تعالى لا يبعث الا من هو منزه عن هذه المعاصى حتى انهم لا يقدمون لا على كبيرة ولا على صغيرة يعرفونها قبيحة وانما عاتبه الله تعالى ونبهه من حيث صار غافلا عن خطبة متقدمة كان يمكنه ان يفتش عنها فلا يقدم على الخطبة بعد تلك الخطبة ٥ فأما التسور فانه غير قبيح من الملائكة في زمن الانبياء ليكون ما يؤدونه أقرب الى التحريك والتنبيه وأما التثنية والجمع فيجوز في اللغة في هذا المكان فان قوله خصمان يدل على اثنين وقد يذكر ذلك ويراد أكثر بأن يكون مع المتداعيين غيرهما وانما وصفا بذلك من حيث تصورا بصورة الخصمين كما ينبها داود عليه السلام ٥ فان قيل فكيف قال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه) ولم يعلم صحة ما ادعى . وجوابنا انه لا بد من أن يكون في الكلام حذف فكأنه قال ان كنت صادقاً فقد ظلمك والا فالمعلوم انه لا ظالم هناك وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه) يدل على ان ذنب داود ليس الا ما قلناه من انه رغب في ضم هذه المخطوبة الي نسائه على الوجه الذى ذكرناه وقوله تعالى (فغفرنا له ذلك) من بعد يدل على ان الذى فعله كان في تلك الشريعة محرماً ولولا ذلك لجوزناه حلالا

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الارض) ان ذلك

يدل على ان تصرفه من خلق الله . وجوابنا انه انما يدل على انه فوض اليه هذه الامور فأما ما يأتيه من تصرفه فهو فعله ولذلك صار مؤاخذاً بذلك الصغير الذى فعله على غفلة ولذلك صح قوله (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) لانه ان كان ما يحكم به من خلق الله فكيف يضاف ذلك الى الهوى وكيف يقول تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) كيف يصح ان يعزل عن النبوة ويصير على كرسيه بعض الشياطين على ما يروى فى ذلك . وجوابنا ان الذى يروى فى ذلك كذب عظيم والصحيح ما روى من انه تفكر فى كثرة نسائه ومماليكه فقال وقد آتاه الله من القوة انى لاطأهن فى ليلة واحدة فيحملن ويحصل لى من الاولاد العدد الكثير ففعل ولم تحبل الا واحدة وألقت جسداً غير كامل الخلقة فحمل ذلك الجسد الى كرسيه فنبهه عنده على ان الذى فعله من التمنى كالذنب وانه قد كان من حقه ان ينقطع الى الله تعالى فيما يرزق من الاولاد قل أو كثر فأناب عند ذلك وتاب مما كان منه فأما ان يعزل و يؤخذ خاتم ملكه ويصير الى بعض الشياطين ويطأ ذلك الشيطان نساءه فذلك مما لا يجوز على الانبياء وقد رفع الله قدرهم عن ذلك

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) كيف يصح من الانبياء ان يسألوا ذلك مع دلالته على الرغبة في الدنيا وعلى ما يجرى مجرى المنافسة والحسد . وجوابنا انه لا يمتنع وهونبي ان يرغب الى الله عز وجل فيما يظهر به فضله وكرامته عند الله وليس في ذلك ما يشبه الحسد المذموم لانه انما يكون حاسداً اذا أراد انتقال نعيم غيره اليه .

فأما اذا أراد لنفسه أعظم المنازل من الله تعالى ابتدأ مع ارادته بقاء سائر النعم على أهلها فلا وجه ينكر في ذلك ولذلك قال تعالى (فسخرنا له الريح) الى سائر ما ذكر مما يدل على انه أجابه وأظهر فضله بهذه الامور التى اختص بها ثم ذكر تعالى من بعد قصة أيوب صلى الله عليه وانه سأل الله عز وجل كشف الضر عنه فأجابه الله الى ذلك وزاده فالذى يرويه الجهال في قصته من كيفية البلاء الى غير ذلك لا يصح والذى يصح انه تعالى أنزل به الامراض والعلل والفقر والحاجة لما علم من المصلحة ثم أزال ذلك عنه بالنعم التى أفاضها عليه على ما نطق به الكتاب فأما قوله تعالى في قصة أيوب صلى الله عليه (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) يدل على انه يحسن الاحتيال في التخلص من الايمان وغيرها وقد ذكر ذلك الفقهاء في كتبهم

﴿ سورة الزمر ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أليس قد نفى انه يهدي الكافر وأنتم تقولون قد هداه كما هدا المؤمن . وجوابنا ان المراد لا يهديه الى الثواب في الآخرة وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أليس ظاهر ذلك انه خلق زوجها بعد ان خلقنا فكيف يصح ذلك . وجوابنا ان ثم قد تدخل في خبر مستأنف فلا يوجب الترتيب في نفس المخبر عنه كقول الرجل لغيره قد عجبت مما فعلت اليوم ثم ماصنعته أمس أعجب وقوله من بعد (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) المراد به من كل جنس زوجين ذكراً وأنثى فهى وان كانت أربعة أجناس اذاقدر فيها ماذكرنا صارت

ثمانية وقوله تعالى من بعد (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) يدل على انه انما يكلفنا لمنافعنا وحاجتنا ويدل على أنه تعالى لا يريد المعاصى لان الرضا يرجع فى المعنى الى الارادة فلو كان مريدا للكفر كما قاله القوم لوجب اذا وقع ان يكون راضياً به لان المريد لا يصح ان يريد من غيره أمراً فيقع ذلك الامر على ما أراده الا ويجب ان يكون راضياً به وقوله تعالى من قبل (لو أراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء) ذكره تعالى لا على وجه ان ذلك مما يصح ان يراد لكن على وجه الاحالة بين به ان القادر على ان يخلق مايشاء لايجوز ان يتخذ ولدا فعلى هذا الوجه ذكر ذلك وقوله تعالى (وأنزل لكم من الانعام) ربما سألوا فيه وقالوا كيف أنزلها . وجوابنا أنه تعالى خلقها فى السماء ثم أنزلها الى الارض كما خلق آدم فى السماء ثم أهبطه الى الارض

« مسألة » وربما قالوا مامعنى قوله (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) والمعلوم أنه خلق واحد . وجوابنا ان المراد خلق ماتتغير به النطفة فتكون علقة الى ان يستقر الخلق التام فهذا هو المراد وقوله تعالى (ولاتزر وازرة وزر أخرى) يدل على ان أحدا لا يؤخذ بذنب غيره فيبطل بذلك قولهم ان الطفل يعذب بكفر أبيه

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) كيف يصح ان يكون أول المسلمين وقد تقدمه من المسلمين مالا يحصى عدده . وجوابنا ان المراد وأمرت أن أكون أول المسلمين من قومى وذلك معقول من الكلام وفى قوله تعالى (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً) دلالة على ان الاعمال لا يستحق بها الثواب الا

على هذا الوجه وقوله (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يدل على ان النبوة لاتمنع من هذا الخوف فكيف يمنع منه ان يكون المرء من أولاد الانبياء كما يقوله بعض العامة من الامامية حتى يزعمون ان من ولد من فاطمة عليها السلام قد حرم الله تعالى النار عليه وقوله تعالى من بعد (فاعبدوا ماشئتم من دونه) هو على وجه الزجر والتهديد لانه أمر فى الحقيقة وقوله تعالى من بعد (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) يدل على أن الوعيد الوارد عن الله تعالى واجب لايجوز خلافه واذا لم يجز أن ينقذ الرسول من النار فكيف يصح مايقوله القوم من أنه صلى الله عليه وسلم بشفاعته يخرج الكثير من أهل النار

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) انه يدل على أن الاسلام من قبله تعالى . وجوابنا ان شرح الصدر بالاسلام غير الاسلام فلا يدل على ماقالوه وانما المراد بذلك أنه تعالى يورد عليه من الطاقة مايدعوه الى الثبات على الاسلام كما ذكرنا فى قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وقوله (الله الذى نزل أحسن الحديث) وهو القرآن فيدل على أنه محدث من حيث أنزله ومن حيث سماه حديثاً ومن حيث وصفه بانه متشابه وماهو قديم لايصح ذلك فيه وقوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) يدل أيضاً على حدوثه وقوله (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) يدل أيضاً على ذلك وقوله (ومن يضلل الله فما له من هاد) المراد من يضلل الله عن طريق الجنة الى النار كما قدمناه من قبل وقوله (قرآنا عربيا غير ذى عوج) يدل على حدوثه وعلى انه حدث بعد لغة العرب ليصح ان يوصف بانه عربى وقوله (ومن يهد الله فما له من مضل) لايدل على ماقالوه لان المراد ومن

يضلل عن طريق الجنة الى النار فما له من هاد اليها ومن يهده الى الجنة فما له مضل على ماتقدم ذكره وقوله من بعد (فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يدل على ماقدمنا ذكره من ان الاهتداء يضاف الى الله تعالى دون الضلال وان كانا جميعاً من فعل العبد

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) انه يدل على أنه لا مؤمن الا ويغفر له الله تعالى وان ارتكب الكبائر . وجوابنا ان المراد انه يغفر ذلك بالتوبة بدلالة قوله (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب) والآية فى الكفار وردت فلاشبهة فى أنهم من أهل النار ويدل على ذلك قوله (وأسلموا له) وقوله من بعد (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) وقوله تعالى من بعد (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) مما روى فيه عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال ماورد ذلك الا فيمن كذب على الله بان أضاف الكفر اليه وزعم أن خلقه وأراده وكذلك سائر المعاصى وقوله من بعد (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون) يدل على ان المتقين فى الآخرة لاينالهم من أهوالها كما يظنه بعض من خالفنا فى ذلك وقوله من بعد (الله خالق كل شىء) قد تقدم معنى الاضافة وان المراد به الاجسام التى قدرها الله تعالى الى سائر مايتصل بها دون أفعال العباد واذا كان الله تعالى تمدح بانه خالق كل شىء فكيف يدخل فيه الكفر والكذب والفواحش مع أن خلق ذلك الى الذم أقرب وقوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم) أحدمايدل على قولنا لانه

تعالى لو كان خالقا للكفر فيهم لكانت الحجة لهم بأن يقولوا وماذا ينفع مجىء الرسل الينا مع أن الله تعالى خلق الكفر فينا وأراده وقضاه وقدره

﴿ سورة المؤمن ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا) كيف يصح ذلك وقد يجادل فيها المؤمنون . وجوابنا أن المراد المجادلة الباطلة فى آيات الله ولذلك ذمهم بذلك فهو كقوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) كيف يصح مع عظم العرش وأنه لا خلق أعظم منه أن يكونوا حاملين له ولئن جاز ذلك فما الذى يمكن فى نفس الارض أن تحمله الملائكة وجوابنا أن العرش فى السماء فى أنه مكان لعبادة الملائكة كالبيت الحرام فى الارض ولذلك قال تعالى (يسبحون بحمد ربهم) حواليه ولا يمتنع مع ذلك أن يكونوا حاملين له اذا كان الله تعالى قد عظم خلقتهم وقواهم على ذلك . إما فى كل حال وإما فى بعض الاحوال .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وقهم السيآت) أن ذلك يدل على أن السيآت ليست من فعلهم . وجوابنا أن هذه المسئلة من الملائكة لاهل الآخرة فالمراد بذلك أن يقيهم جزاء السيآت وهو العقاب والا فنفس السيئات من فعلهم فى دار الدنيا وليست الآخرة مما يقع فيها تكليف فتقع هذه المسألة من الملائكة للمؤمنين ولذلك قال تعالى بعده (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) ولولم يصح عذاب القبر لكانت الاماتة مرة واحدة وقولهم

(فاعترفنا بذنوبنا) يدل على أن الذنوب من قبلهم ولو كانت من خلق الله تعالى فيهم لكانوا بدلا من اعترافهم يقولون ماذنبنا اذا خلقت ذلك فينا ولم يمكننا أن ننفك منه وقوله تعالى من بعد (رفيع الدرجات) فالمراد به ما يرفعه من درجات غيره فليس للشبهة بذلك تعلق •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) كيف يصح أن يقول ذلك وقد أفنى الخلق على ما يروى فى الاخبار ولا يكون فيه فائدة وان كان يقوله تعالى وقد أعاد الخلق فما الفائدة فيه وقد عرفوا فى الآخرة أن الملك لله الواحد القهار . وجوابنا أنه تعالى يقوله وقد أعاد منبها بذلك على أنه لا حكم فى الآخرة الا له ولا ملك الا له وأن الآخرة مخالفة للدنيا فانها وان كان الملك فيها لله لكنه قد فوّض الى الغير النظر في ذلك وما يرى من أنه تعالى يقوله ولا أحد لا يصح بل القرآن يشهد بخلافه وهو قوله تعالى (لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون) ثم قال تعالى (لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) فانما يقول ذلك في ذلك اليوم ولذلك قال تعالى بعده (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم) والمعروف للمكلفين من أهل الثواب والعقاب أن الواقع بهم هو المستحق وانه لا ظلم هناك وأنه بخلاف أيام الدنيا التى يجرى فيها الظلم وغيره وقوله تعالى (لا ظلم اليوم) يدل على أن العبد هو الذى يفعل المعصية ولو كان تعالى يخلقها فيه ثم يعذبه أبد الآبدين لكان ذلك ظلما ويدل أيضاً على أن أطفال المشركين لا يعذبون لانهم لو عذبوا ولا ذنب لهم لكان العقاب من أعظم الظلم وقوله تعالى (إن الله سريع الحساب) يدل على أنه تعالى ليس بجسم والا كان يجب في محاسبة الخلق أن تطول كما يطول ذلك منا فانما يكون سريع الحساب بأن يفعل المحاسبة في أجسام وأن يكون

الكل في حال واحد وقوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) ثم قال تعالى من بعد (ما للظالمين من حميم ولا شفيع) يدل على أن الشفاعة لا تكون الا للمؤمنين فتزيدهم منزلة على وجه التفضل ولو كانت الشفاعة لاهل الكبائر المصرين لم يصح هذا الظاهر وقوله تعالى من بعد (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله) يدل على أن الذى لاجله حسن منه أن يعاقبهم أن الرسل جاءتهم بالبينات ومع ذلك اختاروا الكفر ولو كان تعالى خلق ذلك فيهم لكان مجئ الرسل اليهم وأن لا يجيئوا اليهم سواء .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) كيف يصح أن يكون كاتما لايمانه مع أنه حكى عنه (وقال الذي آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) ثم قال (وقال الذى آمن ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) ولو كان مظهر الايمانه لم يزد على ذلك • وجوابنا أنه يحتمل في الاول أن يكون كاتما لايمانه ثم من بعد لما جربهم وسلم منهم أظهره وذلك لا يستحيل ويحتمل أن يكون معرضا بتلك اللغة وحكى الله عنه على حسب مراده فيكون بالعربية تصريحا وان كان بتلك اللغة تعريضاً .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالي (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) كيف يصح ذلك منهم مع علمهم بأنه لا يخفف البتة . وجوابنا أن مثل ذلك لا يقع من الممتحن على وجه الاستعانة بالغير والاسترواح الى هذا القول وان علم أن ذلك لا يتم . وقد قيل ان ذلك يحسن في الآخرة لقوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها) •

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى من قبل (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا

اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) كيف يصح ذلك وانما كان هذا القتل في حال ولادة موسى لافي هـذه الحال . وجوابنا أنه في تلك الحال كان يأمر بقتل الاولاد لما ظهر في الاخبار أنه سيكون هناك من يغلبه من الانبياء وفي هـذه الحال أمر أيضاً بهذا القتل لئلا يكثر اتباع موسى فهما حالان مختلفان فأما قوله تعالى من بعد (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) وقوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) يدل على أن الايمان فعل العبد وأنه اذا فعله طوعا ينتفع به واذا فعله على وجه الالجاء لا ينتفع به ولو كان خلقا لله لم يصح ذلك .

﴿ سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا و بينك حجاب) كيف يصح ذلك مع التكليف . وجوابنا ان ذلك حكاية تشددهم فى الامتناع من القبول لا أنهم بهـذا الوصف ولذلك ذمهم وزجرهم بقوله تعالى (فاعمل اننا عاملون) وقوله تعالى من بعد (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً) يدل على أن القرآن محدث من جهات وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) يدل على أن كفرهم لا يمنع من وجوب الصلاة والزكاة عليهم وان كان فعلهم انما يصح بأن يقدموا الايمان .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين) ثم قال (وقـدر فيها أقواتها فى أربعـة أيام) فتلك ستة ثم قال (فقضاهن سبع سموات في يومين) فصارت ثمانية كيف يصح ذلك مع قوله

تعالى فى غـير موضع (خلق السموات والارض فى ستة أيام) وتلك مناقضة ظاهرة . وجوابنا أن قوله (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعـة أيام) المراد به مع اليومين المتقـدمين فلا يكون ذلك مخالفا للآيات الأُخر وقد يقول المرء لولده أليس علمتك القرآن في سنة وفقهتك في الدين في سنتين يعنى مع التى تقدمت فأما قوله تعالى من بعد (ثم استوى الى السماء وهى دخان) فالمراد به قصد خلق السماء فالاستواء في الحقيقة لا يصح على الله تعالى وقوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فالمراد أنه أراد منهما الانقياد لما يريده فاستجابا وذلك كقوله تعالى (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) والمراد أن تكوّن وقد يقول القائل أردت كذا وكذا فقالت نفسى لا تفعل وقد يقال أتت السحاب فأمطرت قال الشاعر « امتلأ الحوض وقال قطنى » وذلك كقوله تعالى (جـدارا يريد أن ينقض) وكل ذلك ظاهر في اللغة وانما يلتبس على من يقل تأمله وقوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) يدل على أنه تعالى قد هداهم بأن دلهم و بين لهم وانهم لما لم يقبلوا لم يهتدوا فالاهتداء فعلهم والهدى من قبل الله تعالى لا كما يقول من خالفنا في ذلك وزعم أن الهدى هو الايمان وقوله تعالى (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) فالمراد به الردع عن المعاصى لانه اذا فعلها بهذه الجوارح شهدت عليه في الآخرة وقد ذكرنا من قبل أن هذه الشهادة من فعل الله تعالى فيها وقوله تعالى (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) فالمراد به ما ذكرنا من أنه فعل فيها ما صورته صورة الشهادة وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم) فالمراد به ما كنتم تظنون ذلك ولذلك قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) وقوله تعالى من بعد

(وقيضنا لهم قرناء) فالمراد به التخلية فلما لم يمنعهم من ذلك جاز أن ينسبه الى نفسه وذلك كقوله تعالى (انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) وكقول القائل لغيره قد أرسلت كلبك على الناس اذا لم يطرده عن بابه وقوله تعالى من بعد (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) يدل على أنه لا بد مع التوحيد من الاستقامة في الافعال والاحوال حتى يصير المرء من أهل الثواب وقوله تعالى من بعد (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) يدل على أن من أعظم الأعمال الدعاء ويدل على أنه اذا لم يقترن به العمل الصالح لم ينتفع به • فان قيل فقد قال (وقال انني من المسلمين) وأنتم تمنعون ذلك . وجوابنا أن المراد من المنقادين للحق وذلك أوجب عندنا وقوله من بعد ولو جعلناه قرآنا أعجميا) يدل على أنه تعالى فعله فجعله عربيا وكان يجوز أن يجعله أعجميا .

(سورة الشورى حم عسق)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ويستغفرون لمن في الارض) كيف يصح ذلك مع قوله تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا) • وجوابنا ان المراد ويستغفرون لاهل الارض الذين هم المؤمنون لا لاهل السماء لان أهل الارض هم المحتاجون الى الاستغفار ويحتمل ان يكون المراد ويستغفرون لاهل الارض لازالة عذاب الاستئصال عنهم والأول أقوى لان احدى الايتين يجب ان تبنى على الاخرى كما يبنى المجمل على المفسر .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه) وهو يوم القيامة كيف يصح ان ينذر يوم القيامة والتكليف منقطع . وجوابنا ان المراد ينذرهم مايلقون يوم الجمع وهم يخافون فحال الانذار هو

حال التكليف ولذلك قال تعالى (لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير) فبين وجه التخويف في ذلك وقوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) المراد ان يلجئهم الى الايمان لكنه لم يشأ الا على وجه الاختيار تعريضا للمثوبة وقوله تعالى من بعد (ليس كمثله شئ) ربما قالوا فيه ان ظاهره يتناقض لانه يقتضى ان لمثله مثلا ولو كان كذلك لما صح النفى لانه يقتضى الاثبات • وجوابنا ان ذلك وان كان مجازا فهو مؤكد للحقيقة على ماجرت به عادة العرب وهو أوكد من قول القائل ليس مثله شئ وقوله تعالى من بعد (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) فالمراد به انه شرع لكل الانبياء ان يقيموا الدين فيما يتصل بالاعتقاد والتوحيد لان ذلك مما لا يقع بينهم فيه خلاف فاما الشرائع المختلفة فلكل منهم دين وما هو دين أحدهم بمنزلة ما هو دين غيره لانه دين لهم مضاف اليهم ولذلك قال بعده (ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) فنبه بذلك على ماذكرنا وقوله (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) المراد به ويهدي الى رضوانه وثوابه من ينيب فلا تعلق للمخالفين بذلك وقوله تعالى (وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) ربما سألوا فيه وقالوا كيف يؤدي علمهم الى التفرق . وجوابنا انه تعالى أراد بالعلم البيان وأنهم تفرقوا بعد البيان وبعد قيام الحجة ويحتمل ان يكون المراد تفرقوا بعد العلم على وجه البغى كما ذكره تعالى والمراد المبطلون دون المحقون

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم) كيف يصح ان لا يكون له عليهم حجة . وجوابنا ان المراد انا قد بالغنا في اقامة الحجة حتى لم تبق باقية فلا حجة بيننا وبينكم وهذا على وجه

التوبيخ والافمعلوم من دين الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان لا يعذر القوم بل له الحاجةالعظيمة عليهم ولذلك قال بعده (الله يجمع بيننا واليه المصير) وقال تعالى بعده فيمن يحاج في الله من المبطلين (حجتهم داحضة عند ربهم) ولايجوز ذلك الاوحجة المحقين ثابتة .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان) كيف يصح القول بانه أنزل الميزان وهو أمر يتولى فعله الناس . وجوابنا ان المراد انه أنزل الكتاب بالحق وأنزل التمسك بالميزان في باب المعاملات وقد قيل انه في الابتداء أنزله الله تعالى وعرفهم كيف يتعاملون وقد قيل ان المراد بالميزان العدل نفسه وقوله تعالى من بعد (ومايدريك لعل الساعة قريب) أحد مايرغب في التوبة ويخوف من تركها وذلك لطف عظيم للمكلفين

« مسألة » وربما قيل كيف يصح قوله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) ومعلوم ان فيمن يريد حرث الدنيا من له نصيب في الآخرة . وجوابنا ان المراد من كانت ارادته مقصورة على حرث الدنيا لان من هذا سبيله لا نصيب له في الآخرة وبين تعالى انه لايبخل عليه بما أراده من أمر الدنيا وان كانت هذه حاله وقوله من بعد (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم) أحد مايدل على ان من لم يتب من الظلمة سيعاقب لامحالة . ثم ذكر تعالى من بعد رحمته فقال (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون) وقوله تعالى من بعد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) يدل على انه لايفعل الا مايبعث على الطاعة والعبادة فلذلك قال (ولكن ينزل بقدر مايشاء) وقوله تعالى من بعد (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالمراد به الجزاء على السيئة وذلك مجاز مشهور في اللغة ولذلك قال

تعالى بعده (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) والمراد بذلك من عفا عن السيئة ولم يقابل بمثلها ولا كافأ عليها ولذلك قال بعده (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) فبين انه اذا انتصر وقد ظلم فلا سبيل عليه ولو كان مافعله سيئة لما صح ذلك ولذلك قال بعده (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق) وبعث تعالى على الصبر فقال (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقوله تعالى (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) المراد من يضلله بالعقوبة وبالصرف عن الثواب فلا ولي له لانه لا ناصر له وهذه حاله ولذلك قال بعده (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) فيتمنون الرجعة لكي يؤمنوا وعند ذلك بين الله عز وجل ان المؤمنين يقولون (ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) اذا عاينوا ماأنزل بهؤلاء الظالمين ولذلك قال بعده (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) وقوله تعالى من بعد (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا) أحد مايذكر في ان الرؤية على الله تعالى لاتجوز والا فقد كان أصح انه يكلم البشر على غير هذه الوجوه وربما قالوا في ذلك مامعنى قوله (الا وحيا) وهل معناه غير ماذكر في قوله (أو يرسل رسولا) وما معنى (أومن وراء حجاب) والحجاب على الله تعالى لايجوز . وجوابنا عن الاول ان المراد على وجه الخاطر والالهام وقد يوصف ذلك بأنه وحي من الله . وعن الثاني بأن الحجاب في نفس الكلام يصح وان كان على الله تعالى لايصح وقوله تعالى من بعد (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان) أحد ما يدل على انه من قبل النبوة لم يكن مكلفا بشريعة ابراهيم ولا غيره ولا كان يعرف الايمان

وقوله تعالى من بعد (يهدى به من يشاء من عباده) المراد به من يكلفهم دون غيرهم فلا يدل على انه تعالى هدى بعض المكلفين دون بعض ولذلك قال بعده (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ومعلوم انه هدى كل المكلفين .

(سورة الزخرف)

« مسألة » ربما قيل في قوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا) كيف يصح في القرآن ذلك وانما أنزله على الرسول صلى الله عليه وسلم . وجوابنا ان المراد انه كتبه في اللوح المحفوظ على الوجه الذى يعرفه الملائكة ثم حصل الانزال الى السماء الدنيا في ليلة مباركة كما ذكره تعالى ثم حصل الانزال حالا بعد حال بحسب الحاجة الى الاحكام والقصص وفي كل ذلك مصلحة فاما في الاول فالملائكة يعرفون به مايدعوهم الى طاعته ويعرفون به أنه من عالم الغيب لانه تعالى ذكر عند اثبات القرآن فى اللوح المحفوظ ماسيكون من حاله وحال الرسول صلى الله عليه وسلم من المصالح المعروفة فلا تناقض فى ذلك وقوله تعالى من قبل (انا جعلناه قرآنا عربيا) أحد مايدل على حدوثه من وجوه وقدبيناها من قبل

« مسألة » وربما قيل فيقوله تعالى (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) كيف يصح ذلك وفي الانبياء من قبلوامنه وعظموه . وجوابنا ان المراد بذلك من دخل تحت قوله (وكم أرسلنا) وذلك لايعم جميع المرسلين ولذلك قال بعده (فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتستووا على ظهوره) كيف يصح بعد ذكر الانعام ان يقول على ظهوره ولا يقول على ظهورها . وجوابنا ان ذلك يرجع

الى لفظة ما فقد يصح ان يفرد مايرجع اليه كما يصح ان يجمع وهذا كما تقوله في لفظة من انها تارة يجمع مايرجع اليها وتارة يوحد وفى قوله (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) دلالة على ما يلزم العبد من الشكر عند كل نعمة دقت أوجلت ثم قبح تعالى ماقاله بعض العرب من ان الملائكة بنات الله تعالى وبين ان ضربهم المثل لله تعالى بما يعدونه نقصا من عجائب كفرهم فقال (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) وبين بقوله (أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم) ان كل قول لاعلم معه بصحته يصير وبالا وقوله من بعد (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) يدل على انه تعالى لايشاء عبادة غيره ولولا ذلك لما قال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) وقبح التقليد بقوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ثم قال (وانا على آثارهم مقتدون) وقال بعد ذلك (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وهذا هو الذى يبطل التقليد ويعلم أن الواجب اتباع الهدى والدلالة وقوله تعالى من بعد (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) أحد ما يدل على أنه تعالى لا يخلق الكفر ولا يدعو اليه لانه ان كان هو الخالق له فلا فائدة في هذا وانما يكون له فائدة اذا كان الكلام مع المختار للكفر فعند هذا الضرب من النعم يختار مالولاها كان لا يختاره ثم بين تعالى ان كل ذلك متاع الدنيا وإن الآخرة عند الله للمتقين والاتقاء معناه أن لا يتخذوا زخرفا فى الدنيا من المعصية فيترك المعصية ويتقى النار وذلك لايصح الا وهم المختارون لذلك .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) كيف يصح أن يكون تعالى يمنع من اتباع الشيطان ويقيضه

للعبد. وجوابنا أن المراد من يعش عن ذكر الرحمن في الدنيا نقيض له شيطانا في الآخرة فيصير قرينه كما ذكره الله تعالى في غير موضع ولولا هـذا التأويل لحملناه على معنى التخلية كما تأولنا عليه قوله تعالى (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) ولذلك قال بعـد (حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعـد المشركين فبئس القرين) ولذلك قال بعده (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) وكل ذلك يبين صحة ما تأولنا .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) ما فائدة هذا الكلام وكيف ينتفعون بالاشتراك في العقاب. وجوابنا أن المراد أن كل ممتحن في دار الدنيا اذا انفرد بالمحنة تكون محنته أثقل وأعظم وأغلظ منها اذا كان له شركاء فيها فبين الله تعالى أن هـذا القـدر من الروح والخفة لا يحصل في الآخرة لأهل العذاب اذا اشتركوا فيه وقوله تعالى من بعد (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى) أحد ما يدل على أنه تعالى يذكر مثل هذا الوصف فيمن يمتنع من الاصغاء والقبول على ما تأولناه من قبل .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) كيف يصح أن يصفوه بأنه ساحر ويسألوه أن يدعو ربه وذلك متناقض . وجوابنا أن المراد أنهم قالوا بحسب اعتقادهم وقالوا ان لم تكن كذلك على ما نعتقده فادع لنا ربك وقد قيل إن هذه اللفظة تستعمل في اللغة فيمن يعتقد فيه التقدم في معرفة الامور فعلى هذا الوجه قالوا ومعنى قوله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) أغضبونا فالاسف في الحقيقة لا يجوز الا على من يجوز عليه الحزن والغم وقد قيل ان المراد آسفوا رسلنا .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) كيف يصح أن يجعل من الناس ملائكة. وجوابنا أن المراد بقوله (منكم) ليس ما ذكرته بل المراد أن ينزل الملائكة بحيث يرون في جملتهم فيكونون منهم

بين الله تعالى بذلك أن عيسى وان فارق حاله في كونه لا من أب حالهم فليس ذلك يبعد عنـد الله تعالى كما لا يبعد أن يجعل مع الناس ملائكة والله تعالى أنشأهم بلا ولادة .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) ما المراد بذلك . وجوابنا أنه قد ظهر في الأخبار نزول عيسى عليه السـلام عند الساعة وان الله تعالى جعله دلالة للساعة فلذلك قال تعالى (فلا تمترن بها) لان العلم والدلالة تمنعان من المرية وقوله تعالى من بعد (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) يدل على أنهم في الآخرة بخلاف ما هم في الدنيا ففي الدنيا يحب بعضهم بعضاً وفي الاخرة يغلظ الله قلب بعضهم على بعض ويكون ذلك زائداً في غمومهم وقوله تعالى من بعـد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) يدل على أن المتقين لا تلحقهم أهوال الاخرة وتعلق بعضهم في أن الله تعالى يرى لجهله بقوله تعالى (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) وزعم أن من أعظم لذات العين رؤية الله تعالى وهذا جهل عظيم لان الواجب أن يثبت أولا أنه يرى ثم يقول ذلك كما لو قال قائل انه داخل تحت قوله تعالى (وفيها ما تشتهيه الانفس) بالمعانقة والملامسة لكان انما يبطل بأن يقال يجب أن تثبت أولا أنه جسم يصح ذلك عليه ثم تقول هـذا القول وقوله تعالى من بعد (إن المجرمين في عـذاب جهنم خالدون) يدل على أن غير الكفار من المجرمين هذا وصفهم .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيـل في قوله تعالى (أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) كيف يصح أن يكتبوا السر وهم لا يعلمونه. وجوابنا

أنه تعالى يعرف الحفظة ما يفعله العبد بأمور من قبله فتكتبه اذا كان ذلك مما لايشاهد فهذا الوجه وجه الكلام .

« مسألة » ورعا قيل فيقوله تعالى (قل ان كان للرحمن ولداً فأنا أول العابدين) كيف يصح أن يكون أول عابد لمن له ولد • وجوابنا أن المراد فأنا أول الانفين من عبادة من هـذا حاله وقد ذكر عن الفرزدق أنه قال

• واعبد أن يهجى كليب بدارم • وأراد به الانفة و يحتمل أن يريد بذلك تبعيد أن يكون له ولد لان عبادته له تمنع من ذلك وقوله تعالى (وهو الذى في السماء إله وفي الارض إله) يدل على أنه يجوز عليه المكان وأنه يدبر الاماكن ولو كان على العرش كما قالوا لم يصح ذلك .

﴿ سورة الدخان ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة) كيف يصح ذلك وانما أنزله في المدة الطويلة حالا بعـد حال . وجوابنا أنه أنزله الى سماء الدنيا في ليلة مباركة على ما تقدم ذكره ولذلك قال (فيها يفرق كل أمر حكيم) لانه تعالى أمر في تلك الليلة بأن الملائكة ينزلون القرآن حالا بعد حال بحسب الحاجة اليه والمصلحة .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) ما المراد بذلك وكيف يرتقب مالا يوجد في الدنيا • وجوابنا أنه يحتمل أن يريد فارتقب ذلك للكفار والعصاة على وجه الردع لهم ويحتمل أن يكون هذا الدخان أحد المعجزات كما روى عن ابن مسعود في انشقاق القمر وقوله تعالى من بعد (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) المراد به امتحناهم وكلفناهم وليس المراد أنا خلقنا

الكفر فيهم كما يزعمه بعضهم ولذلك قال تعالى (وجاءهم رسول كريم) .

•(مسألة •) وربما قيل في قوله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) كيف يصح أن يخوف تعالى بشجرة الزقوم وهي لا تعرف . وجوابنا أنه اذا وصف حالها صح التخويف بها ولذلك قال تعالى (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) وقوله تعالى من بعد (ذق انك أنت العزيز الكريم) المراد به ذق العذاب انك أنت الموصوف بذلك في الدنيا ولذلك قال تعالى بعده (ان هذا ما كنتم به تمترون) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) كيف يصح استثناء الموتة الاولى من حالهم في الجنة . وجوابنا أن المراد توكيد نفي الموت عنهم بذكر ما عرفوه من الموتة الاولى فالمراد سوى الموتة الاولى التي عرفوها .

•(سورة الجاثية)•

(مسألة ﴾ ان الله جل وعز جمع بقوله تعالى (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) بين كل الادلة على الله تعالى لانها إما بالنظر في الاجسام فيعلم أنها محدثة من حيث لا تنفك عن المحدثات و يعلم أن فاعلها مخالف لها و إما بالنظر في أنفسنا بتجدد أحوالها على من برأها و إما بالنظر في سائر الدواب والحيوان فيعلم بتغير أحوالها المـدبر لها ولا دليل على الله تعالى الا وقد دخـل تحت ما ذكرناه لكنـه تعالى أراد ذلك أيضاً بذكر اختلاف الليل والنها وما أنزل الله من السماء من رزق وتصريف الرياح ثم قال في آخره (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله

وآياته يؤمنون) فبين أن العدول عنها الى سائر الاحاديث ترك لما يجب من النظر ثم قال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) وتوعد على ترك هذه الطريقة فقال تعالى (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم) وكل ذلك بعث من الله تعالى على النظر والتذكر فى هذه الادلة وفى هذه النعم ليقوم بشكرها ثم قال من بعد محققا لما ذكرنا (هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) فأشار الى ما تقدم من الادلة وبين أنها هدى ولولا أنها هدى للكافرين لما توعدهم بالعذاب اذا عدلوا عنها ثم أتبعه بقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) نبه بذلك على أن الغفران يكون من قبلهم اذا تمسكوا من طاعة الله تعالى بما يوجب الغفران ثم قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) فنبه بذلك على أن أمر الآخرة موقوف على هذين فمن عمل صالحا فله الجنة ومن أساء فهو من أهل النار .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) كيف يصح أن ينهاه عما تمنع النبوة منه . وجوابنا أن النبوة لا تمنع من القدرة على ذلك والتمكن منه وانما لا يختاره فالنهى عن ذلك يصح ويكون أحد ما يدعو النبى الى ترك ذلك وقوله تعالى من بعد (أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء) يدل على أن الوعيد لاحق بهم وأنهم من أهل العذاب لانهم لو صاروا من أهل الجنة لكان تعالى قد سوى بينهم .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) كيف يصح اتخاذ الهوى إلها . وجوابنا أنه يطيع الهوى ويعدل عن طريقة العقل وذلك

تشبيه يحسن فى اللغة ومعنى قوله تعالى (وأضله الله على علم) أنه أضله عن الثواب الى العقاب ومعنى قوله تعالى (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ما قدمناه من العلامة التى يفعلها الله تعالى وقد تقدم القول فى ذلك وقوله من بعد (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) من أقوى الصوارف عن المعاصى فانها اذا تفرقت على الاوقات ثم جمعت فى الصحيفة عظمت على من عرضت عليه وقوله تعالى من بعد (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) يدل على أن الاعراض عن الآيات من أعظم الذنوب وكذلك الاغترار بالدنيا .

(سورة الاحقاف)

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) كيف يصح أن يقول صلى الله عليه وسلم ذلك وهو كلام شاك فى أمره وأمرهم . وجوابنا أن المراد ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فيما يوحى الى فبين أن الوحى يأتى فى المستقبل بما لا يعلمه فى الوقت وقال تعالى بعده (وما أنا الا نذير مبين) فبين أنه بعد نزول الوحى ينذر ويحذر وقوله تعالى من بعد (ومن قبله كتاب موسى) يعنى القرآن يدل على حدوثه لان ما تقدمه غيره لا يكون الا محدثا وكذلك قوله تعالى (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) يدل على ذلك وقوله تعالى من بعد (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يدل على أن من هذا حاله لا تؤثر فيه أهوال الآخرة وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) يعنى من جزاء ما عملوا لانهم يتفاضلون فى ذلك وكذلك قوله (وليوفيهم أعمالهم) أى جزاء أعمالهم وقوله فى الكفار

(اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) يدل على أنهم استحقوا العذاب لاستكبارهم وفسقهم على ماتقوله في ذلك .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) أليس ذلك يدل على أنه خلق حضورهم . وجوابنا أن قول القائل صرفت الى فلانا فلانا نريد أنه فعل ماعنده حضر من الاسباب وليس المراد أنه فعل نفس حضوره ولذلك قال تعالى (فلما حضروه قالوا أنصتوا) فأضاف الحضور اليهم وفي الاية دلالة على أن في الجن من آمن بالرسول وعلى أنهم مكلفون وفيهم مؤمن وكافر وعلى أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم دعاهم كما دعا الانس فلذلك قالوا في وصف القرآن (يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) .

« مسألة » وربما قالوا في قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أن ذلك يدل على أن في الرسل من هو من أولي العزم وفيهم من ليس كذلك وأنتم تنكرون هذا القول . وجوابنا أن مثل ذلك قد يذكر ويراد به الكل فالمراد بقوله (من الرسل) تميز أولى العزم من غيرهم دون التبعيض فلايدل على ماذكروه

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

« مسألة » وربما قيل كيف قال تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ومعلوم انهم في بعض حروبهم نصروا الله بان جاهدوا ومع ذلك فلم ينصرهم ولم يثبت أقدامهم . وجوابنا انه لم يرد بقوله ان تنصروا الله بالاستقامة على الطاعة ينصركم فى الدنيا اذ يحتمل ان يريد ينصركم فى الاخرة ويثبت

أقدامكم على الثواب لان ذلك نصرة لهم فيجرى مجرى قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فكأنه قال ان تنصروا الله يجازيكم على النصرة ويحتمل ان يريد ان الغلبة لكم على كل حال وان غلبتم فى الظاهر لان المغلوب اذا كان مستحقا للثواب فهو المنصور والغالب اذا كان من أهل العقاب فهو مخذول غير منصور فان قيل فقد قال تعالى بعده (ولو شاء الله لانتصر منهم) وكيف يصح ذلك مع الوعد لهم بالنصرة . وجوابنا ان المراد لانتصر منهم بالاهلاك لكنه تعالى يمهلهم

وربما قالوا فى قوله تعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) كيف يجوز أن ينفى كونه مولى الكافرين وهو مولاهم وخالقهم ورازقهم . وجوابنا ان المراد بأنه مولى المؤمنين انه المتولى لحفظهم ونصرتهم فى باب الدين وذلك منفى عن الكافرين

« مسألة » وربما قالوا ان قوله (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) الى قوله (كمن هو خالد فى النار) كيف يصح اتصال هذا الكلام بما تقدمه وانما يحسن ذلك اذا قيل أفمن هو في الجنة كمن هو فى النار . وجوابنا ان معناه أفمن كان في الجنة التى مثلها هذا المثل ووصفها هذا الوصف كمن هو فى النار وفي الكلام حذف لما فيه الدلالة على ذلك

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فاعلم انه لااله الا الله) كيف يصح ان يقول ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلمه به متقدم مستقر . وجوابنا ان المراد الثبات على هذا العلم في المستقبل فان قيل فكيف قال (واستغفر لذنبك) وهو مغفور له . وجوابنا ان يجتهد في التوبة من ذنبه لعظم منزلته لان حال الانبياء فيما يقدمون عليه أعظم من حال غيرهم

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الشيطان سول لهم وأملى لهم) كيف

يصح ان يملى لهم والاملاء هو الابقاء ولا يصح ان يكون ابقاؤهم من قبله بل هو من قبله تعالى . وجوابنا ان (سول لهم) المراد به زين لهم المعاصي والمراد بقوله (أملى لهم) انه غرهم بأن بسط لهم في الامال وغلب في قلبهم أنهم يبقون فيتلافون وفي السورة أدلة على مذهبنا منها قوله تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم و يصلح بالهم) فان ذلك يدل على ان الهدى قد يكون الى الثواب لانه بعد القتل لايصح سواه وهو معنى قوله (و يدخلهم الجنة عرفها لهم) أى طيبها لهم وقوله (فلن يضل أعمالهم) يدل على ان الضلال قد يكون الاهلاك ولذلك قال (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) ومنها قوله (والذين اهتدوا زادهم هدى) فانه يدل على ان الالطاف والادلة والخواطر التي ترد على المؤمن توصف بانها هدى وان للمؤمنين من الحظ فى ذلك ماليس لغيرهم ومنها قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فانه يدل على وجوب النظر وعلى ان التدبر فعلهم ٥ فأما قوله (أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم) فالمراد بالمرض ليس هو الكفر بل هو ما لحقهم بظهور أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من الغموم . ومنها قوله (ولا تبطلوا أعمالكم) فذلك يدل على ان المكلف قد يبطل ثواب ما تقدم من عمله بالكبائر والكفر لان ابطال نفس العمل لايصح فالمراد به جزاء العمل (فاما قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم) فالمراد به حتى يقع الجهاد وقد ذكر العلم وأراد المعلوم لان علم الله تعالى لايتجدد ، تعالى عن ذلك

(سورة الفتح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) كيف يصح ان يستثنى فى خبر بشر الرسول به ومافائدة ذلك . وجوابنا انه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم من المعلوم انه يموت فلا يقع منه الدخول فلذلك استثنى وقد قيل ان الاستثناء متعلق بالامن فكأنه قال لتدخلن المسجد الحرام وأنتم آمنون ان شاء الله لان الامن في داخل المسجد الحرام قد يتغير وقد قيل الفائدة انه علمنا كيف نخبر عن الامور وان نستثنى فى ذلك

« مسألة » وربما قيل فى قوله من قبل (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) كيف يجوز فيما لم يقع من الذنب المتأخر ان يغفره . وجوابنا ان المراد ماتقدم من ذنبك قبل النبوة وماتأخر عنها وكلاهما مما يقع فيصح فيه الغفران فان قيل فما تعلق الغفران بالفتح حتى يقول تعالى فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله . وجوابنا انه لا يمتنع فى الفتح ان يكون سبباً في طاعات عظيمة مستقبلة تؤثر فى غفران الذنب

« مسألة » وربما قالوا فى قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ما الفائدة فى هذا الكلام . وجوابنا ان المراد انه أقوى منهم وأقدر وفى ذلك زجر لهم عن نكث البيعة فاما من يزعم ان لله تعالى يداً تبعاً لهذا الظاهر فقد أبعد لانه يلزمه اثبات يد فوق أيدى الناس وفوق لايستعمل الا على وجه لم يجوزه أحد

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) ان ذلك

توجب انه لاحرج عليه في شئ . وجوابنا انه لاحرج عليه ولا على المريض والاعرج في بعض العبادات كالجهاد وغيره وهذا معقول من الكلام

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أليس ذلك يدل على انه تعالى خلق فيهم ذلك الكف . وجوابنا انه لايقال ان فلانا كف فلانا عن كيت وكيت الا بان يبعثه على الكف ويسبب له ذلك فهذا هو المراد .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) ما المراد بهذه الرؤيا . وجوابنا انه صلى الله عليه وسلم رأى كأن قائلا يقول له لتدخلن المسجد الحرام) فحكاها الله تعالى كما رآها فهذا معنى الكلام نبه بذلك على ان في الرؤيا ما يصدق وما يكون خاطرا من قبل الله تعالى

(سورة الحجرات)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) كيف يصح ان تنسب الى أحدنا محبة ذلك مع كونه كارها وكيف يجوز تشبيه ذلك بأكل لحم أخيه ميتاً . وجوابنا ان قوله تعالى (أيحب أحدكم) نفي للمحبة لا اثبات لها فكأنه قال كما لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكذلك حال الغيبة يجب ان يكرهها ككراهة أكل لحم الميت فاما هذا التشبيه فمن أحسن ما يضرب به المثل وذلك لان المرء نافر النفس عن أكل لحم أخيه الميت لقبحه فبين الله تعالى ان غيبته تجرى فى القبح وفي انه يجب ان ينفر عنها هذا المجرى .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) أفليس قد ميز بين الايمان والاسلام . وجوابنا ان الاسلام فى اللغة هو الاستسلام والانقياد وذلك ليس باسلام في الدين على الحقيقة ولذلك قال (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ومن يكون مسلما في الحقيقة فقد دخل الايمان قلبه ولذلك قال بعده (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فبين تعالى ان الاعراب لم يكونوا كذلك بل كذبوا فى قولهم آمنا وفى السورة أدلة على ما نقول منها قوله (ان تحبط أعمالكم) فبين به ان رفع الصوت بحضور الرسول يحبط سائر طاعتهم حتى يصيروا كأنهم لم يفعلوها ومنها قوله (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة) فدل بذلك على ان الفعل لا يحسن الا مع المعرفة دون ان يتبع في ذلك الفعل قول قائل مع الشك ومنها قوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فدل بذلك على ان في الفسوق ما ليس بكفر وفي العصيان ما ليس بفسق ولولا ذلك لم يميز بين الثلاثة ومنها ما نجعله أصلا في النهى عن المنكر وهو قوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فأمر بالاصلاح أولا ثم قال (فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله) فأمر بالقتال ثانيا ونبه بالطرفين الذين هما الاصلاح والقتال على ما بينهما من الوسائط فان قيل فقد سمى الطائفتين مؤمنين وعندكم أنهما اذا اقتتلا لم يصح ذلك فيهما . فجوابنا أنه أثبتهما مؤمنين قبل البغى والقتال لان قوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) معناه اختاروا المقاتلة فى المستقبل ومنها قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) فدل بذلك على أن الفسق يخرج فاعله من أن يكون مؤمنا

ومنها قوله (يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) لان ذلك يدل على أن الايمان من نعمة الله تعالى من حيث ألطف لنا وسهل سبيلنا الى فعله .

(سورة ق)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ق والقرآن المجيد) أن قوله (والقرآن) قسم فكيف يصح أن يقسم بالقرآن وليس هناك شئ مقسم عليه . وجوابنا أن المقسم عليه قوله (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا) وما بعده فأكد هذا الخبر بالقسم على عادة العرب ونبه بذلك على ما يكون ردعا عن المعاصى من حيث لا يعرفون طريق الاحتراز ومن حيث يعلم ما يأتون ويذرون وحكى عن الحسن أن المراد تأخير القسم فكأنه قال (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) والقرآن يؤكد بذلك ما تعجبوا منه .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار) كيف ثنى ذلك والامر هو لواحد . وجوابنا أن في النار خزنة ولهم عدد فلا يمتنع أن يكون خطابا للاثنين وأن يكون كما جعل على المكلف فى الدنيا رقيبين فكذلك فى الآخرة يوكل به ملكين من الخزنة وقد قيل إن الواحد قد يعبر عنه بالتثنية ويكون ذلك كالتوكيد كأنه قال ألق ألق كما يؤكد المرء أمر غيره بأن يقول إضرب إضرب .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته) كيف يقول ذلك وقد أطغاه والكذب فى الآخرة لا يقع . وجوابنا أن المراد ما أكرهته على الطغيان ولا ألجأته اليه لكنه اختار ذلك كقوله تعالى (أنحن صددناكم

عن الهدى بعد اذ جاءكم) .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) كيف يصح مخاطبتها وهى جماد . وجوابنا في ذلك أن المراد تقول لخزنة جهنم وهذا كقوله واسأل القرية ويحتمل أن يكون المراد استجابة جهنم لما يريده الله من حصول أهلها فيها كقوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) والله تعالى قد أخبرنا فقال (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فبين أنه سينتهى الحال الى أن يملأها بعد المحاسبة .

« مسألة » وربما قيل ما معنى قوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وكل المكلفين لهم قلب . وجوابنا أن المراد لمن كان مستعملا قلبه في التفكر والتدبر فان فيهم من ليس هذا سبيله .

« مسألة » وربما قالوا في قوله تعالى (فبصرك اليوم حديد) ما معنى ذلك وجوابنا أن المراد المعرفة وأنها قوية في الآخرة فالشبهة زائلة فشبهت في القوة بالحديد لان معرفتهم في الآخرة ضرورية والا فالقوم ينظرون من طرف خفي وفي السورة أدلة على ما نقول منها قوله تعالى (لا تختصموا لدى) ولو كان الكافر ممن لم يعط قدرة الايمان وخلق الكفر فيه لكانت الحجة له فكان لا يجوز أن يقال له ذلك ومنها قوله (وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدىّ) لان ذلك يدل على أن ما توعد الله به لا يتخلف ومنها قوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) لانه يدل على أنهم قد فعلوا ما استوجبوا به العقاب ولولا ذلك لكان كل العقاب من باب الظلم والعبث من حيث خلق فيهم ما عاقبهم لاجله ومن حيث خلقهم للكفر ومن حيث خلقهم للنار فلو ابتدأهم بها لكان أقرب من أن يستدرجهم اليها ومنها قوله تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) فذلك انما

يصح اذا كانت الخشية تصرفه عن الفعل ولو كان مخلوقا فيه لما صح ذلك وقوله تعالى (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) يدل على أنه تعالى يضم الى ثوابهم التفضل ولا يمنع من أن يكون ذلك عند شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فليس لمن خالفنا في الشفاعة أن يتعلق بذلك وقوله في آخر السورة (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) يحقق ما نقوله في الوعيد و يبين أن ذلك يصرف عن المعاصي فلذلك أمر الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرهم به ولو كان ذلك خلقا فيهم من جهة الله تعالى لما صح ذلك ؛

﴿ سورة والذاريات ﴾

« مسألة » وربما قالوا كيف أقسم بالذاريات التي هي الرياح و بغيرها ، وجوابنا انه تعالى قد بين مراده بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين) و بقوله تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) و بين الرسول حيث قال من كان حالفا فليحلف بالله فيجب اذا أن يكون المراد بكل ذلك ورب الذاريات ورب الطور ورب القرآن وهذا أحد ما يدل على أن القرآن من جملة أفعاله وأن الله تعالى ربه ومعنى رب الذاريات أنه المالك ولا يجوز أن يملك الا ما يفعله ويقدر عليه فجميع ما أقسم الله تعالى به في أوائل السور يجب أن يحمل على هذا الوجه لكن مع ذلك فيه فائدة وهي تعريف العباد انعامه بما ذكر كقوله تعالى (والفجر) وكقوله (والضحى) وكقوله تعالى (والتين والزيتون) الى غير ذلك .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل لماذا قال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ومعلوم من رزقنا أنه في الارض ، وجوابنا أن المراد ما هو الاصل لارزاقنا وهو الماء النازل من السماء ولولاه لما حصل ما نأكل ونشرب ونلبس الى غير ذلك وقوله

تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) يدل على أن الايمان والاسلام واحد والا كان لا يكون لمن نفى من المسلمين تعلق بمن أخرج من المؤمنين .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أليس ذلك يدل على جواز الجوارح على الله تعالى ، وجوابنا أن المراد به القوة والقدرة ولولا ذلك لوجب اثبات أيدى كثيرة له تعالى عن ذلك .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل ما معنى قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وفي الاشياء ما لا زوج له كالجمادات وغيرها ، وجوابنا أنه لا شيء الا وقد خلق الله تعالى ما يخالفه بعض المخالفة ليدل بذلك على قدرته وليتكامل به نعمته وهذا كالذكر والانثى وكما نعلمه في الثمار والفواكه وكالليل والنهار وكالحجر الصلب والرخو من الاشياء ، وذلك تنبيه من الله تعالى على عظم قدرته وانعامه فلذلك قال تعالى (لعلكم تذكرون) فأما قوله تعالى (ففروا الى الله) فلا يدل على أنه تعالى في مكان بل المراد الفرار الى طاعته وعبادته والتخلص من عقابه فلذلك قال تعالى (إني لكم منه نذير مبين) فأما قوله جل وعز (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فدلالة على أنه تعالى أراد من جميعهم عبادته وأنه خلقهم لذلك لا كما يقوله المخالف من أنه أراد من المؤمنين الايمان ومن الكافرين الكفر وأنه خلق بعضهم للنار و بعضهم للجنة وقد بينا أن قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) لا يعارض ذلك لان المراد ذرأناهم للعبادة لكن مصيرهم الى جهنم من حيث لم يختاروها فهذه اللام لام العاقبة كقوله عز وجل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله من بعد (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فالمراد به وصفه بالاقتدار على الامور لأن المراد اثبات قوة له تعالى الله

عن الحاجة علوا كبيرا ولو كان المراد ظاهره لوجب مع قوته أن يوصف بالمتانة التي هي الصلابة وذلك من صفات الاجسام .

(سورة الطور)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أن ذلك يدل على أن لله عينا كما يقوله بعض المشبهة . وجوابنا أنه ان دل على ذلك دل على عيون وليس أقله بأن يدل عليه أولى من أكثره وليس ذلك قولا لاحد فالمراد به أنك بمرأى منا ومسمع وانا نعلم تعيين أحوالك وذكرها تعالى ليبعثه على التشدد في الابلاغ والصبر على كل عارض دونه .

(مسألة) وربما تعلق بعض المجبرة بقوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) وزعموا أن ذلك يدل على أن الايمان من فعل الله . وجوابنا أن المراد من يبلغ من الذرية ويؤمن فبين تعالى أنه لاجل مشاركتهم لهم في الايمان ألحقهم بهم وبين ذلك قوله « وما ألتناهم من عملهم من شيء » والعامل لا يكون الا مكلفا وقوله تعالى من بعد « كل امرئ بما كسب رهين » يدل على أن أحدا لا يؤخذ بكسب غيره فيبطل قول من خالفنا وزعم أن أطفال المشركين يؤخذون بذنب آبائهم .

(سورة النجم)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) أن ذلك يدل على أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرة بعد أخرى . وجوابنا أن المراد بذلك

جبرائيل عليه السلام لانه المذكور من قبل بقوله تعالى (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) ثم قال بعد ذلك (ما كذب الفؤاد ما رأى) فأثبته رائيا له ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى) فأثبته رائيا له ثانيا وأراد رؤيته له على صورته التي هو عليها فقد كان ينزل على غير صورته في سائر الحالات وبين ما قلناه قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) وذلك لا يليق الا بجبرائيل عليه السلام وقوله تعالى من بعد (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة) يدل على أنه يغفر المام الانسان بصغائر المعاصي اذا اجتنبت الكبائر وقوله تعالى (وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى) فيه دلالة على أن أحدا لا يؤخذ بذنب غيره .

« مسألة » وربما قالوا ان قوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) يدل على أن أفعالنا مخلوقة لله تعالى . وجوابنا أن ذلك ان دل فانما يدل على انه فعل الضحك والبكاء ولا عموم فيهما فان فعلهما تعالى بأثنين ثم الظاهر فمن أين أن كل ضحك وبكاء من فعل الله تعالى . فان قيل فما قولكم في الضحك أهو من فعل العبد أو من فعل الله وقد يتعذر على المرء ترك الضحك فكيف يكون من فعله . وجوابنا أن الضحك هو التفتح المخصوص الذي يظهر في الوجه وذلك يكون من فعل العبد ولا حال يضحك فيها الا ويجوز أن يتركه لانه لو خوف من الضحك لتركه فأما الابكاء فهو من فعله تعالى لانه انزال ما يدفع صفة الوجه لحقيقته انه تعالى هو الذي يبكي العبد وان كان العبد قد يتسبب في ذلك وقد قيل ان المراد بقوله (أضحك) انه أنعم على أهل الثواب بالجنة والثواب (وأبكى) انه عاقب أهل النار واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى) وذلك لا يليق الا بامر الآخرة

فشبه ماينالهم من النعيم والسرور بالضحك وماينالهم من العقاب بالبكاء .

« مسألة » وربما قيل في قوله (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) كيف يصح ذلك ونحن نعلم مالا يخلق من النطفة من الذكر والانثى . وجوابنا ان جميع مافعله من الذكر والانثى أصل الخلقة فيه النطفة وان كانت ربما تكون بواسطة وربما لاتكون وما وجد على غير هذا الوجه لانعلم فيه الذكر من الانثى وقوله عز وجل (وان عليه النشأة الاخرى) يدل على وجوب الاعادة لاجل الاثابة لان في قوله (وان عليه) دلالة الوجوب . وقوله تعالى (وانه أهلك عادا الاولى) ظاهره ان بعد عاد عاداً ثانيا فيكون هو الاول وقد روى ذلك في الاخبار . ومن قال انه واحد تأول على ماقاله الحسن لانه قال هم الاول لنا من حيث كانوا قبلنا ونحن كالآخر لهم .

(سورة القمر)

« مسألة » وربما قيل كيف يصح قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر) ولو كان قد انشق القمر على الحقيقة لنقل ذلك نقلا ظاهرا . وجوابنا ان في العلماء من يقول المراد به وانشق القمر في الساعة لانه عند الساعة ينشق القمر الى غير ذلك من الشرائط لكن الصحيح ماقاله مشايخنا من انه في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر وهو ظاهر القرآن فاذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة وفي سائر الاماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك وكان أهل ذلك البلد في غفلة عنه الا طبقة مخصوصة فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر بل يجوز ان ينقله الآحاد وقد نقل ابن مسعود وغيره هذا كما نقل رد الشمس في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يجب في نقله الظهور لان ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين . وقوله (وان

يروا آية يعرضوا) على وجه الذم يدل على ان ذلك قد كان . وقوله من بعد (تجرى بأعيننا) الجواب فيه ما قدمنا من قبل . وما كرره الله من قوله (فهل من مدكر) يدل على انه تعالى يكرر هذه الامور لكي يعتبر الناس بها وانه تعالى أراد من جميعهم الادكار لاتركه على ما يقوله من خالفنا وقوله تعالى من بعد (انا كل شئ خلقناه بقدر) لايدل على مايقوله مخالفنا وذلك لانه تعالى قال (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر) يعني في الآخرة في معاقبة أهل النار لانه تعالى يعاقب كل احد بقدر استحقاقه ولذلك قال بعده (وماأمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وذلك لا يليق الا بالآخرة التي لايقع فيها من أحد مخالفة لله تعالى . وقوله (وكل صغير وكبير مستطر) يدل على ان كل ذلك يكتبه الحفظة ثم يقع التمييز عند المحاسبة ويحتمل ان يريد ان ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ كما كتب تعالى الاجال والارزاق

﴿ سورة الرحمن ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) أن ذلك يدل على أن علمه بالقرآن والبيان من فعل الله تعالى وذلك مما لا نخالف فيه وانما القول في العلم بالله وتوحيده وعدله وأنه اكتساب من العبد .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ووضع الميزان أن لاتطغوا في الميزان) ان ذلك تكرار لا معنى له . وجوابنا أن وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين وقوله تعالى (أن لاتطغوا في الميزان) المراد به كيفية استعماله في المعاملات فأحد الامرين مخالف للاخر .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل إنه تعالى ذكر في أول السورة (أنه خلق الانسان علمه البيان) فكيف قال من بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . وجوابنا أنه بعد ذلك ذكر مع الانس الجن فقال (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) ثم عطف على ذلك بقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) لانه كلف تعالى في الارض الانس والجن وانما كرر تعالى في هذه الآيات الكثيرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) لانه ذكر نعمة بعد نعمة فاتبعه ذلك وهذا مما يحسن ممن يذكر نعمه وأياديه فان قال ففي جملة الآيات ماليس فيه نعمة كقوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) الى غير ذلك . وجوابنا ان ذلك من النعم اذا تدبره المرء وخاف منه فصار زاجرا له عن المعاصي .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كيف يصح ذلك وانما يخرج من أحد البحرين . وجوابنا انه اذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما والمراد من هذا المجموع وقد قيل انه لايخرج من البحر الذى ليس بعذب الا اذا مازجه الماء العذب .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) كيف يصح ذلك مع انه تعالى قد ذكر انه يسألهم أجمعين في غير آية . وجوابنا ان المراد أنهم لا يسئلون على وجه التعرف لان ذلك مكتوب معلوم وان كانوا قد يسئلون على غير ذلك وقد تقدم كلامنا في مثل هذه الاية .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) كيف يصح ذلك ولا يجوز على الله تعالى الشغل والفراغ . وجوابنا ان ذلك مما يستعمل في الوعيد لانه أقوى في الزجر والتهديد فالقائل يقول لمن يخوفه سأفرغ لك ان خالفت فلاجل هذه المبالغة ذكره تعالى والا فالفراغ لايصح الا على من يشغله

فعل عن فعل من حيث يفعل ولا يصح ان يضيف الى السكون حركة ولا الى القيام قعودا .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) كيف يصح وصف البطائن التى هى الادون دون الظهائر التى هى الارفع . وجوابنا انه بذكر البطائن قد دل على الظهائر فان كانت الظهائر أرفع فقد دل بذلك على انها أرفع من الاستبرق وقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) لايدل على جواز المكان على الله تعالى لانه تعالى خوف بذلك والتخويف لا يكون بالمكان فالمراد ولمن خاف مقامه للمسألة والمحاسبة فأضاف المقام اليه وان كان مقاما للعبد لانه معد من قبله لمقام العبد ولوقوفه فيه وقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أحد مايدل على قولنا لانه عز وجل بين ان من أحسن جازاه الله تعالى بالاحسان وعلى قولهم قد يؤمن ثم يخلق الله تعالى الكفر فيه فلا يصح ذلك على مذهبهم .

(سورة الواقعة)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون) كيف زاد السابقين على أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة وفي سائر القرآن لم يذكر سواهما . وجوابنا انه تعالى أراد ان يبين ان في العباد من له تقدم في عظم الثواب كالانبياء وغيرهم فخصهم بالذكر وان كانوا من أصحاب اليمين .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) كيف يصح في الآخرة ذبح الطيور وأكل لحمها وعندكم ان الآخرة ليست بدار تكليف المرء

وجوابنا ان المراد بهذه الاطعمة انها على هيئة لحم الطير وصورته لأن هناك طيورا تذبح .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم) كيف يصح التوعد بما لا يعرف من جملة الاشجار . وجوابنا ان لفظة الزقوم معروفة بانها تستعمل في المكره من الاشياء . فجاز ان يتوعد الله تعالى بذكرها .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) أليس ذلك يدل على ان فعل العباد مخلوق لله تعالى . وجوابنا ان انزال النطفة ليس من فعل العبد عندنا ولذلك يختلف الحال فيه فمن الناس من يمنى أسرع مما يمنى غيره كثر أو نقص واذا كان ذلك من فعل الله وكذلك استقراره في الرحم فلا سؤال علينا في ذلك . فان قيل فما قولكم في قوله (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أليس يدل على ان الزرع من فعل الله تعالى . وجوابنا ان الزرع اسم للنبات الظاهر وذلك من خلقه تعالى وانما يفعل العبد مقدمته وبين ذلك انه أضاف الحرث اليهم ثم أضاف الزرع الى نفسه وبين ذلك انه عده في نعمه وطرح البذر ليس بنعمة وانما النعمة النبات فأما قوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) فلا دليل للمشبهة فيه لان الكلام فيمن حضره الموت فالمراد اذا احاطة علمه بذلك فاما قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) فقد يقال فيه ان الكذب لا يجوز عندكم في الآخرة فما معنى ذلك . فجوابنا ان المراد وصفهم بذلك في الدنيا فان قيل فما تعلق الكذب بالرزق . فجوابنا انهم كانوا يكذبون على المطر والغيم ويقولون انا سقينا بنوء كذا فأنكر الله ذلك عليهم فأما قوله تعالى من بعد

(ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) فالمراد به الملائكة الموكلة بقبض الارواح وهو كقوله (وجاء ربك) والمراد ملائكة ربك .

«(سورة الحديد)»

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) كيف يصح هذا الوصف لله تعالى مع تضاده . وجوابنا ان المراد هو الاول لانه لا موجود الا موجود بعده وهو الاخر لانه لا موجود الا ويفنيه فيبقى بعده وكلاهما في وصف الله تعالى صحيح . ومعنى قوله والظاهر انه المقتدر القاهر من ظهور القوم على الفعل كقوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) ومعنى الباطن انه عالم بالسرائر وكل ذلك صحيح في أوصاف الله عز وجل ويدل قوله (هو الاول) على بطلان قول من يثبت لله تعالى علما وقدرة وحياة وقدما لانه لو ثبت ذلك لم يصح كونه أولا ويدل على انه تعالى يفنى الخلق ليصح ان يكون آخرا اذ الادلة قد دلت على ان الجنة لا يفنى ثوابها .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ثم قال في آخر الاية الثانية (ان كنتم مؤمنين) كيف يصح ان يقول آمنوا (ان كنتم مؤمنين) وجوابنا ان قوله (ان كنتم مؤمنين) جعله تعالى شرطا في أخذ الميثاق لانه صلى الله عليه وسلم كان يأخذه بشرط الايمان ويحتمل ان يريد به ان رغبتم في الايمان وتمسكتم به وقوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) أحد ما يدل على ان مراده بانزال القرآن الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثه من بين الجميع أن يخرجوا من الكفر الى الايمان . فان قيل فقد قال تعالى (ليخرجكم) فيجب أن يكون

الايمان من خلقه . وجوابنا أنه بين أنه يخرجهم بهذا السبب ولو كان الاخراج والايمان من خلقه لم يصح ذلك لانه سواء أنزل القرآن أولم ينزل فالحال واحدة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد) أحد ما يدل على فضل أكابر الصحابة ومن تقدم اسلامه كالعشرة وغيرهم وانما كان كذلك لان موقع الانفاق من قبل كان أعظم من موقعه من بعد ثم قال تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) منبها بذلك على أن الثواب يعم الكل .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) أليس ذلك يدل على أن الذين آمنوا لم يكونوا خاشعين وأنه كان فيهم من هو قاسى القلب وذلك بخلاف قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) . وجوابنا أن المؤمن لا يكون فى الجملة الا خاشعاً خاضعاً لله وانما أمر تعالى أن يخشعوا لذكر الله وعند سماع القرآن لان فيهم من يسمع غافلا لاهيا فهو كقوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فأما قوله تعالى (فقست قلوبهم) فهو من وصف الكفار من قبل وقوله تعالى (وكثير منهم فاسقون) انما قاله لان فيمن أوتي الكتاب من آمن فيما بعد .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) كيف يصح ذلك وفى جملتهم الفساق وأصحاب الكبائر . وجوابنا أن المراد بذلك من آمن بالرسول فى أيامه وكذلك كانوا ولو صح فيه العموم لحملناه على التخصيص لان المجاهر بالفسوق والفجور لا يسمى من الصديقين .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا

معهم الكتاب والميزان) أتقولون أن الميزان أنزله الله . وجوابنا أنه قد قيل ذلك على ماتقدم ذكره . وقيل ان المراد العدل وبيان صحة المعاملات بالميزان والظاهر هو الاول وكذلك قوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) يتأول على ما قدمنا وقوله تعالى بعد ذلك (وليعلم الله من ينصره) والمراد به وقوع النصرة التى هى حادثة دون العلم فانه تعالى عالم بكل شئ لم يزل .

« مسألة » وربما قالوا فى قوله تعالي (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) أليس يدل ذلك على أن الرأفة والرحمة من خلق الله تعالى . وجوابنا أن المراد بذلك مالا ينكر أنه من قبله وهو لين القلب ومابه يفارق الرجيم غيره فلا يدل على ما قالوه .

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) كيف يصح وقوع المشى بالنور . وجوابنا أن المراد بهذا المشي التصرف أجمع . لان ذلك لا يصح الا بالنور الذى ينفصل من الشمس وبالعقل الذى يوصف بذلك مجازا وبعد فان حمل على الظاهر جاز لان المشى يحتاج صحيحه ومقصوره الى ضياء ليقع على الوجه الصحيح وقوله جل وعز (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله) لا يدل على أن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وذلك لان المراد بهذا الفضل النعم التى هى الاجسام فيدخل فيها الاكل والشرب واللباس وغيرها .

﴿ سورة المجادلة ﴾

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافي الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) أليس ذلك

كله يدل على جواز المكان على الله تعالى . وجوابنا بل يدل ذلك على خلافه لأنه قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) فالمراد به العلم والتبين لأنه كائن معهم ولذلك خص تعالى النجوى التى تستسر ليبين أنه عالم بكل ما يخفى على سواه ولذلك قال تعالى بعده (ثم ينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون تعالى مع كل واحد منا حتى يكون فى الاماكن كلها وحتى اذا انتقل أحدنا من مكان الى مكان يجب أن يكون تعالى منتقلا ليكون معه وذلك يوجب فيه أنه محدث تعالى الله عز وجل وقوله تعالى من قبل في صيام الظهار (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) يدل على قولنا لان عندهم أن الصحيح القوي لم يدخل فى الصوم ولو يستطيع الصيام فلا يكون لهذا الشرط فائدة بل يلزم الكل الاطعام والقول فى الاطعام كالقول فى الصيام وقوله تعالى من بعد (انما النجوى من الشيطان) ولم يقل من الرحمن يدل على أنه فعل العباد لا خلق الله تعالى وقوله (وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله) يعنى ان كل ضرر من غم وغيره يحصل عند الوسوسة فليس من فعل الشيطان بل هو من قبل الله تعالى وهذا خلاف قولهم إن الشيطان يحبط الاعمال .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) كيف يصح أن يحلفوا على الكذب فى الآخرة وقوله تعالى بعده (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ الا إنهم هم الكاذبون) . وجوابنا أن المراد بذلك أنهم يحلفون انهم كانوا مؤمنين عند أنفسهم لا كفارا فلا يكون ذلك كذبا منهم وقوله تعالى (الا إنهم هم الكاذبون) يعنى فى الدنيا فلا سؤال علينا فيه وقوله تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) المراد به فعل

ما عنده فسقوا وأطاعوه .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (أولئك الذين كتب فى قلوبهم الايمان) أليس يدل على أنه خلق الايمان . وجوابنا أن المراد أنه كتب مايعلم به الملائكة ايمانهم فنحن نحمله على الحقيقة وان كان الايمان من فعل العبد .

﴿ سورة الحشر ﴾

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) انه يدل على أن اخراجهم من خلق الله . وربما قيل أيضاً ما معنى (لاول الحشر) فسمى خروجهم حشرا . وجوابنا أنه تعالى لما فعل سبب اخراجهم أضيف ذلك اليه ولما أمر باخراجهم أضيف اليه أيضاً ولذلك قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) وذلك لا يصح الا والخروج من قبلهم وانما سماه حشرا من حيث وقع خروجهم على وجه الجمع والسوق كقوله تعالى (والطير محشورة) وقوله تعالى من بعد (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) يدل على قولنا لان مشاقة العبد لله ورسوله بأن الله تعالى يخلق ذلك فيه لا تصح وقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) قد قيل فيه أن المراد بالاذن العلم وقد قيل بل المراد فبأمر الله ولذلك قال تعالى من بعد (وليخزى الفاسقين) .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) أليس ذلك كالمتناقض . وجوابنا أنه بين بقوله تعالى (ثم لا ينصرون) أنه لا نصرة يجدونها بعد هذه النصرة وعلى ذلك صح .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله) مافائدة هذا التكرار . وجوابنا أن المراد بالاول أن يتقوا الله في حفظ ما فعلوا من الطاعات والمراد بالثانى أن يتقوا في جميع ما كلفوا ولذلك قال (ان الله خبير بما تعملون) وأما معنى قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) المراد أنه بتركهم طاعة الله خلاهم وخذلانهم ولذلك قال (أولئك هم الفاسقون)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) كيف يصح ذلك في الجبل وهو جماد . وجوابنا أن ذلك مثل ضربه الله تعالى لمن لا يتفكر في القرآن ولا يخشع عنده ولذلك قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس) ويمكن أن يقال إن المراد به أن الجبل لو كان حيا يصح أن يسمع ويتدبر لكان هذا حاله .

(سورة الممتحنة)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك) كيف يصح أن يستغفر له مع كفره . وجوابنا أن ذلك وعد منه وقد قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) وذلك يقتضى أن استغفاره كان بشرط وعلى وجه يحسن عليه ولو كان استغفاره مطلقا لما قال (وما أملك من الله من شيء) فان قيل فامعنى قوله تعالى من بعد (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قيل له أنهم سألوا ربهم أن يزيل عنهم الامور التى عندها يشمت الكفار بهم .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) كيف وصفهن بالمؤمنات قبل الهجرة وقبل القبول من الرسول صلى الله عليه وسلم لانه قال « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار » . وجوابنا أن المراد بذلك المظهرات للايمان الراغبات في ذلك فلا تناقض في هذا الكلام لانهن يظهرنه ويرغبن فيه ثم يدعين ويختبرن فتعرف حالهن .

(سورة الصف)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله) أنه جعلهم مع الكبيرة مؤمنين وذلك بخلاف قولكم . وجوابنا أنه قد يكون مؤمنا وان وعد بما لا يفعل اذا كان وعده خبراً عن عزمه فلا يكون كاذبا ولكنه اذا أطلق الوعد ولم يستثن ثم لم يفعل يقبح منه وقد حكى عن الحسن أنه قال المراد المنافقون أظهروا الايمان وحالهم هذه والأول أقرب وقوله تعالى من بعد (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فالمراد به عاقبهم على زيغهم على نحو قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)

(سورة الجمعة)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) كيف يصح أن يزكيهم قبل أن يظهر منهم القبول والطاعة وجوابنا أن المراد ويزكيهم على الوجه الذى يحسن كما يتلو عليهم آياته على هذا الوجه ويجوز أن يراد به التزكية التى معها يجوز التكليف من عقل وتمييز وغيرهما ويجوز أن يريد ويدعوهم الى ما يتزكون به ولذلك قال تعالى (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) لا يدل

الا على أن النبوّة والكتاب من فضله فليس لاحد أن يتعلق بذلك .
« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (انفضوا اليها) لم لم يقل اليهما . وجوابنا أن الكلام اذا دل على ذلك جاز مثله وقد قيل ان المراد التجارة لأنها المقصودة من اللهو الذى هو تابع لها فكأنه نبه بذلك على ما ينفضون أجمع لاجله دون ما يختص به بعضهم دون بعض .

﴿ سورة المنافقين ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) كيف يكونون كاذبين في هذه الشهادة التى هي حق . وجوابنا أن شهادتهم كالاخبار عن اعتقادهم ولم يكونوا معتقدين لذلك فصاروا كاذبين وقوله تعالى من بعد (اتخذوا أيمانهم جنة) يدل على ذلك وأنهم أظهروا مالا حقيقة له وقوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) يدل على أن الافعال من قبلهم لان الله تعالى ان كان خلق ذلك فيهم فكيف يصح كونهم صادين أو ليس ذلك يوجب أنهم يصدون الخالق الفاعل وذلك محال .
« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) كيف يصح فى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون استغفاره اذا وقع لا ينفع ولا يجاب الى ملتمسه . وجوابنا أن المراد مالم يقع ومالم يقع لو وقع فكيف يكون حاله فليس في ذلك أنه لا يجاب الى ما يلتمس و بعد فانه يحتمل أن يستغفر لهم بشرط معلوم من حالهم خلاف ذلك لان ذلك ورد فى المنافقين فيجوز أن يريد استغفاره لهم على الظاهر فاذا علم الله تعالى نفاقهم علم أنه لا يغفر لهم ولا يكون في ذلك تركا لاجابته لان طلب الغفران لهم ان كانوا

على صفة ليس هم عليها .

﴿ سورة التغابن ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) اما يدل ذلك على انه خلق الكافر كافرا وخلق المؤمن مؤمنا . وجوابنا انه ليس فيه الا انه خلقهم ثم من بعد قسمهم فلا يدل الا على ان فيهم كافرا ومؤمنا ثم الكلام في ان ذلك الايمان والكفر ممن ليس في الظاهر وقال أويس عليه رحمة الله لو كان كما ذكروا لما قال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله تعالى من بعد (خلق السموات والارض بالحق) يدل على مانقوله من انه خلقه لمنفعة العباد ولكى يطيعوا ووصفه تعالى ذلك اليوم بالتغابن يدل على ان المقصر بالكفر والمعصية يعلم انه كان يمكنه ان لايقصر وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يدل على مانقوله من علامات يفعلها تميز الملائكة المؤمنين من غيرهم .

﴿ سورة الطلاق ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) ان ذلك يدل على ان الرجعة هو الذى يحدثها . وجوابنا انه تعالى لم يفسر الامر والمراد عندنا الشهوة ومحبة القلب اللذان يدعوانه الى الرجعة ويغتم لأجلهما بما فعل من الطلاق وقوله تعالى من بعد (قد جعل الله لكل شئ قدرا) وقد تقدم ذكر المعنى وان المراد حكمه فى هذه الامور وقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) المراد به من ضيق عليه رزقه أمره بأن لايبسط يده الى مالا يحل له بل ينفق مما آتاه من الخيرات .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) كيف يصح ذلك وفى الناس من لايجد اليسر بعد العسر . وجوابنا انه لا أحد ممن ضيق عليه الله تعالى الا ويؤتيه يسرا بعدعسر من جهة أرزاق الدنيا أومن جهة ثواب الآخرة اذا صبر واحتسب .

﴿ سورة لم تحرم ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون) أليس ذلك يدل على ان الله تعالى يأمرهم ويكلفهم وعندكم ان الآخرة ليست بدار تكليف . وجوابنا انه فى الآخرة يجوز ان يأمر تعالى ولا يكون أمره تكليفاً كما نقوله فى قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا) وانما نمنع من ثبوت الامر فى حال التكليف ولا يكون تكليفاً والله تعالى يأمر الملائكة الموكلة بعذاب أهل النار بما يتلذذون به من عذاب أعداء الله فلايعصون كما ذكره الله تعالى ولايجوز فى الأمر اذا كان بشئ يلتذ به ان يكون تكليفاً وفي هذه السورة أدلة على قولنا منها قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) فلو لم يكن تصرف العبد من فعله لما صح ان يقى نفسه وغيره ومنها قوله تعالى (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) لانه لايجوز ان يقول لا تعتذروا ولهم عذر لان ذلك سفه فالمراد لاتعتذروا فما عذر لكم ولو كان تعالى خلق الكفر في الكافر وأراده وأوجده فيه بالقدرة والارادة لكان ذلك من أوكد مايعتذرون به ولكان لهم ان يقولوا لو أقدرتنا على الطاعة لفعلنا وانما أوتينا من جهة انك لم تقدرنا ولم تخلق فينا الايمان بل خلقت فينا ضده ومنها قوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) فانه يدل على ان العمل من العبد والجزاء من الله تعالى

﴿ سورة الملك ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) كيف يصح في النجوم ان يجعلها رجوما للشياطين وهى ثابتة أبدا في مكانها . وجوابنا ان المراد ماينفصل منها مما يشاكلها فيصح بذلك اضافة الرجوم اليها .

﴿ مسألة ﴾ وربما قالوا في قوله تعالى (وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق) أليس ذلك يدل على انه الخالق لقولهم وسرهم . وجوابنا ان المراد ألا يعلم من خلق الصدر مايودعون فيه من سر وجهر فكانه بين انه عليم بذات الصدور ومقتدر عليها ومن هذا حاله لايخفى عليه خافية وقوله من بعد (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض) لا يدل على ان السماء مكانه لان المراد من في السماء ملكه وقدرته على الخسف والكسف وكذلك قال بعده (أم أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) وقوله تعالى (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن) ربما تعلقوا به في انه الخالق فيهم الوقوف في الهواء . وجوابنا ان المراد انه الفاعل في الهواء ما عنده يصح منها الطيران والوقوف .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) كيف يصح ذلك ومعلوم ان الماء المعين يخرجه من معه الالة وجوابنا أن المراد أن يصبحوا والماء قد غار ويبس وذلك يدل على انقطاع الماء في ذلك المكان ولا يعمل بالفأس اذا انتهى مكان الماء الى هذا الحد وبعد فلولا أنه تعالى يمد بالماء لمكان الفأس لم تؤثر في ذلك

﴿ سورة ن ﴾

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) كيف يصح ان يكلف في الآخرة بالسجود من لا يستطيعه • وجوابنا ان ذلك ليس بدعاء على وجه الامر بل هو توبيخ وتبكيت لهم من حيث تركوا السجود وهم متمكنون ولذلك قال بعده (وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) ولو كان الامر كما يقوله المجبرة لكان الدعاء في الدنيا والآخرة سواء في انه ان خلق فيهم السجود صاروا ساجدين وان لم يخلق كانوا تاركين وفي قوله تعالى من بعد (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) دلالة على انه تعالى يكتب في اللوح المحفوظ الكثير من الغيوب واما ذكر الساق فالمراد به شدة الامر كقوله تعالى (والتفت الساق بالساق) يعنى الشدة بالشدة يوم القيامة .

« مسألة » وربما تعلق بعضهم بقوله (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) فقالوا ان العين حق . وجوابنا ان المراد النظر المكروه منهم عند قراءة القرآن عليهم يبين ذلك ان العين لو كانت حقا كما يقولون لكانت تؤثر فيما يعجب به ويعظم لا في خلافه .

﴿ سورة الحاقة ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) كيف يصح ذلك ومن خوطبوا بذلك لم يحملوا في سفينة نوح • وجوابنا ان المراد حملنا من أنتم من نسله فهو بمنزلة قوله تعالى في سورة البقرة (واذ أنجيناكم

من آل فرعون) والمراد من أنتم منهم ونجاتكم بنجاتهم •

« مسألة » وربما قالوا في قوله تعالى (فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين) أليس ذلك خلاف قوله (ليس لهم طعام الا من ضريع) . وجوابنا انه لا يمتنع في قوم ان لا طعام لهم الا من ضريع ويجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين وهو ما يسيل من صديدهم فسماه طعاما من حيث يستطعم .

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (انه لقول رسول كريم) كيف جعله قول جبريل وهو كلام الله تعالى • وجوابنا انه اذا سمع منه جازت هذه الاضافة لانه منه علم ولولاه لم يعلم فاما قوله من قبل (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) فلا يصح ان يتعلق به المشبهة لان العرش في السماء مكان لعبادة الملائكة فيحملونه ويطوفون حوله ويضاف الى الله تعالى من حيث خلقه كما يضاف العبد الى الله تعالى وقوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين) لا يصح تعلقهم به لاثبات اليمين له تعالى لان المراد القدرة على ما بيناه في غير موضع وعلى هذا الوجه يقال ان فلانا علك فلانا ملك يمين اذا أمكنه التصرف فيه وان لم يكن له يمين وعلى هذا الوجه قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين

يعنى بيأس وقوة

﴿ سورة سأل سائل ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (من الله ذى المعارج) أليس ذلك يدل على جواز الصعود والنزول عليه . وجوابنا ان اضافة الشئ لغيره بهذا

اللفظ قد تكون بأن يفعله وقد تكون بخلافه ولله تعالى معارج خلقها الملائكة ولذلك قال (تعرج الملائكة والروح اليه) فلا تعلق للقوم بذلك .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) كيف يصح وهو متناقض وكيف يصح القرب على الله تعالى . وجوابنا أن المراد يوم القيامة وقوله تعالى (يرونه بعيدا) بمعنى الظن (ونراه قريبا) بمعنى العلم وذلك لا يتناقض ولا يجوز أن تراد به الرؤية وذلك اليوم معدوم .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا) أليس يدل على أن هلعه من خلق الله تعالى . وجوابنا أن المراد أنه خلق وهو على حد من الضعف يصيبه الهلع به عند الحوادث ولذلك قال تعالى بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون) ما فائدة ذلك وهل هو تعلق بما وصفه من طمعهم وكيف يعلمون مماذا خلقوا . وجوابنا أن ذلك ورد في الكفار الذين قال تعالى فيهم (فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين) ولا يمتنع فيهم أنهم كانوا يعرفون مع كفرهم أنهم خلقوا من نطفة وأن ذلك الخلق من فعله تعالى فيصح قوله تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) في الجملة وفائدته أنه بين أن من خلق من ماء مهين لا يجوز أن يستوجب الجنة وانما يستوجبها لعمله اذ الفضل يقتضي ذلك ويحتمل أن يريد خلقناهم مما يعلمون من التكليف فكيف يصح أن يطمعوا فيما طمعوا فيه ولا أثر لهم فيه ولا عين .

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) كيف يصح ذلك وقد ذكر في موضع (رب المشرقين ورب المغربين) وفي موضع

(رب المشرق والمغرب) . وجوابنا أن المراد بالمشرق والمغرب جنس ذلك أو واحده في كل يوم والمراد بالمشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما والمراد بالمشارق ما نعلمه من اختلاف المطالع في كل يوم فلا تناقض في ذلك .

(سورة نوح)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى) ثم قال بعده (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر) وهذا متناقض وجوابنا أنه لا تناقض في ذلك لان ذلك الاجل المقدر الذي ضمنه اذا عبد الله تعالى وأطيع لا يتأخر وهذا الاجل عندنا مقدر غير محقق لأنهم اذا لم يعبدوه فأجلهم هو المكتوب ولا تأثير يقع فيه . فان قيل فكيف قال تعالى (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) ومن عبد الله واتقاه استحق غفران كل ذنوبه . وجوابنا أن من قد تدخل زائدة كما تدخل للتبعيض وهي ههنا زائدة ويحتمل أن يريد أن الغفران يكون في هذا الجنس كما يقال باب من حديد وقوله تعالى من بعد (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا) المراد به تشدد القوم في الانكار والجحود والنفور من قبول الحق ولذلك قال تعالى (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم) .

(مسألة) وربما تعلقت المشبهة بقوله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقارا) وجوابنا في ذلك أن المراد مالكم لا تعظمونه حق عظمته اذ الوقار الذي يظهر في الاجسام يستحيل عليه تعالى ولذلك قال تعالى بعده (وقد خلقكم أطوارا) فالمراد ما يتعلق بخلقه من شكر عباده .

(مسألة) وربما قالوا في قوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات

طباقا وجعل القمر فيهن نورا) كيف يصح ذلك ونور القمر يكون على الارض لا فيما بين السموات . وجوابنا أن المراد وجعل القمر بينهن وبين الارض نوراً أولما جمع السماء أجمع بلفظة واحدة جاز في نور القمر وهو ينالها أيضاً كما ينال الارض أن يقول ذلك .

«(مسألة)» ورىما سألوا فى قوله تعالى (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) كيف يصح ذلك وأكثر أهل الارض من الكفار وكيف يصح أن يظهر خلاف ما قدره الله تعالى من بقاء هؤلاء الكفار وكيف قال تعالى بعده (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) والمولود لا يكون بهذا الوصف . وجوابنا أن مراد نوح عليه السلام الكفار الذين كانوا فى زمنه ومن أعلمه الله أنه لو أبقاهم أبدا لم يؤمنوا فدعا الله تعالى عليهم بهذا الدعاء وأجاب الله دعوته بأن غرقهم فأما قوله تعالى (ولا يلدوا الا فاجرا) فالمراد من سيفجر ويكفر نبه بذلك على أنه كما أن المعلوم أنهم لايؤمنون فمن المعلوم أيضاً أنه لا يكون فى نسلهم مؤمنون .

﴿ سورة الجن ﴾

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) كيف يصح ذلك . وجوابنا ان المراد ميلهم اليهم والى القبول منهم ومن أطاع غيره وعظمه يوصف بذلك كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بان أطاعوهم .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وانا لمسنا السماء) كيف يصح ذلك مع انقضاض الكواكب والشهب عليهم ومنعهم من ذلك . وجوابنا ان المراد طلبنا لمس السماء والقرب منها لتعرف الاخبار فلذلك قال بعده (فوجدناها ملئت

حرساً شديداً وشهباً) وذلك بيان منهم أنهم منعوا من ذلك .

«(مسألة)» وربما قيل فى قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) كيف يتعلق ماأمر به من ترك عبادة غير الله بان المساجد لله . وجوابنا انها مكان العبادة ومبنية لذلك فقال فلا تعبدوا فيها سوى الله

«(سورة المزمل)»

(مسألة) ربما قالوا فى قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا) ما معنى وصف الوحى بالثقل . وجوابنا أن المراد ثقل العمل بما فيه وتدبره والمعرفة بمراد الله تعالى ويحتمل أنه كان يثقل عليه أن يحفظه وأن يبلغه وكان يحتاج في ذلك الى تكليف وربما قيل في قوله تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) كيف يصح وصف اليوم بذلك وكيف يضاف اليه . وجوابنا أن المراد مايحصل فى ذلك اليوم من الأهوال فضرب له هذا المثل كما يقال مثله في المخاطبات عند ذكر الامور الهائلة .

﴿ سورة المدثر ﴾

« مسألة » ربما قيل ما معنى قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) وكيف يتعلق أحدهما بالآخر . وجوابنا أن المراد لا تستكثر ما تنعم به على غيرك بعثا له على الزيادة فى الانعام ويحتمل أن يكون المراد لا تستكثره على وجه الامتنان .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) كيف يصح مع فضلهم أن يجعلهم أصحاب النار وكيف يصح قوله تعالى (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وأى تعلق لعدتهم بافتتان الكفار . وجوابنا أن المراد الموكلون بعذاب أهل النار لانهم يضافون الى النار بأنهم أصحابها بل

اضافتهم الى ذلك أحق لأنهم يتصرفون في التعذيب بها ومعنى قوله تعالى (وما جعلنا عدتهم الا فتنة) أن المعلوم من كثرة عددهم أنه أقرب الى غمهم وحسرتهم وكل ذلك بعث من الله سبحانه على الطاعة وزجر عن المعصية فلذلك قال تعالى (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايمانا) وقوله تعالى من بعد (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) قالوا فيه كيف يصح أن يجعل تعالى لهم عدة لهذا الوجه الذى يقبح منهم فعله . وجوابنا أن هذه اللام لام العاقبة فأما الكلام في الضلال والهدى فقد تقدم وقوله تعالى من بعد (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) فالمراد به الذكر الذي هو الطاعة لانه من قبيل مالا يصح من العبد أن يشاءه الا والله قد شاءه منه وكلفه اياه .

«(سورة القيامة)»

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) أنه أقوى دليل على أن الله تعالى يرى في الآخرة . وجوابنا أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله تعالى جسم فانا لا ننازعه في أنه يرى بل فى أنه يصافح ويعانق ويلمس تعالى الله عن ذلك وانما نكلمه في أنه ليس بجسم وان كان ممن ينفي التشبيه على الله فلابد من أن يعترف بأن النظر الى الله تعالى لا يصح لان النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلبا لرؤيته وذلك لا يصح الا في الاجسام فيجب أن يتأول على ما يصح النظر اليه وهو الثواب كقوله تعالى (واسأل القرية) فانا تأولناه على أهل القرية لصحة المسألة منهم و بين ذلك

ان الله ذكر ذلك ترغيبا في الثواب كما ذكر قوله (ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) زجرا عن العقاب فيجب حمله على ما ذكرناه وقوله من قبل (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) يدل على أنه لا عذر للعبد اذا هو عصى ربه ولو كان الكفر مخلوقا فيه لكان له أوكد العذر على ما قدمنا من قبل وقوله تعالى من بعد (ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) هو الذي يورده العلماء على جواز الاعادة وصحتها فانه تعالى اذا قدر على الاحياء أولا على هذا الحد الذي نجد الاحياء عليه فيجب أن يقدر على اعادة ذلك .

(سورة هل أتى)

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) كيف يصح وقد وصفه بانه انسان وأتى عليه حين من الدهر ان لا يكون مذكورا ولا شيئا . وجوابنا ان المراد لم يكن له عند هذا الوصف من البنية والحياة والعقل ما أخبر به الله تعالى في خلق آدم صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى بعد خلق آدم صلى الله عليه وسلم (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) أما يدل ذلك على انه ليس في المكلفين الا كافر أو مؤمن . وجوابنا ان الشاكر قد يكون شاكرا وان لم يكن مؤمنا برا تقيا لان الفاسق بغضب أو غيره قد يكون شاكراً فلا يدل على ما قالوا بل فى الآية دلالة على ما نقول من ان الكافر والمؤمن هما سواء في ان الله تعالى قد هداهما لا كما قالت المجبرة

انه تعالى انما هدى المؤمنين والمراد به أنه دل الجميع وأزال علتهم فمن عصى فمن جهة نفسه أتى .

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) كيف يصح الترغيب فى ذلك وليس هو بمستطاب فى الدنيا وجوابنا ان رائحة الكافور لاشبهة في انها مستطابة واليسير منها مستطاب فرغب تعالى فى ذلك على الجملة كما رغب فى الخمر وان كان طعمه في الدنيا لا يستطاب وقد قيل ان المراد يشربون من نهر تربته الكافور وكذلك اذا سألوا عن قوله (كان مزاجها زنجبيلا) اذا المراد التنبيه على الجملة وان كان شراب أهل الجنة في نهاية اللذة .

٥(مسألة)٥ وربما قالوا فى قوله تعالى (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة) وهذا متناقض فلا يكون من فضة ويكون قوارير . وجوابنا ان المراد انها من فضة وقد بلغت فى الصفاء والحسن بحيث يرى ما فيها حتى لا تكون حاجزاً ولا حائلا كالقوارير وهذا نهاية ما يقع به الترغيب فأما قوله (فمن شاء اتخذ الي ربه سبيلا وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فالمراد به ما تشاؤون من اتخاذ السبيل الي الرب الا والله قد شاءه والمراد انه شاء العبادات ولذا أنكرنا على القوم أنهم يصرحون بأنه تعالي قد شاء الفواحش والله يتعالى عن ذلك .

(سورة والمرسلات)

٥(مسألة)٥ وربما طعنوا على تكرير قوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) وجوابنا ان القصص اذا كانت مختلفة رجع الكلام الي كل واحد منها فيحسن كما

ذكرناه في سورة الرحمن .

٥(مسألة)٥ وربما قالوا في قصص الانبياء لم كرره الله تعالي . وجوابنا انه تعالي أنزل ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان المشركون يأتون به فكان ينزل مرة بعد مرة ليسليه في حال بعد حال ولان التالى يعتبر بذلك اعتباراً بعد اعتبار وقوله تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين) وربما تعلق به بعض المجبرة على ان أفعال العباد مخلوقة من جهته تعالى وذلك بعيد لان كون ذلك الماء في الرحم من فعل الله تعالى وقد بيناه من قبل . وقوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) من أقوى ما يدل على قولنا في العدل لانهم اذا لم يعتذروا ولهم عذر فذلك لا يصح وقد نزل بهم من العقوبة مالا دليل عليه فالصحيح أن لا عذر لهم وذلك لا يصح مع القول بأنه تعالى هو الذى خلق فيهم الكفر وقدرة الكفر وارادة الكفر

﴿ سورة عم يتساءلون ﴾

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) كيف يصح مع القول بخلودهم في النار ان يقدر كونهم فيها بالاحقاب . وجوابنا ان المراد احقاب لا آخر لها كما يقال أوقاتا وساعات لانهاية لها لأن المراد أحقاب متقطعة والآية وردت في الذين لايرجون حسابا وهم الكفار فلا يمكن ان يتأول على فساق أهل الصلاة .

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) كيف يذاق البرد وانما خلقت هذه الحاسة ليذاق بها الطعم . وجوابنا ان البرد قد يذاق بحاسة الطعم لامن حيث كانت حاسة لكن لان محل الذوق يدرك

به البرد ومعلوم من حال المشرب انه يكون باردا يبلغ في اللذة مالا يبلغه ماليس كذلك فهذا معنى الكلام . وربما قالوا في قوله تعالى من قبل (وجعلنا نومكم سباتا) كيف يصح ذلك والسبات والنوم واحد فكأنه قال وجعلنا نومكم نوما . والجواب ان السبات هو نوم مخصوص يجد الانسان فيه من الراحة مالا يجده فى غيره ولذلك يوصف ذوالنوم عندالتعب بأنه فى سبات ولا يوصف بذلك الا وقد غرق في النوم فبين تعالى نعمته بهذا النوع وقوله تعالى (ان جهنم كانت مرصادا) فالمراد به انها طريق الكل ثم بالقرب منها يتميز المثاب من غيره كما قال تعالى (ثم ننجى الذين اتقو ونذر و الظالمين فيها جثيا) وأما قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) فقد قيل ان المراد به جبريل عليه السلام وقد قيل هو ملك في صورة آدم صلى الله عليه وسلم وقد قيل بل المراد من له الروح وهم بنو آدم فذكر تعالى انهم يقومون والملائكة بهذا الوصف وان جميعهم لايتكلمون الا باذن الرحمن وانهم لايتكلمون في الآخرة الا بالصواب نبه تعالى بذلك على الفصل بين الآخرة والدنيا .

● (سورة النازعات) ●

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (والنازعات غرقا) ان ذلك قسم فعلى ماذا وقع القسم . وجوابنا ان القسم قد يحذف جوابه اذا كان في الكلام دليل عليه فكأنه قال لتحشرن ولتبعثن أولترون يوم ترجف الراجفة تعظيما لحال ذلك اليوم و بعثا على الخلاص من أهواله .

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (أم السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها) كيف يصح والسماء لاليل فيها لان الليل انما يثبت بحركات

الشمس فاذا ظهرت فهو نهار واذا غابت فهو ليل وذلك متعذر في السماء . وجوابنا ان اضافة الليل الى السماء كاضافة الشمس والقمر والنجوم الى السماء لما كان لولاها ولولا حركات الشمس في الافلاك لم يكن ليل ولا نهار .

●(مسألة)● وربما قيل فى قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) ان ذلك مخالف لقوله (خلق الارض فى يومين) ثم استوى الى السماء) . وجوابنا ان المراد بهذه الاية خلق نفس الارض وانه قبل السماء والمراد بقوله (والارض بعد ذلك دحاها) انها وان كانت مخلوقة فان دحوها و بسطها متأخر فلا اختلاف فى ذلك فأما قوله تعالى من بعد (والجبال أرساها) فهو تشبيه بارساء السفن اذا استقرت فالمراد انه وقفها فى أماكنها لاتزول ولا تحول وقوله تعالى (فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) من أقوي ما يدل على ان العبد هو الفاعل لانه لا يقال طغى في فعل شيء الا مع التمكن من فعله ولا يقال آثر شيأ على شيء الا وهو قادر على فعله وقوله تعالى (ونهى النفس عن الهوى) يدل أيضاً على تمكنه لانه لا يوصف بذلك اذا كان الفعل مخلوقا فيه وفى قوله (انما أنت منذر من يخشاها) مع انه منذر للكل فائدة وهى ان من يخشى هو القابل للانذار والمنتفع به .

(سورة عبس)

●(مسألة)● وربما قيل فى قوله تعالى (وأما من جاءك يسعي وهو يخشى فأنت عنه تلهى) كيف يصح وصفه للرسول بالتلهى . وجوابنا ان العادل عن غيره لتشاغله بسواه يقال لهى عنه فليس ذلك من اللهو الذى هو اللعب والتشاغل بما لايفعله العاقل وعظم الله قدر القرآن بقوله (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) ثم انه تعالى وصف

الانسان بما يكون بعثا له على الطاعة فقال (قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) • فجمع في هذه الكلمات مايقتضي الخضوع للمعبود فقد خلقه كاملا ثم درجه الى أحوال الآخرة من الحشر والنشر ثم بين كيف قدر له الطعام مع ذلك بانزال الماء والانبات وكيف قدر له انعاما أيضا للطعام ثم بين مع ذلك ان يوم القيامة (يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه) فان قيل كيف يفر فى الآخرة ولا مفر • فجوابنا ان المراد عدوله عنهم لعلمه بأنه لاينتفع بهم ولا ينتفعون به فيزول عن قلبه تلك الرقة والشفقة الى غير ذلك من الاحوال ولذلك قال تعالى (لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه) •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) امايدل ذلك على انه ليس مع أهل الجنة الا الكفار • وجوابنا ان اثبات وصف الامرين لايدل على نفي ثالث اذا دل الدليل عليه فيجوز ان يكون بينهما من على وجهه غبرة ولا تلحقه القترة وهم الفساق الذين ليسوا بكفار بين ذلك قوله (أولئك هم الكفرة الفجرة) وفي الكفار من لا يوصف بأنه فاجر فلو قيل للخوارج هل يجب في كل كافر ان يكون فاجرا لم تجد في ذلك من الجواب الا ماذكرنا •

(سورة التكوير)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (انه لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه السلام كيف يصح اضافة القرآن اليه وهو كلام الله • وجوابنا انه المظهر

لذلك حتى لولاه لما عرف فصحت اضافته اليه وقد يضاف كلام الغير الى من تحمله وذلك كثير في اللغة فأما قوله من قبل (واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) وقوله(واذا الوحوش حشرت) فيدل على أنه تعالى يعيد كل هؤلاء يوم القيامة ويدل على أن من لا ذنب له لا يجوز أن يؤلم فيبطل بذلك قول من يزعم في أطفال المشركين أنهم يعذبون بذنوب آبائهم ويدل على بطلان القول بأن المعاصي مخلوقة من الله في الانسان لأنه يجب أن يكون تعالى يعذبه ولا ذنب له وقد نفى الله تعالى ذلك وأبطله وقوله تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) المراد به الاستقامة فأما غير ذلك فموقوف على الدليل •

﴿ سورة الانفطار ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) كيف ينكر ذلك عليه مع وصفه نفسه بالكرم • وجوابنا أن المراد ما غرك بذلك فى ارتكاب المعاصى العظيمة ولذلك قال تعالى بعد ذكر نعمه (كلا بل تكذبون بالدين) وهذا أحد ما يدل على قدرة العبد على أن يعصى ولولا ذلك لم يصح أن ينسب الى الاغترار وقوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) هو بعث المرء على الطاعة لأنه اذا تحقق فى كل ما يأتيه أنه محصى مكتوب في صحيفته محاسب عليه زجره ذلك عن فعله وقوله تعالى (و إن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين) يدل على أن الفاجر من أهل الصلاة مخلد في النار لانه اذا لم يغب عن النار ولم يمت فهو كائن فيها ويدل على أن الشفاعة لا تكون منه صلى الله عليه وسلم لهم والا لم يكن ليعم كل فاجر بهذا الحكم •

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك

ما يوم الدين) أن ذلك تكرار لا فائدة فيه . وجوابنا أنه لما ذكر الابرار وما ينالونه من النعم والفجار وما ينزل بهم من العذاب جاز أن يقول (وما أدراك ما يوم الدين) فيما يظهر فيه للابرار (ثم ما أدراك ما يوم الدين) فيما يحصل فيه للفجار وذلك يفيد تعظيم شأن ذلك اليوم .

(سورة المطففين)

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (ويل للمطففين) كيف يصح والمطفف قد يطفف اليسير وذلك من الصغائر . وجوابنا أن المراد ويل له بشرط أن لا يكون معه من ثواب طاعاته ما هو أعظم وبشرط أن لا يكون معه توبة فلا يلزم ما ذكروه وبين تعالى أنهم اذا اكتالوا لانفسهم يستوفون واذا كالوا غيرهم يخسرون وينقصون ثم زجر عن ذلك بقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) فاذا كانت هذه حالة مطفف فكيف حال من يأخذ أموال الناس بغير حساب وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا يدل على قول المشبهة لان المراد تعظيم شأن ذلك اليوم فى العقاب والثواب ولا يعظم بأن يكون تعالى قائما فيه تعالى الله عن ذلك فالمراد انزاله باهل الثواب والعقاب ما يستحقون ولذلك ذكر بعده الفجار والابرار لبيان حال كل واحد منهم وعظم شأن الابرار بتعظيم كتابهم وحقر شأن الفجار بتحقير الكتاب ثم بين تعالى ما ينال المؤمن فى الدنيا عن المجرمين وأنهم يضحكون منهم وما يؤول أمر المؤمنين اليه فى الآخرة من النعيم العظيم فقال (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون) فنبه بذلك على أن صنيع الفجار وبال عليهم وأنه منقطع كأن لم يكن وصنع المؤمنين بالفجار ما ذكره تعالى مع كونهم فى نعيمهم يكونون أبداً .

(سورة الانشقاق)

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (إذا السماء انشقت) أين الجواب لهذا الكلام . وجوابنا أن المراد واذكر إذا السماء انشقت وتدبر إذا السماء انشقت فهو تنبيه على حال ذلك اليوم وترغيب فى الطاعة فلذلك قال تعالى بعده (ياأيها الانسان أنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) وذكر تعالى من أوتى كتابه بيمينه وكيف يكون حسابه وانقلابه الى أهله مسرورا وكيف حال من أوتى كتابه وراء ظهره وأنه الآن يدعو ثبورا ويصلى سعيرا وقد كان من قبل فى أهله مسرورا واذا ميز التالى لهذه السورة بين هذين الامرين اللذين أحدهما يدوم ولا يبيد والآخر ينقطع ويصير وبالا رغبه ذلك في الطاعة وعمارة أمر الآخر وقوله تعالى (ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) وقد دخل تحته المؤمن والكافر يدل على ان المراد بكل لقاء ذكره الله تعالى في كتابه لقاء ما وعد وتوعد لا كما يتعلق به من يقول ان الله يرى فيظن ان اللقاء اذا أضيف الى الله تعالى دل على الرؤية .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا) كيف يصح ذلك وقد ذكر تعالى في عدة مواضع اليمين والشمال وذلك مختلف . وجوابنا انه لا يمتنع فيمن أوتى كتابه بشماله ان يكون فيهم من أوتى كتابه بشماله فقط وفيهم من يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره فلا يعد ذلك مختلفا ويحتمل أن فى كل من يؤتى كتابه بشماله أن يؤتى على هذا الوجه فلا يتناقض ذلك أيضاً . وربما يقال فى جواب (اذا السماء انشقت) أنه فى قوله تعالى (ياأيها الانسان) فكأنه قال أنك كادح (اذا السماء انشقت)

٥(سورة البروج)٥

٥(مسألة)٥ وربما يقال أين جواب القسم في قوله (والسماء ذات البروج) وجوابنا انه قوله (ان بطش ربك لشديد) وقد قيل انه محذوف ويحتمل ان يكون قوله (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) جوابه وقوله (ذو العرش المجيد) لا يدل على قول المشبهة في ان العرش مكانه لان هذه الاضافة تصح فى فعله كما تصح في المكان وقوله (فعال لما يريد) انما يدل على ان ما يريده يفعله ولا يدل على ان كل فعل يقع هو مراده

(سورة الطارق)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر) كيف يصح ان لا تكون له قوة وان كان يصح ان لا تكون له نصرة ٠ وجوابنا ان المراد لا قوة له على دفاع ما ينزل به كما لا ناصر له وذلك من الله تعالى زجر وتخويف وفيه دلالة على ما نقوله وذلك لانه لو كان لا قدرة له في الدنيا على الايمان لم يكن ليصح ان يهدد بذلك ويبكت ويدل على انه لا شفاعة لاهل العقاب لانه لو كان لهم شفيع لكان لهم أقوى ناصر وقوله (وأكيد كيدا) فالمراد به انزال العقاب بهم من حيث لا يشعرون في الآخرة ويحتمل ان يريد انزاله الخذلان بهم في الدنيا من حيث لا يشعرون وذلك تشبيه لا تحقيق ٠

(سورة الأعلى)

٥(مسألة)٥ وربما قيل في قوله تعالى (سبح اسم ربك) كيف يصح والتسبيح

هو التنزيه ان ينزه الاسم وانما يصح تنزيه المسمى الذى هو الله تعالى وهلا دل ذلك على ان الاسم عين المسمى ٠ وجوابنا ان الاسم غير المسمى لانه حروف مؤلفة تسمع وتكتب وليس كذلك المسمى لكن المراد تنزيهه تعالى فذكر الاسم وأريد المسمى تعظيما وتفخيما وربما يقول القائل فى نبينا صلى الله عليه وسلم صلوات الله على ذكره ويريده نفسه فيكون ذلك أدخل فى الاجلال ولذلك قال تعالى بعده (الذى خلق فسوى) وذلك من صفاته لا من صفات الاسم ٠

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) كيف يصح ذلك والنسيان من فعل الله تعالى لا من فعل العبد ٠ وجوابنا أن المراد سنقرئك فلا تترك تعهد ما أنزلنا عليك ولا تدع التمسك بالعمل به ويكون معنى قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) بطريقة النسخ فانه اذا نسخ تلاوة شئ كان متروكا ولا يجب أيضاً العمل به اذا نسخ معناه وحكمه ٠

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) كيف يصح أن يأمره بأن يذكر من تنفعه الذكرى وقد علمنا أنه يلزمه أن يذكر من هذا حاله ومن لا تنفعه الذكرى بأن لا يقبل ويتمرد ٠ وجوابنا أن المراد تجديد الذكرى على من هذا حاله وان كان البيان من جهته قد حصل بكل ومن المعلوم ان من حاله أن تنفعه الذكرى يكون فى جملة ألطافه تكرير الذكرى عليه ويحتمل أن يريد الكل سواء قبلوا أم لم يقبلوا لانهم ان لا يقبلوا لا يخرجوا من أن تكون الذكرى قد نفعتهم كما ينتفع الجائع بتقديم الطعام اليه وان لم يختر الاكل ٠

(مسألة) وربما قيل ما معنى قوله تعالى (ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيي) كيف يصح أن يكون فى النار لا حيا ولا ميتا وجوابنا أن المراد أنه لا يموت فيستريح من ذلك العقاب ولا يحيي حياة ينتفع بها

(سورة الغاشية)

(مسألة) وربما قيل في قوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) كيف يصح ذلك في الوجوه وذلك من صفات الحي الذي الوجه بعضه . وجوابنا أن المراد جملة المرء دون العضو وقد يذكر الوجه ويراد به نفس الشيء كما يقال هذا وجه الامر وعلى هذا الوجه تأول العلماء قوله (كل شيء هالك الا وجهه) ولذلك قال تعالى بعده (تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع) وذلك منه تعالى زجر عن المعاصي التي تؤدي الى هذا الوصف وقوله (عاملة ناصبة) تدل على قدرتها على خلاف ذلك لان من خلق فيه الشيء لا يوصف بهذا الوصف ثم بين تعالى الفصل بينهم و بين أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية) فرغب بذلك في الطاعة ثم عطف على الجميع فقال تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) بعث بذلك على النظر في أدلة الله تعالى ونعمه ثم قال (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) فبين أن الذي اليه هذا القدر قبلوا أولم يقبلوا . ودل بذلك على أنهم ممكنون لان الامر من الله تعالى لرسوله بأن يذكر لا يصح والمرء قد خلق فيه ما يمنعه من الكفر وقدرة الكفر .

(سورة والفجر)

« مسألة » وربما تعلقت المشبهة بقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وجوابنا أن المراد أمر ربك فلو جاز المجيء عليه لجاز عليه المشي والانتقال ومن هذا حاله لو جاز أن يكون قديما لم نثق بأن العلم محدث وهذا كقوله تعالى (واسأل القرية) فاذا لم يمكن توجه السؤال اليها حملناه على من يصح أن يسئل وكذلك قوله تعالى (وجاء ربك) وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى

يقول يا ليتني قدمت لحياتي) دليلنا على أن العبد في الدنيا قادر على الايمان وان كان كافراً والا ما كان يصح أن يتمنى مالا يقدر عليه ولا كان يصح أن يوصف بأنه يتذكر وأنى له الذكرى لانه على قولهم في الدنيا أيضاً كان لا تمكنه الذكرى .

(سورة البلد)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) ما معنى ذلك وانما خلق الانسان في بطن أمه . وجوابنا أن المراد أحد الأمرين أما ما ذكر عن الحسن أنه خلق يكابد السراء والضراء وشدائد الدنيا أو يكون المراد مكابدته في الوضع فانه تلحقه الشدة في ذلك وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) يدل على أنه قد هدى الكل من كافر ومؤمن .

(* سورة والشمس *)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) بعد قوله تعالى (ونفس وما سواها) أليس يدل ذلك على أن الفجور والتقوى من خلق الله تعالى . وجوابنا أن المراد بقوله تعالى (فألهمها) أعلمها و بين لها الفجور لتجتنب ذلك والتقوى لتقدم عليها فلا يصح ما قالوه وقوله تعالى من بعد (قد أفلح من زكاها) لا يدل على أنه تعالى يخلق في العبد ما به يتزكى لان المراد قد أفلح من زكى نفسه بان يفعل ما به يصير زكيا أو يكون المراد من وصف نفسه بالايمان والطاعة لا على وجه التفاخر لكنه على وجه دفع التهمة عن نفسه فلا يدل على ما قالوه .

(سورة والليل)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) أليس قد خص من هذه صفته بانه يسره للايمان فيجب

أن يكون مخلوقا من قبله فيهم وكذلك قوله تعالى (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) . وجوابنا أن المراد باليسرى الثواب العاجل والآجل وبالعسرى العقاب العاجل والآجل فلا يصح ماقالوه ويحتمل أن يكون المراد فيمن صدق بالحسنى تيسيره للالطاف التى لاجلها يثبت على الايمان وفيمن كذب بالحسنى تيسيره لامور لاجلها يفضل الثبات على ماهو عليه فيكون كقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقوله تعالى (ان علينا للهدى) يدل على أن الهدى هو البيان فانه تعالى بالتكليف قد أوجبه على نفسه .

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى) أليس يدل ذلك على أن من لم يكذب ويتولى لا يصلى النار وهذا يدل على أن فساق أهل الصلاة آمنون من النار . وجوابنا أن المراد به نار مخصوصة لا يصلاها إلا هؤلاء الكفار لان هناك نيرانا ولها مراتب فلا يدل على ما قالوه وبين ذلك أن في الكفار من لا يوصف بانه يكذب ويتولى فلو سئلوا عنهم لم يكن جوابهم الا هذا الذي ذكرنا فلا يمتنع في الفساق أن يكونوا فى غيرهذه النار وبين في الفساق ذلك بقوله تعالى (وسيجنبها الاتقى الذى) فمعلوم أن غير الاتقى يجنبها أيضاً كمن ليس بمكلف من المجانين والأطفال .

(سورة والضحى)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) أليس ذلك يدل على جواز الضلال على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء . وجوابنا أن المراد بذلك ضالا عن النبوّة والرسالة وسائر ما خص الله تعالى به نبينا صلى الله

عليه وسلم من التعظيم وغيره فهداك الله اليها لانه في اللغة قد يقال ضل عن كيت وكيت اذا كان ذلك طريق منافعه ولم يقل الله تعالى ووجدك ضالا عن الدين حتى يصح تعلقهم وقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) يدل على وجوب الشكر لله تعالى على نعمة ظاهرا لاخفية ويدل قوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) على وجوب الاحسان الى السائل إما بالعطية وإما بالبشر والطلاقة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم (اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة).

(سورة ألم نشرح)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) أن ذلك يدل على أن ايمانه من الله تعالى لان شرح صدره انما يقع بالايمان . وجوابنا أن شرح الصدر ليس من الايمان بسبيل وان كان قد يتقدم الايمان ويتبعه والمراد بذلك تكرير الادلة والمعجزات عليه على ما بينه الله تعالى في كتابه في غير موضع وأما قوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) فلا يدل على جواز الكبائر عليه وقد يقال إنه تعالى امتن عليه بامر كان يجوز أن يفعله ولو كان ذلك من الصغائر لم يصح ذلك فيه وجوابنا أن الكبائر لا تجوز على الانبياء والمراد بذلك ما يتفق على وجه السهو من الصغائر والصغائر يضعها الله تعالى ويرفعها وقد يكون ذلك مما لا يجوز في الحكمة أن لا يفعله وقوله تعالى من بعد (الذي أنقض ظهرك) في وصف ماوضعه من الوزر لا يدل على أنه من الكبائر اذ المراد أنه أنزل به الشدائد من حيث يلزمه من التوبة والندامة ما فيه كلفة فأما قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) فمن جملة ما امتن به من النعم لان ذلك مما يقتضى سروراً عظيما وقد ذكر في الخبر أنى لا أذكر الا ذكرت معى كما فى الاذان وغيره .

﴿ سورة والتين ﴾

(مسألة) وربما قيل فى قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) كيف يصح ذلك ونحن نعلم ان فى الصورة المقدور عليها ما هو أحسن من خلق الانسان. وجوابنا ان المراد بذلك البنية التى خص الله تعالى بها الانسان فهى أحسن من سائر البنى التى خلق عليها سائر الحيوانات وان كانت صورة الانسان تتفاوت وتتفاضل .

٥(مسألة)٥ وربما قيل ما معنى قوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أما يدل ذلك على انه رده من الايمان الى الكفر . وجوابنا انا المراد رددناه الى العقاب الذى هو على هذا الوصف اذا تمرد وعصى زجر بذلك العبد عن المعاصى ولذلك قال بعده (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)وهذا الاستثناء لا يليق الا بما قلنا .

(سورة القلم)

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) أليس ذلك يدل على انه أغناه وان أدى ذلك الى الطغيان وهذا هو المفسدة التى تنزهون الله تعالى عن فعلها . وجوابنا انه ليس فى الظاهر انه تعالى فعل ذلك حتى يصح هذا السؤال وقد يجوز ان يقول (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ويغنيه مع ذلك ويجوز ان يقول ولا يغنيه لاجل ذلك ومع ذلك فليس فيه دلالة على انه لو لم يستغن كان لا يطغى بل يجوز ان يطغي على كل حال عند ذلك وعند عدمه فلا يدل على ما قالوه ويجوز ان يكون المراد

يطغى بما يتمكن منه عند الاستغناء ولولا ذلك كان لا يتمكن كالانفاق في وجوه المعاصي فيكون ذلك تمكينا لا مفسدة وهذه الآية تدل على ان العبد يتمكن من الطاعة اذا عصى لانه لا يجوز فى الاستغناء ان يدعوه الى المعصية الا وهو متمكن من الامرين ولو كان ما فيه من الكفر خلقاً لله كان لا يصح ذلك وقوله تعالى من قبل (اقرأ باسم ربك الذى خلق)أحدما استدل به العلماء على أن القرآن مخلوق لانه تعالى ذكر اسم ربه ثم وصفه بأنه خلق فيترجح ان يكون هذا الوصف راجعا اليه وان جاز ان يرجع الى غيره .

(سورة القدر)

٥(مسألة)٥ وربما قيل فى قوله تعالى(انا أنزلناه في ليلة القدر) كيف يصح ان يراد به القرآن ولم يتقدم له ذكر . وجوابنا انه قد تقدم ذكره فى قوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة) وغير ذلك واذا صار الامر معروفا جاز ان يحذف ذكره لعلم التالى به .

٥(مسأله)٥ وربما قيل في قوله تعالي (ليلة القدر خير من ألف شهر) كيف يصح ذلك وهل المراد به خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ونفس الليلة كيف يصح ان تكون خيراً . وجوابنا ان المراد العمل فيها خير من العمل في ألف شهر تخلو عن ليلة القدر وليس في الآية تفصيل ذلك وان هذا الخبر في كل المكلفين أو بعضهم في كل الاعمال أو في بعضها فيحتمل ان يريد انها خير على الجملة للعباد ويحتمل لكل مكلف ويحتمل ان تكون خيراً من ألف شهر لما يفيضه الله فيها من الارزاق والنعم فلا يصح ما سألوا عنه ولذلك أتبعه تعالى بقوله (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) فنبه على ما ذكرناه

(سورة القيمة)

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى(وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا) ما الفائدة في قوله تعالى (حنفاء) واذا عبدوا الله واخلصوا كفى ذلك . وجوابنا ان المراد مستقيمي الطريقة لانهم أمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين على هذا الوجه وقد قيل في الاخلاص ان المراد به تخليص الطاعات من الكبائر فيشهد لما ذكرناه ويجوز ان يراد به وما أمروا الا بذلك على هذا الوجه السهل كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء وهذه الآية دالة على ان كل عبادة من الدين وعلى ان ما يعبد الله به يجب ان يفعل على هذا الوجه وفعله على هذا الوجه دون غيره لا يتم الا والعبد متمكن من فعله على غير هذا الوجه وقوله تعالى (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) يدل أيضاً على ما ذكرنا

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) أليس يدل ذلك على ان في الكفار من ليس بمشرك وكذلك قوله تعالى في أول السورة يدل على ذلك . وجوابنا انه في أصل اللغة المشرك هو الكافر المخصوص الذي يتخذ مع الله شريكا لكن من جهة عرف الشرع أطلق ذلك على كل كافر كما عقل من قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)ومن قوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فلا يمتنع ان يفصل بينهما في بعض المواضع وهذا كما يقال مثله في المسكين والفقير وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) الى قول الله (ذلك لمن خشي ربه) يدل على ان العلماء خير البرية لقوله

(انما يخشى الله من عباده العلماء) وأنت اذا جمعت بين الآيتين ثبت ما ذكرناه

(سورة الزلزلة)

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثال ذرة شراً يره) أليس ذلك يوجب ان الكافر والفاسق اذا فعلا طاعات يريان ثوابها وذلك خلاف قولكم . وجوابنا ان الخير المستحق على الطاعة هو الثواب وانما يستحقه فاعل الخير اذا لم يكن معه معصية أعظم من الطاعة فأما اذا كانت معاصيه من باب الكفر والفسق فلن يرى ذلك لان الوعد والوعيد مشروط بما ذكرنا في الثواب والعقاب وبعد فان من يفعل الخير اذا كانت أحواله سليمة يرى ثوابه واذا كانت غير سليمة باقدامه على المعصية يرى أيضاً التحقيق بذلك من عقابه فيستقيم الكلام على هذا الوجه .

(سورة والعاديات)

•(مسألة)• وربما قيل كيف يصح ان يقول تعالى(ان الانسان لربه لكنود) وليست هذه حال كل انسان . وجوابنا انه تعالى أتى بوصف لهذا الانسان يدل على ان المراد به الخصوص وهو قوله تعالى (وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد) ويحتمل ان يراد ان الجميع كذلك لكن بعضهم يصرف نفسه عما جبل عليه من الهوى والشهوة وبعضهم على خلاف ذلك فيكون الكل داخلين فيه ويكون المراد هذه طريقة من انصرف عن هذا الامر أو أقدم عليه وذلك زجر من الله تعالى عن المعاصي ولذلك قال بعده (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير) واذا تصور المرء في كل ما يأتي

ويذر انه تعالى عالم خبير كان ذلك زاجراً عن المعاصي .

﴿ سورة القارعة ﴾

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأمامن خفت موازينه فأمه هاوية) أليس ذلك يدل على موازين لكل أحد وما معنى قوله (فأمه هاوية) وكيف تكون جهنم اما للبشر . وجوابنا انه ليس هناك ثقل في الحقيقة لان أعمال المكلف قدتقضت وهي مع ذلك عرض لا ثقل فيه وانما أراد بذلك رجحان طاعته على معاصيه فشبه بما يوزن من الاشياء الثقيلة ولا ينكر مع ذلك ان يكون هناك موازين يوزن بها صحائف أعمال العباد فيبين حال من رجح في باب الطاعة وانما قال تعالى (وأمامن خفت موازينه فامه هاوية) تنبيها بذلك على لزوم العقاب له كلزوم الام للشئ وذلك مما اذا تبينه التالي عرف كثرة وجوه الفائدة في هذا الكلام القليل وعرف به مزية القرآن في الفصاحة

(سورة التكاثر)

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) كيف يحسن هذا التكرار . وجوابنا أن المراد بهما مختلف فالمراد بالأول (كلا سوف تعلمون) ماينزل بكم في الدنيا في حال الحياة والممات والمراد بالثاني (ثم كلا سوف تعلمون) ما يكون لكم في الآخرة من ثواب وعقاب وهذا بعث من الله تعالى على التمسك بطاعته وقوله تعالى من بعد (كلا لو تعلمون) المراد به التنبيه على تقصيرهم في المعرفة وذلك خاص ببعضهم وقوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يدل على ان الواجب الشكر لله تعالى على

نعمه وان من لم يفعل يسئل عن ذلك وهذا يدل على قدرته على القيام بحق الشكر والا لم يكن يسأل عنه بل كان يجب ان كان تعالى يخلق فيه كفر النعمة ان يكون سائلا نفسه ومحاسباً لنفسه تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

(سورة والعصر)

•(مسألة)• وربما قيل في قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) كيف يصح ذلك والله تعالى خلقه لينتفع . وجوابنا ان المراد المكلف دون غيره فبين انه لفي خسر الا الذين آمنوا ثم بين صفتهم فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يقتصر على ذلك حتى وصفهم بالنظر في أمر غيرهم لان المكلف كما يلزمه مايخصه من ايمان وعبادة كذلك يلزمه مايتعلق بغيره من أمر بمعروف ونهي عن منكر وتعليم للدين وصرف عن الباطل فلذلك قال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وهاتان الكلمتان قد دخل فيهما كل امر يلزم المرء في غيره وان فسرناه طال القول فيه .

نسخة . حاشية وجدت بخط البشكرى من أصحاب أبي رشيد سألت قاضي القضاة عن الامر الذي يلزم المرء في غيره ماهو قال هو كثير من جملته مايدخل في قوله تعالى «وتواصوا بالحق » والدعاء الى الدين والتوحيد والعدل والانصاف في المعاملات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين ويدخل في قوله (وتواصوا بالصبر) وهو الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر على مايلحق المرء من المحن والشدائد والمصائب من جهة الله تعالى ومن جهة عباده الظلمة بان لايجزع ولا يهلع ولا ينتصف من ظالمه بأكثر من حقه ولا يريده بأكثر مما حده الله فيه ولا يحمله الغضب والجزع على ان يتعدى فيه الى حد ذم فان من الناس من اذا لحقته محنة من ظالم يريد ان يلحق سائر الناس مثل مالحقه ولو تمكن منه ومن التشفي به لفعل وربما سعى به الى السلطان وكل هذا مما نهى الله عنه والواجب على المؤمنين ان يوصي بعضهم بعضا بذلك كما ندب الله اليه وفقنا الله للعمل بما يرضيه ويزلفنا اليه والسلام اه

(سورة الهمزة)

« مسألة » وربما قيل هل يدخل فى قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) غير الكافر أو لا يدخل فيه الا الكفار . وجوابنا ان ذلك محتمل لاجل قوله تعالى (يحسب أنماله أخلده) وذلك مما لايليق الا بالكفار الذين لا يعتقدون في أموالهم انها من قبل الله تعالى فلذلك رجحنا قول من صرف ذلك الى الكفار .

(سورة الفيل)

« مسألة » وربما قيل فيه كيف يصح فى الطير الصغير أن يرسل الحجر فيؤثر في الناس التأثير الذى ذكره الله تعالى فى هذه السورة . وجوابنا أن ذلك يصح من أحد وجهين اما بأن يزيد الله تعالى فى قوة الطيور فلزيادة قوتهم يؤثر ذلك الحجر التأثير العظيم فقد روى ان ذلك الحجر كان ينفذ في الراكب وفي فرسه حتى يخرقهما جميعاً والثانى أن يكون الله تعالى عند رمى الطير كيف يفعل فيه من الانحدار الشديد ما يؤثر هذا التأثير . فان قيل كيف يصح ذلك ولم يكن في الزمان نبي وهذا من المعجزات العظام . وجوابنا انه لا بد من نبى في الزمان يكون هذا الامر معجزة له وقد كان قبل نبينا أنبياء بعثوا الى قوم مخصوصين فلا يمتنع أن يكون هذا الامر ظهر على بعضهم كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى خالد بن سنان ذلك نبي ضيعه قومه وكما قال في قس بن ساعدة انه يبعث يوم القيامة أمة واحدة لقلة من قبل عنه فهذه طريقة الكلام في هذا الباب .

(سورة لايلاف)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فيقوله تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) كيف يصح ذلك ومعلوم أن فيهم من لم يطعمه الله من جوع كالذين يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض وفيهم من لم يؤمنه من خوف كالذين يخافون الفتن وغيرها في تلك البقعة وغيرها . وجوابنا ان قوله تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت) مخصوص لانه راجع الى قوله تعالى (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) فانما ورد في هؤلاء التجار وهؤلاء لا يمتنع أن يكون ماذكره الله تعالى واقعاً فيهم فأطعمهم الله جميعهم من جوع وآمنهم من خوف فان قيل فان كان الله تعالى أطعمهم فيجب أن يكون هو الخالق للأكل فيهم كما يقوله أهل الاجبار . وجوابنا أنه من جهة العادة يقال ان فلانا أطعم القوم اذا مكنهم من الأكل وأباح ذلك لهم فلما كان تعالى أباح لهم التصرف فى التجارات وغيرها ورزقهم من أرباحها ما يكون طعاماً لهم جاز أن يصف نفسه بأنه أطعمهم من الجوع وآمنهم من الخوف ومعلوم أنه قد خص الله تعالى هذه البقعة من الأمن بما باينت به غيرها من البقاع ولم يقل تعالى وآمنهم من كل خوف فورود بعض أسباب الخوف عليهم لا يخرجهم من أن يكونوا قد آمنوا من بعض آخر .

(سورة أرأيت)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) كيف يصح مع السهو والسهو من قبل الله تعالى والساهى معذور فيما سها عنه فكيف يكون له الويل . وجوابنا أن المراد بقوله تعالى (الذين هم

عن صلاتهم ساهون) ليس هو السهو الذى يفعله تعالى فيهم بل هو ما ينالهم من الغفلة لقلة توفرهم على الصلاة وقد أوجب الله تعالى على المكلف أن يتوفر بقلبه و بدنه ولسانه على الصلاة فاذا قصر فى ذلك مع التمكن جاز أن يوصف بأنه سها عن صلاته فهذا هو المراد ولذلك قال تعالى بعده (الذين هم يراؤن و يمنعون الماعون) والمرائي بما يفعله لا يجوز أن يكون ساهيًا على الوجه الذى يكون معذورا معه فى تلك العبادة .

(سورة الكوثر)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فيقوله تعالى (فصل لربك وانحر) ماوجه تعلق النحر بالصلاة حتى يعطف عليها وما وجه تعلق هذا الامر بانعام الله تعالى عليه بالكوثر وجوابنا أنه قد روى عن أمير المؤمنين ان المراد به وضع احدى اليدين على الاخرى عند الصدر ولذلك تعلق بالصلاة لانه أحد ماسن فيها على ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من سنن المرسلين أحدها وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وقد قيل ان المراد بهذا النحر ماله تعلق بالصلاة يوم الاضحى وفي المناسك وقيل انه تعالى ذكر في العبادات ماهو الاشق من الصلاة وأتبعه بما هو الاشق في نفار الطبع .

(سورة الكافرون)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل فى قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) كيف يحسن ذلك فى الحكمة مع التكرار الذى فيه . وجوابنا أنه لا تكرار فى ذلك لان قوله تعالى (لا أعبد ما تعبدون) المراد به في المستقبل وقوله تعالى

(ولا أنتم عابدون ما أعبد) المراد به في الحال (ولا أنا عابد ما عبدتم) المراد به في المستقبل وفي الحال أى لا أعبد ما تقدمت عبادتكم له ومن يعد ذلك تكرارا فمن قلة معرفته وتدبره لانه ينظر الى اللفظ و يعدل عن تأمل المعنى .

(سورة النصر)

﴿ مسألة ﴾ وربما قيل في قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك) ما وجه تعلق الامر بأن سبح بما تقدم ذكره ومعلوم أنه مأمور بذلك في كل حال . وجوابنا أن المراد (فسبح بحمد ربك) لاجل هذه النعمة العظيمة وهي النصر والفتح وتوفر الناس على الدخول في الدين لان كل ذلك من النعم الزائدة على محمد صلى الله عليه وسلم وعند كل نعمة متجددة يجب الشكر المتجدد فأمره الله تعالى بذلك و بالتوبة والانابة لانه ما من حال يجب فيها شكره وتنزيهه الا وتجب معها التوبة وقد قيل ان السورة نزلت آخرا وقد نعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فنبه بهذا الكلام على ما ينبغى أن يتشدد فيه عند مفارقة الدنيا .

﴿ سورة تبت ﴾

« مسألة » وربما قيل فيقوله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) كيف يصح أن يعرفه الله تعالى بانه سيصلى النار وأنه لا يؤمن ومثل ذلك اذا عرفه المرء صار كالصارف عن الايمان والاغراء بالكفر . وجوابنا أن فى العلماء من قال ان هذا الخبر مشروط كما شرط الله تعالى فى الوعد الثبات على الطاعة واجتناب الكبائر وشرط الله تعالى فى الوعيد أن لا يتوب ولا يأتى بطاعة أعظم من معاصيه

واذا كان مشروطا فيجوز أن يؤمن فيخرج عن أن يكون خاسراً وأن يكون ممن يصلى النارقطعاً ومن العلماء من قال يجوز أن يكون مقطوعا به وإعلامه بذلك لعلم الله تعالى فيه أنه لا يؤمن ولا يمنع ذلك من حسن التكليف لانه فى أن لا يؤمن انما يؤتى من قبل نفسه وعلى هذا اختلفوا أيضاً فى تعريف الله له هل هو بأنه لا يؤمن أو بأنه يبقى الى حين .

(سورة الاخلاص)

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (الله الصمد) أليس فى الرواية أنه المصمت الذى لا جوف له وذلك يدل على ما تقوله المشبهة . وجوابنا أن المروى عن ابن عباس أن الصمد السيد والمروى عن الحسن وغيره أنه الذى يصمد اليه فى الحوائج ويفزع اليه في الطلبات وكلاهما من أوصاف الله تعالى التى تمنع من أن يكون جسما لان السيد الذى لا يتقدمه غيره في السؤدد وغيره لا يجوز أن يكون جسما ولان من يفزع في الامور على كل حال لا يجوز أن يكون جسما وفي الخبر أن بعض أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انعت لنا ربك أمن ذهب أم فضة فأنزل الله تعالى هذه السورة و بين لهم فيها فساد ما اعتقدوه لان قوله تعالى (قل هو الله أحد) يتضمن أنه الذى تحق له العبادة وذلك لا يصح الا للقدرة على خلق من يستحق أن يعبده والانعام عليه بالعقل وغيره ثم قال في وصفه إنه أحد ولا يكون واحدا لا عديل له إلا وهو قديم لا يشبه الاجسام ولا مثل له ولا نظير في الالهية والقدم ثم قال تعالى (الله الصمد) فأعاد ذكر الالهية عند وصفه بالفزع اليه في الامور ثم قال تعالى (لم يلد ولم يولد) فبين أن ذلك مستحيل عليه ولو كان جسما لم يستحل عليه ذلك ثم قال تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) ليعلم

أنه لا نظير له ينازعه في الملك وهذا اذا تأمله المرء عرف دخول كل أوصاف الله تعالى من الوحدة والعدل في جملته لان الالهية تقتضى القدرة على الاجسام والفعل والحياة وغيرهما وتقتضى العلم بأن المكلف كيف يعبد وكيف يصل الى الثواب ويقتضى ذلك أنه حى لان القادر العالم يجب أن يكون حيا والحى اذا انتفت عنه الآفات يجب أن يكون سميعا بصيرا مدركا للمدركات ولا بد من أن يكون موجوداً ليصح أن يكون قديما موصوفا بهذه الاوصاف والالهية تفيد الحكمة والحكمة تقتضى أن لا يفعل القبيح فليس لاحد أن يقول كيف يصح فى هذه السورة أن تكون جوابا لقولهم الذى قالوا .

﴿ سورة الفلق ﴾

« مسألة » وربما قيل فى قوله تعالى (من شر ما خلق) إن ذلك يدل على أن الشر من قبله كما أن الخير من قبله . وجوابنا أنه لو كان كما قالوا لوجب أن يكون شريرا لكثرة الشر الذى يقع منه وأن يوصف بأنه من الاشرار فالمراد من شر خلقه فالشر يضاف الى خلقه لا اليه . تعالى الله عن ذلك وفي جملة ما خلق ما يكون الشر منه كالحيات والعقارب وغيرهما وعلى هذا الوجه أمر الله تعالى بأن يتعوذ من شر حاسد إذا حسد ومعلوم أنه ليس يقع منه عند الحسد الا ما يجرى مجرى الحيل ونبه تعالى بذلك على أن الواجب التحذر مما يضر في الدنيا بالقول كما ينبغى أن يتحرز بالفعل وجعل ذلك كالسبب في التحرز من المعاصى لانه اذا شدد فى التحرز من هذه الامور التى تقل مضارها كان التحرز من عقاب الآخرة أقرب .

﴿ سورة الناس ﴾

« مسألة » وربما قيل في قوله تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله

الناس من شر الوسواس) أليس ذلك يدل على أن الشيطان يؤثر في الانسان حتى أمرنا بأن نتعوذ من شره وأنتم تقولون إنه لا يقدر على شئ من ذلك . وجوابنا أنه تعالى بين أن هذا الوسواس من الجنة والناس ومعلوم أن من يوسوس من الناس لا يخبط ولا يحدث فيمن يوسوس له تغيير عقل وجسم فكذلك حال الشيطان ومع ذلك فلا بد في وسوستهم من أن يكون ضرر يصح أن يتعوذ بالله تعالى منه وهذا يدل إذا تأمله المرء على قولنا بان العبد مختار لفعله وذلك لانه تعالى لو كان يخلق كل هذه الامور فيه لم يكن لهذا التعوذ معنى لانه ان أراد خلق مايضره فيه وخلق المعاصى فيه فهذا التعوذ وجوده كعدمه وانما ينفع ذلك متى كان العبد مختارا فاذا أتى بهذا التعوذ كان أقرب الى أن لا يناله من قبل الجنة والناس ما كان يناله لولا ذلك . وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب أن التالى للقرآن يجب أن يتأمل أسماء الله تعالى وأوصافه و يعرف معانيها على الجملة لينتفع بالدعاء والثناء ونحن الآن نذكرها على اختصار فانا ان بسطنا القول فيها كان كتابا مجردا فاعلم أن فى أم الكتاب خمسة أسماء منها قوله الله ومعناه أن العبادة لا تحق الا له من حيث أنعم علينا بما لا يصح الا منه من الخلق والقدرة والآلة والعقل حتى صرنا ممن يصح أن يعبده و يقوم بشكره . ومنها الرب ومعناه المالك لوجوه التصرف فيما هو ربه . ومنها الرحمن ومعناه المتناهى فى الانعام الى الحد الذى لا يصح الا منه . ومنها الرحيم ومعناه المكثر من فعل النعم . ومنها الملك والمالك ومعناه القادر على التصرف فى الاجساد اذا كانت معدومة و بالتقليب من حال الى حال اذا كانت موجودة وعلى هذا الوجه قال تعالى (مالك يوم الدين) و يوم الدين هو يوم القيامة وهو معدوم الآن فأما فى سورة البقرة فأسماء كثيرة . منها المحيط وهذا الاسم حقيقة انما يصح في الاجسام التى تحتوى على

الشئ كاحتواء الظرف على مافيه ويقال ذلك فى الله من حيث يعلم أحوال العباد من كل وجه فيجب أن يريد الداعى بهذه اللفظة ما ذكرنا وانما قال تعالى (والله محيط بالكافرين) ليكون ردعا لهم عن الاقدام على المعاصى . ومنها القدير وذلك حقيقة في الله يفيد المبالغة في القدرة . ومنها العليم وهو المبالغة في كونه عالما ومنها الحكيم و يقال ذلك على وجهين أحدهما بمعنى عالم والآخر بمعنى انه فاعل لحكمة وكل ذلك صحيح . ومنها التواب ومعناه المبالغة فى قبول التوبة من العباد وذلك كالمجاز الذى قد صار بالعرف كالحقيقة . ومنها البصير ومعناه أنه يدرك المبصرات اذا وجدت . ومنها الواسع وذلك مجاز فى الاصل لانه يستعمل في نقيض الضيق فهو حقيقة فى الاجسام فيراد به كثرة رحمته وجودة انعامه وافضاله ومنها البديع والمراد بذلك المبالغة في اختراع الامور من الاجسام وغيرها . ومنها السميع والمراد بذلك أنه يدرك المسموعات اذا وجدت . ومنها الكافي والمراد بذلك أنه متفضل على العباد بمقادير كفايتهم إما بسبب أو بغير سبب . ومنها الرؤوف وفائدته الاكثار من فعل الرأفة . ومنها الشاكر وذلك فى الله مجاز وان كثر فيه التعارف لان الشاكر في الاصل هو المنعم عليه اذا اعترف بالنعمة وذلك محال في الله تعالى فالمراد به أنه مقابل على الشكر بالثواب كما يفعله الشاكر في مقابلة النعم أو يكون المراد أنه المجازى على الشكر وقد يجرى اسم الشئ على ما هو جزاء عليه . ومنها الواحد والمراد بذلك أنه لا ثانى له في قدمه وأوصافه . ومنها الغفور والمراد بذلك أنه لا يفعل بالعصاة اذا تابوا وكانت معاصيهم صغيرة ما يظهر به حالهم فهو مأخوذ من الستر كما يقال ذلك في المغفرة وغيرها وذلك وان كان مجازا في الاصل فقد صار في التعارف كالحقيقة . ومنها الحليم وفائدته أنه لا يتعجل العقوبة بخشية الفوت كما يفعله أحدنا . ومنها القائم والمراد بذلك الدائم الذى

لا يجوز عليه الفناء وهو مخالف لقولنا قائم بمعنى مضاد قاعد . ومنها الباسط والمراد بذلك بسطه النعم والارزاق لخلقه وذلك أيضاً من حيث التعارف كالحقيقة . ومنها الحى والمراد بذلك أنه مباين لما لا يصح أن يكون قادرا عالما . ومنها القيوم وهو مبالغة في دوام الوجود . ومنها العلى والمراد بذلك الرفيع في قدرته وسلطانه . ومنها العظيم والمراد بذلك عظم شأنه في قدرته وعلمه . ومنها الوالى والمراد بذلك توليه لمن يطيعه . ومنها الغني والمراد بذلك نفى وجوه الحاجات عنه مع كونه حيا . ومنها الحميد وهو مبالغة فيما يلزم من الشكر والحمد له ومبالغة في اكرامه لمن أطاعه من عباده . وفي آل عمران أسماء . منها القائم وقد مضى معناه . ومنها الوهاب وفائدته المبالغة في الانعام الذى هو تفضل من الله . ومنها السريع . وذلك كالمجاز في الاصل والمراد به نفى التأخير عن تفضله بالارزاق وغيرها . ومنها المجير . وفي النساء أسماء . منها المقيت ومعناه القيم بالامور . ومنها الوكيل ولا يقال ذلك في الله مطلقا بل يقال هو وكيل علينا . ومنها الحسيب وهو المبالغة في معرفة أحوال الخلق . ومنها الشهيد وهو مبالغة في العلم باحوال المكلفين . ومنها العفو ومعناه معنى الغفور ومنها الرقيب ومعناه المعرفة باحوال الخلق . وفي الانعام أسماء . منها الفاطر ومعناه المخترع للاشياء . ومنها . الظاهر والمراد به القاهر الذى لا يجوز المنع عليه ومنها . القادر والمراد به صحة الافعال . ومنها اللطيف والمراد بذلك المبالغة في اللطف والاحسان الواقعين منه . ومنها الخبير ومعناه أنه عالم بالامور لا يخفى عليه منها خافية . وفي سورة الاعراف المحيي ومعناه فاعل الحياة فينا . ومنها المميت ومعناه فاعل الاماتة وكلاهما نعمة لان الموت وان قطع عن نعمة الدنيا فله حظ عظيم في التوصل به ومعه الى نعمة الآخرة . وفي الانفال المولى والنصير ومعنى الاول الناصر لنا في أمر الدين والدنيا اذا لم يكن ذلك من باب الفساد

والنصير يفيد المبالغة في النصرة . وفي سورة هود الحفيظ وهو مبالغة في دفع الآفات عنا وعلى هذا الوجه نسأل الله أن يحفظنا في السفر والحضر والقريب والمراد به العالم بأحوال العباد وهو في الاصل تشبيه لمن يقرب فيعرف بقربه حال غيره ثم صار كالمتعارف . والمجيب وفائدته أنه يجيب أدعية عباده وينيلهم ما يطلبون من قبله بشرط الصلاح . والقوى والمراد به أنه قادر . والمجيد والمراد به أنه كريم عزيز وعلى هذا الوجه وصف تعالى القرآن بانه مجيد . والودود والمراد به المبالغة في محبة من أطاعه وارادة الاحسان اليهم . والفعال وهو مبالغة في الاكثار من الفعل لكنه يقل دخوله في الاسماء التى تجرى مجرى الثناء الا انه يقبل وفي سورة الرعد . الكبير المتعال والمراد بالاول أنه عظيم الشأن في قدرته وعلمه والمراد بالثاني أنه منزه عما لا يليق به . وفي الحجر . الخلاق والمراد به المبالغة في الاكثار من الخلق وفي مريم . الصادق والمراد به اثبات أخباره صدقا . والوارث والمراد بذلك عود النعم التي ملكها العباد الى أن تكون ملكا لله . وفي الحج . الباعث والمراد به بعثه الرسل والى الرسل وبعثه بعد الاماتة ليوم الحشر وفي سورة المؤمنين . الكريم والمراد به انه عزيز أو المراد به الاكثار من فعل الكرم . وفي سورة النور . الحق وهو في الأصل مجاز لانه حقيقة فيما يضاد الباطل من الاعتقادات والمذاهب وغيرها فانما يوصف تعالى بذلك على وجه المجاز ويراد به أن الحق من قبله وانه لا باطل في أفعاله أو يراد به أنه مما لا يجوز ان يفنى . فيجب ان يبقى وفي هذه السورة . المبين والمراد به الفاعل لما به يتبين الخلق أحوال الاشياء وأحكامها . ومنها النور وذلك مجاز ولا يجوز ان يستعمل في الله تعالى على حقيقته لقوله (الله نور السموات) فان معناه منورها بما خلقه من شمس وقمر أو يكون المراد به انه بالادلة قد صير ما دل عليه منكشفا كما ينكشف الشئ بالنور وفي الفرقان . الهادى والمراد بذلك انه

فعل هداية الخلق ليفصلوا بين الحق والباطل وفي سبأ . الفتاح والمراد به انه يفتح لخلقه طريق الخير والمعرفة ويفتح عليهم بالنصرة ماطلبوا منه وفي المؤمن . الغفار ومعناه ماتقدم في غفور وفيه القابل ومعناه قبوله للطاعات والتوبة ومجازاته عليهما . وفيه الشديد وذلك مجاز لأن أصله الصلابة في الاجسام فقيل في الله تعالى لشدة عقابه على وجه الردع . وفي الذاريات . الرزاق وفائدته المبالغة في فعل الرزق وفيه ذوالقوة ومعنى ذلك انه قادر قوي . وفيه . المتين وذلك مجاز لان المتانة انما تصح في الاجسام الشديدة فلا يجوز اطلاق ذلك على حقيقته وفي الطور البر والمراد بذلك ا كثاره من فعل البر والانعام على خلقه . وفي اقتربت . المليك ومعناه معنى ملك ومالك على ماقدمنا . وفيه المقتدر ومعناه المبالغة في قدرته على الاشياء . وفي سورة الرحمن . الباقي والمراد انه لايجوز عليه تجدد الوجود والحدوث أبدا لم يزل ولا يزال . وفيها . ذوالجلال ومعناه معنى قولنا عظيم وكبير وجليل وفيها . ذوالاكرام ومعناه انه فاعل لذلك وانه يليق به ماتأتيه من المدح والثناء عليه . وفي الحديد . الاول والمراد به الموجود قبل كل موجود . والآخر والمراد به الموجود بعد الموجودات كلها . والباطن والمراد به انه عالم بالسر والظاهر وقد مضى معناه في سورة الانعام . وفي الحشر . القدوس وفائدته المبالغة في تنزيهه عما لا يليق به . والسلام والمراد به ان السلامة من قبله وهو مجاز في الاصل . والمؤمن والمراد به انه أمن غيره من الخوف وغيره وفيه . المهيمن ويقرب معناه مما ذكرنا وفيه . العزيز والمراد به انه لايضام ولايمنع من مراده وفيه . الجبار والمراد به انه يقهر غيره ولا يصح ان يقهره وفيه . المتكبر والمراد به المبالغة في صفات المدح وذلك كالذم فينا لانا اذا تكبرنا صورنا أنفسنا بحالة أرفع مما نحن عليه ولا حال يليق بالله تعالى الا ولا حال أرفع منه وفيه . الخالق والمراد

به ايجاده للمخلوقات وفيه . البارئ ومعناه ابتداعه لما خلق وفيه . المصور والمراد به فعله لهذه الصور العجيبة وفي البروج . المبدئ المعيد . والمراد بالاول انه تعالى المبتدئ بالخلق . والمراد بالثاني انه بعد الفناء يعيدهم . وفي الاخلاص الاحد . معناه ما قد ذكرنا والصمد وقد ذكرنا معناه قال وهذه الاسماء وغيرها مما لم يذكر فانما يذكر في الدعاء وفي مقدمات ما يطلب من قبل الله تعالى ليكون الدعاء أقرب الى الاجابة وقد ندب المرء الى ذلك يدل على قيام

سير

يادعية اذا كان له سطر

في ذلك وهو وان كان في أسمائه

(بياض بالاصل)

لو قال قائل يا الله يا رحمن اغفر

ذنوبنا لحسن ولو قال يا موجود ياشئ لقبح ذلك . وانما يحسن أيضاً من المرء أن يطلب من الله ما يحسن أن يفعله دون ما يكون فسادا فالداعي يجب أن ينوي ذلك ويقصده أو يظهر ذلك بكلام فلو قال الداعي اللهم ارزقني أولادا وفي المعلوم أنه ان رزق يرهقونه طغيانا وكفرا لم يحسن ذلك فيجب أن ينوي ان لم يكن فسادا في دينه وكذلك القول في سائر ما نطلبه من الله تعالى وعلى هذا الوجه لايحسن منا أن نقول اللهم اغفر للكفار والفساق ويحسن ذلك في المؤمنين وعلى هذا الوجه قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) في قوله (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) وعلى هذا الوجه أيضاً قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وكذلك القول فيما يتصرف فيه لان التاجر يجب أن يطلب الربح في تجارته بشرط

أن لا يكون فسادا وكذلك الحراث والمحترف فالفعل في ذلك اذا كان يطلب بدعاء
والدعاء . ويجب للداعي أن
كذا وجب أيضاً أن يعرف نفس الشيء
(بياض بالاصل) تعالى هو محال أو
الخلق بالقرآن

ويليه ما ثبت في السنة

قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هـذا باطلا) مدحهم فانه تعالى على تفكرهم فبين أنه ينبغي أن ينظروا ليعلموا أنه تعالى ما خلق ذلك باطلا ليصح منهم هذا القول وليصح منهم أن يقولوا سبحانك فقنا عذاب النار لان ذلك تنزيه به عما لا يليق به فيجب أن تتقدم المعرفة في ذلك . وانما عظم شأن القرآن لا لانه يتلى ويحفظ فرب صبي لم يبلغ حد كمال العقل يسابق الكبار من العقلاء فى حفظه وانما عظم ذلك من حيث اذا تدبره المرء وتمسك بآدابه وأحكامه عظم نفعه دينا ودنيا . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب والحمد لله على نعمه ما ينبه من نظر فيه على عظم شأن القرآن من أدلة على معرفته وعلى معرفة عدله ومن ضروب من التنبيه على ما أودعه من وعظ وتذكير وانذار وتبشير ووعد ووعيد وذكرنا أيضاً على وجه الاختصار ما يعرف به عظيم الغلط ممن طعن فى القرآن بذكر الشبه
ما ظن أنه بخلاف الحكم
(بياض بالاصل) أن يدعوا (بياض بالاصل)
ثبت قول وعمل

مقدمة التفسير

« للعلامة الشهير »

أبي القاسم الراغب الاصفهانى

رحمه الله تعالى

آمين

(طبعت على نفقة راجى عفو ربه الكريم)



صاحب المكتبة الازهرية

(الطبعة الاولى سنة ١٣٢٩)

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ٠ وصلى الله على النبيّ وأوليائه . ونسأله أن يجعلنا ممن ابتدأه بفضله ونعمته ، وأعقبه برأفته ورحمته ، وأن يجعلنا ممن أسبل عليه نور عصمة الأنبيا ٠٠ وحصن قلوبهم بطهارة النقاء ٠ انه لطيف لما يشاء ٠ (قال) الشيخ أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى القصد فى هذا الاملاء إن نفس الله فى العمر ووقانا من نوب الدهر وهو مرجو أن يسعفنا بالامرين أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتا بارعة تنطوى على تفصيل ما أشار اليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم من السلف المتقدمين رحمهم الله مجملة ونبين من ذلك ما ينكشف عنه السر و يثلج به الصدر وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سعينا مسعودا ٠ وفعلنا فى الدين محمودا ٠ فمنه يستجلب مبدأ التوفيق ومنتهاه ٠

﴿ فصول لابد من بيانها فى مبدإ الكتاب ﴾

فصل فى بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلا المفرد والمركب . الكلام ضربان مفرد ومركب فالمفرد المسمى بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحى سمى بذلك فأما بالوضع الاوّل فكله يسمى اسما و يحق أن صار ثلاثة أقسام فان الكلام إما أن يكون مخبرا عنه وهو الملقب بالاسم وإما خبرا وهو الملقب بالفعل و إما رابطا بينهما وهو الملقب بالحرف والقسمة لا تقتضى غير ذلك وما كان من الخبر نحو فاعل ومفعل والبصريون يسمونه اسما اعتبارا

باحكام لفظية لأنه يدخله ما يدخل الاسماء من التنوين والجر وحروفه والألف واللام و يخبر عنه والكوفيون يسمونه الفعل الدائم أما الفعل فاعتبارا بالمعنى وهو ان قائما فيه معنى يقوم وأما الدائم فلأنه يصلح للازمنة الثلاثة وان كان الحال أولى به فى أكثر المواضع والاصل فى الالفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني لكن ذلك لم يكن فى الامكان إذ كانت المعاني بلا نهاية والالفاظ مع اختلاف تركيبها ذات نهاية وغير المتناهى لا يحويه المتناهى فلم يكن بد من وقوع اشتراك في الالفاظ ٠ ويجب أن يعلم أن للفظ مع المعني خمس أحوال الأوّل أن يتفقا فى اللفظ والمعنى فيسمى اللفظ المتواطئ نحو الانسان اذا استعمل فى زيد وعمرو والثانى أن يختلفا فى اللفظ والمعنى و يسمى المتباين نحو رجل وفرس الثالث أن يتفقا فى المعنى دون اللفظ و يسمى المترادف نحو الحسام والصمصام الرابع أن يتفقا فى اللفظ و يختلفا فى المعنى و يسمى المشترك والمتفق نحو العين المستعملة في الجارحة ومنبع الماء والديدبان وغير ذلك والخامس أن يتفقا فى بعض اللفظ و بعض المعنى و يسمى المشتق نحو ضارب وضرب والذى يقع فيه الاشتباه من هذه الخمسة الالفاظ المشتركة والالفاظ المتواطئة هل هي عامة أو خاصة والمشتقة ثم اشتق كقولهم النبي والبرية منهم من قال من أنبأ وبرأ فتركت الهمزة ومنهم من قال من النبوة وهى الربوة ومن البرا وهو التراب ٠

﴿ فصل في أوصاف اللفظ المشترك ﴾

اللفظ انما يحصل فيه التشارك بأن يستوى اللفظان فى ترتيب الحروف وعددها وحركاتها و يختلفا فى المعنى نحو عين وكلب فأما إذا اختلف ترتيب الحروف نحو حلم وحمل أو العدد نحو القنا والقنا وقدر وقدر أو الحركة نحو قدم وقدم أو لم يختلفا فى المعنى نحو الانسان اذا استعمل فى زيد وعمرو فليس شئ من ذلك من الاسماء

المشتركة فان الذى اختلف فى العدد ربما كان من المشترك نحوضارب وضرب وربما كان من المتباينة نحو القنا والقنابل وربما كانت الكلمة صورتها صورة المشترك فى اللفظ وتكون من المشتقة لاختلاف تقديرها نحو المختار اذا كان فاعلا فان تقديره مختعل واذا كان مفعولا فان تقديره مفتعل وكذا فلان منحل وأمر منحل فيه والفلك اذا كان واحدا كقفل واذا كان جمعا فانه كوثن وناقة هجان وامرأة ضناك فانها كحمار ونوق هجان كقوم كرام وعلى ذلك هم يغزون نحو يخرجون وهن يغزون نحو يخرجن وأنت تعضين نحوتشتمين وأنتن تعضين نحو تشتمن ونحو دبر مصدر دبر وجمع الدابر نحو ركب وكثيرا ما يلتقى فرعان للفظين متفقين فى الصيغة وهما مختلفان فى المعنى نحو المصباح لما يشرب منه الصبوح وما يشتق من صبحت أى أسرجت واشتكى لاظهار الشكوى ولاتخاذ شكوة اللبن .

(فصل) الاشتراك في اللفظ يقع لاحد وجوه إما أن يكون في لغتين نحو الصقر للبن اذا بلغ غاية الحموضة في لغة أكثر العرب والصقر للدبس في لغة أكثر أهل المدينة و إما أن يكون أحدهما منقولا عن الآخر أو مستعارا والفرق بينهما أن المنقول هو الذى ينقله أهل صناعة ما عن المعنى المصطلح عليه أولا إلى معنى آخر قد تفردوا بمعرفته فيبقى من بعد مشتركا بين المعنيين وعلى ذلك الالفاظ الشرعية نحو الصلاة والزكاة والالفاظ التى يستعملها الفقهاء والمتكلمون والنحويون . وأما المستعار فالاسم الموضوع لمعنى فتستعيره لمعنى آخر له اسم وضعى غيره فتستعمله فيه لمواصلة توجد بين المعنيين كتسمية الشجاع بالاسد والبليد بالحمار والفرق بين حكم المنقول والمستعار أن المنقول شرطه أن يتبع فيه أهل تلك الصناعة والمستعار لكل واحد أن يستعين فيستعمله إذا قصد معنى صحيحا فيكون متضمنا المعنى

التشبيه نحو أن تقول ركبت برقا فتعني به فرسا كالبرق سرعة ورأيت بحرا أى سخيا كالبحر وأما المشتق فشرطه أن يشارك المشتق منه فى حروفه الاصلية و يوجد فيه بعض معناه و يخالفه اما فى الحركات نحو ضرب وضرب أو فى الزوائد من الحروف نحو ضرب وضارب واستضرب أو في التقدير نحو المختار اذا كان فاعلا أو مفعولا وسائر ما تقدم فقد بان بهذه الجملة أنواع مفردات الالفاظ وما يقع فيه الاشتباه . وأما المركب من اللفظ فما ركب من هذه الثلاثة والتركيب على ضربين تركيب يحصل به جملة مفيدة وذلك اما من اسمين أومن اسم وفعل أو تقدير ذلك وتركيب لايحصل به ذلك ويكون اما من اسمين يجعلان واحدا نحو خمسة عشر و بعلبك أو اسم مضاف الى اسم نحو عبد الملك أواسم وفعل نحو تأبط شرا أو اسم وصوت نحو سيبويه أو فعل وحرف نحو هلم أو حرفين نحو انما أومن جمل من الكلام وذلك لا يكون الا بحذف بعضها نحو بسملة وحيعلة وحوقلة في قولهم بسم الله وحى على الصلاة ولا حول ولا قوة الا بالله وجميع مايقع فيه الشبه من الكلام المركب لايخلو اما ان يكون لشئ يرجع الى مفردات الكلام وذلك على التفصيل المتقدم واما لشئ لايرجع الى ذلك وذلك لايخلو اما ان يكون من جهة المعنى أو من جهة اللفظ فاما ما كان من جهة المعنى فلا سبيل الى ازالته بتعيين العبارات وذلك ان المعانى ضربان جلى وغامض فالجلى مايمكن ادراكه بادنى تأمل كقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) وقوله تعالى (قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم انلاتشركوا بهشيئا) الى قوله (ذلكم وصاكم بهلعلكم تتقون) وأما الغامض فعلى ثلاثة أضرب الاول ان يكون المعنى فى نفسه خفيا نحو الكلام في صفات البارئ سبحانه ونفى التشبيه عنه والثانى ان يكون

الكلام أصلا يشتمل على فروع تتشعب منه كالآيات الدالة على الاحكام الثالث ان يكون مثلا دائما كقولهم في الصيف ضيعت اللبن وذلك لان ظاهره ينبئ عن شئ والمقصود غيره وذلك فى القرآن كقصة موسى مع الخضر فى كسر السفينة وقتل النفس الزكية بغير نفس واقامة جدار من غير نفع ظاهر وكقصة الخصمين اذ دخلوا على داود ففزع منهم وكقوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم واللفظ أيضاً ضربان لفظ جلى وهو ان يقع كيفيات اللفظ وكمياته على حسب مايجب نحو الحمد لله رب العالمين ولفظ غامض وذلك من ثلاثة أوجه إما من جهة الكيفية وذلك بتقديم مايقدر تأخيره أو تأخير مايقدر تقديمه نحو قول الشاعر .

وما مثله فى الناس الا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

وعلى ذلك قوله تعالى (لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا) واما من جهة الكمية وذلك اما من جهة البسط فى الكلام أو من جهة الحذف والايجاز فما كان من جهة البسط فكقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق) الآية وكقوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) وما كان من جهة الايجاز والحذف فكقوله (ولكم فى القصاص حياة) واما من جهة الاضافة وذلك بحسب اعتبار حال المخاطب نحو قولك افعل فى الطلب والشفاعة والامر .

(فصل) فى الآفات المانعة المخاطب من فهم مراد المخاطب الآفات المانعة من ذلك ثلاثة الاولى راجعة الى الخطاب اما من جهة اللفظ أو من جهة المعنى

وقد تقدم ذلك والثانية راجعة الى المخاطب وذلك لضعف تصوره لما قصد الانبياء عنه أو قصور عبارته عن تصوير ما قصد الانبياء عنه وخطاب الله عز وجل منزه عنها والثالثة راجعة الى المخاطب وذلك اما لبلادة فهمه عن تصور أمثال ذلك من المخاطبة واما لشغل خاطره بغيره وذلك وان كان موجودا فى بعض المخاطبين بالقرآن فغير جائز ان يشمل كافة المخاطبين اذ من المستبعد ان يكون الناس قاطبة لايفهمونه .

(فصل) فى عامة ما يوقع الاختلاف ويكثر الشبه وذلك ثلاثة أشياء حق العالم ان يعنى بتهذيبها وسد الثلم المنثقبة عنها أحدها من جهة الناظرين وذلك كنظر فرقتى أهل الجبر والقدر حيث اعتبر أهل الجبر السبب الاول فقالوا الافعال كلها من جهة البارئ سبحانه وتعالى اذ لولاه لم يوجد شئ منها . وقال أهل القدر ان الممكنات من جهتنا حيث اعتبروا السبب الاخير وهو المباشر للفعل دون السبب الاول والثالث اختلاف نظر الناظرين من اللفظ الى المعنى أو من المعنى الى اللفظ وذلك كنظر الحطابى الى اللفظ فى اثبات ذوات الاشياء ونظر الحكماء من ذوات الاشياء الى الالفاظ وذلك نحو الكلام في صفات البارى عز وجل فان الناظر من اللفظ وقع عليه الشبهة العظيمة في نحو قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) وقوله (تجرى بأعيننا) وما يجرى مجراه وأهل الحقائق لما بينوا بالبراهين ان الله تعالى واحد منزه عن التكثير فكيف عن الجوارح بنوا الالفاظ على ذلك وحملوها على مجاز اللغة ومساغ الالفاظ فصينوا عما وقع فيه الفرقة الاولى .

(فصل) في أقسام ماينطوى عليه القرآن من أنواع الكلام وقد تقرر ان أنواع الكلام المركب الخبر والاستخبار والامر والنهى والطلب والشفاعة والوارد فى كلام الله تعالى من ذلك الخبر والامر والنهى وذلك ان علام الغيوب

لايحتاج الى الاستخبار وكل ماورد من ألفاظ الاستخبار فعلى الحكاية أوعلى الانكار والتوبيخ والمولى لايطلب من عبده ولا يتشفع اليه فاذن هذه الثلاثة ساقطة من القرآن والخبر ماينطلق عليه الصدق والكذب وخاصيته ان يتعلق بالازمان الثلاث والامر والنهى لا ينطلق عليهما ذلك ولا يتعلقان الا بالمستقبل وفائدة الخبر ضربان. أحدهما القاء ماليس عند المخاطب اليه ليتصوره نحو أمور الآخرة من الثواب والعقاب. والثانى القاء ماقد تصوره ليتأكد عنده وعلى ذلك جميع ماورد في القرآن مما قد علم بالعقل مثل (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) وفائدة الامر والنهى شيئان أحدهما حث المخاطب على اكتساب محمود واجتناب مذموم والثانى حثه على الوجه الذى به يكتسب المحمود ويجتنب المذموم المقررين عند المخاطب والغرض الاقصى من الخطاب الخبرى ايصال المخاطب الى الفرق بين الحق والباطل ليعتقد الحق دون الباطل ومن الامر والنهى ان يفرق بين الجميل والقبيح ليتحرى الجميل ويجتنب القبيح فكل خبر إما ان يكون معربا عما يلزم اعتقاده فيسمى الخبر الاعتقادى وذلك نحو ماينطوى عليه قوله « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » الآية واما ان يكون منبئا عما يقتضى الاعتبار به فيسمى الخبر الاعتبارى كاخبار الانبياء وأممهم والقرون الماضية والاخبار عن خلق السموات والارض. وكل أمر ونهى فاما ان يكون أمرا بما يقتضى العقل حسنه ونهياً عما يقتضى العقل قبحه فيسمى الاوامر والنواهى العقلية أو أمرا بما تقصر عقولنا عن معرفة حسنه ونهياً عما تقصر عقولنا عن معرفة قبحه فيسمى الاوامر والنواهى الشرعية. والفرق بين العقلى منها والشرعى ان العقلى لايتغير على مرور الايام ولا ينسخ في شئ من الازمان والشرعى مايتسلط عليه النسخ والتبديل بحسب مايتعلق به من المنافع

﴿ فصل فى كيفية بيان القرآن ﴾

اعترض بعض الناس فقال كيف وصف القرآن بالبيان فقال تعالى (هذا بيان للناس) وقال « يبين الله لكم ان تضلوا » وقال « بلسان عربى مبين » وقال « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات » وقد علم مافيه من الاشكال والمتشابه وما يجرى مجرى الرموز نحو قوله تعالى « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وقوله « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » وقد وصفه تعالى بالمتشابه وبأنه لا يعلم تأويله الا هو. فالجواب ان البيان المشترط فيه انما هو بالاضافة الى أعيان أهل الكتاب لا الى كل من يستمعه ممن دب ودرج فقد علمنا ان ذلك ليس ببيان لمن ليس من أهل العربية ثم أحوال أهل العربية مختلفة فى معرفته ولو كان البيان لا يكون بيانا حتى يعرفه العامة لأدى الى ان يكون البيان فى كلام السوقى العامى أولى ان لا يكون بيانا بوجه اذ كل كلام بالاضافة الى قوم بيان وبالاضافة الى آخرين ليس ببيان وقد علم ان قوله تعالى « واما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » وقوله « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » من أشرف كلام ولا حظ فى معرفته لمن لم يتوفر نصيبه من البلاغة وكذلك قول الشاعر

« فاقطع لبانة من تعرض وصله »

وقول الآخر

وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

من أفصح كلام ولا يعرفه جميع الانام ثم ان القرآن وان كان في الحقيقة هداية للبرية فانهم لن يتساووا في معرفته وانما يحظون به بحسب درجاتهم واختلاف

أحوالهم فالبلغاء تعرف من فصاحته والفقهاء من أحكامه والمتكلمون من براهينه العقلية وأهل الآثار من قصصه ما يجهله غير المختص بفنه وقد علم أن الانسان يقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه وعلى ذلك أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها كما سمعها حتى يؤديها إلى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع.

﴿ فصل في الفرق بين التفسير والتأويل ﴾

الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لاظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عن البول تفسرة وتسمى بها قارورة الماء وجعل السفر لابراز الاعيان للابصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح وسفرت البيت اذا كنسته والتأويل من آل يؤل اذا رجع والتفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الالفاظ والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الالهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الالفاظ والتأويل أكثره يستعمل في الجمل فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الالفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في تبيين وشرح كقوله (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وأما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى « انما النسيء زيادة في الكفر » وقوله تعالى « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » الآية وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق

دين الحق تارة وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظة وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود. والتأويل نوعان مستكره ومنقاد فالمستكره ما يستبشع اذا سبر بالحجة ويستقبح بالتدليات المزخرفة المزوجة وذلك على أربعة أضرب الأول أن يكون لفظ عام فيخصص في بعض ما يدخل تحته نحو قوله تعالى « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » حمله بعض الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقط والثاني أن تلفق بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجا بقوله تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » وقد قال تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » فدل بقوله أمم أمثالكم أنهم مكلفون كما نحن مكلفون والثالث ما استعين فيه بخبر مزور او كالمزور كقوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » قال بعضهم عني به الجارحة مستدلا بحديث موضوع والرابع ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة كما قاله بعض الناس في البقر أنه انسان يبقر عن أسرار العلوم وفي الهدهد انه انسان موصوف بجودة البحث والتنقير فالأول أكثر ما يروج على المتفقهة الذين لم يقووا في معرفة الخاص والعام والثاني على المتكلم الذي لم يقو في معرفة شرائط النظم والثالث على صاحب الحديث الذي لم يتهذب في شرائط قبول الاخبار والرابع على الأديب الذي يتهذب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات والمنقاد من التأويل مالا يعرض فيه البشاعة المتقدمة وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين في العلم لاحدى جهات ثلاث إما لاشتراك في اللفظ نحو قوله تعالى « لا تدركه الابصار » هل هو من بصر العين أو من بصر القلب أولا مر راجع إلى النظم نحو قوله تعالى « وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا » هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف أو مردود اليه والى المعطوف عليهما وإما الغموض

المعنى ووجازة اللفظ نحو قوله تعالى « وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم » والوجوه التي يعتبر فيها تحقيق أمثالها أن ينظر فان كان ما ورد فيـه ذلك أمرا أو نهيا عقليا فزع فى كشفه إلى الادلة العقلية فقد حث تعالى على ذلك فى قوله تعالى « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » وان كان أمرا شرعيا فزع فى كشفه الى آية محكمة أوسنة مبينة وان كان من الاخبار الاعتقادية فزع الى الحجج العقلية وان كان من الاعتبارية فزع الى الاخبار الصحيحة المشروحة فى القصص .

﴿ فصل في الوجوه التي بها يعبر عن المعنى ويبين بها ﴾

لما كان المعنى الواحد يقرب من الافهام بعبارات مختلفة لاغراض متفاوتة وجب أن يبين الوجوه التي منها تختلف العبارات عن المعنى الواحد فالمعنى الواحد قد يدل عليه بأشياء كثيرة إما باسمه نحو إنسان أو نسبه نحو آدمى و ولد حواء أو بأحد خصائصـه اللازمة له نحو المنتصب القامة أوالماشى برجليـه أوالعريض الاظفار وأما بفصله اللازم كقولك الناطق المائت وكما يبين الشئ بأوصاف كثيرة كذلك قد يبين بأسماء كثيرة متضمنة لاوصاف مختلفة كقولهم فى الجرم العلوى السماء لما اعتبروا ارتفاعها بالاضافة إلى الارض والجرباء لما اعتبروا نجومها وأنها كجرب فى الجلد والخلقاء والملساء لما اعتـبروا حالها عند فقدان نجومها والرقعاء لما اعتبروا ظهورشبه الرقاع فى المرقع والخضراء لما اعتبروا لونها وعلى ذلك قولهم فى المرءة الزوج لما اعتـبرت بازدواجها بالرجل والظعينة لما اعتبر ظعنها معه والقعيدة لما اعتبرت بقعودها في البيت أو بكونها مطية له كالقعود من الجمال والقعدة من الافراس ألا ترى أنها سميت مطية في قول الشاعر .

معطيات السرور فويق عشر ٭ إلى عشرين ثم قف المطايا

وحلية اذا اعتبر حلولها معه أو حل الأزرار له وذلك يفعل لاحد أمرين إما لانّ الشئ في نفسه لا يمكن ابرازه الا بالعبارات الدالة على أوصافه كمعرفة الله عز وجل لما صعبت لم يكن لنا سبيل اليها الا بصفاته وكأن الله تعالى جعل لنا أن نصفه بهذه الاوصاف لتكون لنا ذريعة إلى معرفته اذ لا سبيل لنا اليها الا استدلالا بأوصافه وأفعاله ولذلك قال موسى عليه السلام لما سأله فرعون (وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما) ولما قال له (فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) فلم يجبه عن الماهية لما كان البارى تعالى منزها عنها وأحاله إلى صفاته الكثيرة . واما لان الشئ له تركيبات وأحوال فيجعل له بحسب كل واحد منها اسم كما تقدم في أسماء السماء و بحسب ذلك قال عليه الصلاة والسلام سميت محمدا وأحمد وخاتما وحاشرا وعاقبا وماحيا لانه محمود وحامد وخاتم الانبياء وحاشر لانه بعث مع الساعة (نذير لكم بين يدى عذاب شديد) وعاقب لانه عقب الانبياء وماح لانه محى به سيئات من اتبعه .

﴿ فصل فى الحقيقة والمجاز ﴾

الحقيقة مشتقة من الحق والحق يستعمل على وجهين . أحدهما في الموجود الذى وجوده بحسب مقتضى الحكمة نحو قولنا الموت حق والبعث حق والحساب حق والثانى للاعتقاد المطابق لوجود الشئ فى نفسه أو فى القول المطابق لمعنى الشئ الذى هو عليه نحو أن يقال ان اعتقاد فلان فى البعث حق وقوله فى الثواب والعقاب حق و يضاد الحق الباطل واذا فهم الحق فهم الباطل لان العلم بالمتضادين واحد . وأما الحقيقة فانها تستعمل فى المعنى تارة وفى اللفظ تارة فأما استعمالها فى المعنى تارة

فعبارة عما ينبئ عن الحق ويدل عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لحارثة لما قال أصبحت مؤمنا حقا قال لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك أى ماالذى ينبئ عن ذلك و يستعمل فى العمل والاعتقاد والخبر فيقال هذا فعل وخبر وقول له حقيقة ويستعمل في ضدها المجاز والتسمح والتوسع فيقال هـذا فعل واعتقاد وخبر فيه تجوز وتسمح وتوسع ولا فرق بين أن يكون مثل هذا الخبر بلفظ مجاز أو لفظ حقيقة فى أنه يقال هو حقيقة اذا كان مطابقا لما عليه الشئ في نفسه واذا استعملت في اللفظ فالمراد به اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة من غير نقل ولا زيادة ولا نقصان والمجاز على العكس من ذلك وكلاهما ضربان . أحدهما في مفردات الالفاظ . والثاني في الجمل فالمجاز في المفردات إما أن يكون بنقل نحو فلان عظيم الحافر ويراد به القدم أو بزيادة نحو أنظور في أنظر وارأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أو نقصان نحو (رس المنا بمتالع فابان) أى المنازل وربما يكون اللفظ الواحد من وجه حقيقة ومن وجه مجازا نحو قولهم فلان عظيم الاقدام فمن حيث استعمل القدم حقيقة ومن حيث أتى بلفظ الجمع مجاز . وأما المجاز في الجمل فمن حيث هي جملة لا يكون الا بحذف أو زيادة أما الحذف فما كان المحذوف منه شيئا مستغنى عنه لدلالة عليه فكذلك من الايجاز نحو حذف المخبر عنه تارة والخبر تارة والمضاف تارة والمضاف اليه تارة والمفعول تارة والفاعل تارة وأمثلتها مشهورة يستغنى عن ذكرها وأما الزيادة فلا شبهة أن كل زيادة تقتضي زيادة معنى أو بسط مختصر أو شرح مبهم فانها مستحسنة متى حصل فيها شرائط البلاغة نحو ذكر جبريل وميكائيل ثم ذكر الملائكة وذكر النخل والرمان بعد ذكر الفاكهة ولذلك ما كان من نحو زيادة اللام في شكرته وشكرت له وأما المستنكر المستكره عند أكثر المحصلين فكل زيادة أدعي فيها أن وجودها وعدمها سواء

كما زعم بعضهم أن ذلك كالكاف في قوله تعالى « ليس كمثله شئ » والوجه في قوله تعالى « فأينما تولوا فثم وجه الله » أى الله وقوله تعالى « بسم الله » أى بالله وقوله تعالى « ما منعك أن لا تسجد » أى أن تسجد وكل ذلك يجئ الكلام عليه في مواضعه في أنها ليست بزائدة وأن لها معاني صحيحة و بعض الناس تحروا في آيات ذكرها الله تعالى على سبيل المثل تطلب الحقائق ورأوا أن ذلك المعنى اذا لم يكن له وجود على سبيل الحقيقة كان كذبا وذلك في نحو قوله تعالى « خصمان بغى بعضنا على بعض » وقول ابراهيم عليه السلام « بل فعله كبيرهم هذا » حتى ان بعضنا حمل قول النبي عليه الصلاة والسلام أن ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها يماحك بها عن دينه قال اني سقيم وهـذه أختي و بل فعله كبيرهم على الحقيقة وخفي عليه أن المذكور على وجه المثل اذا تحرى به معنى صحيح لم يكن كذبا كما يقال لمن وقع منه تضييع أمر . الصيف ضيعت اللبن . وأنكر بعضهم قول المفسرين ان هذا كذا مضمر وقال الاضمار انما يستعمل فيمن له قلب وخاطر والله تعالى منزه عن ذلك وليس يراد بالاضمار هذا المعني وانما يعني أن بنية الكلام تؤدى معنى ذلك عن غير نطق به نحو قولهم . احشفا وسوء كيلة . فان هذا الكلام يقتضى أتجمع عليّ و به مضمون الكلمة وذلك معلوم للسامع .

(فصل في العموم والخصوص من جهة المعنى)

وذلك ثلاثة أضرب عام مطلق وهو الجنس نحو قولنا الحيوان أو الحبوب وخاص مطلق مثل زيد وعمرو وهذا الرجل وعام من وجه خاص من وجه نحو الانسان فانه بالاضافة الى الحيوان

خاص و بالاضافة الى زيد وعمر وعام والعام اذا حمل على الخاص صدق القول نحو زيد انسان وحيوان والانسان والخاص اذا حمل على العام كذب نحو الحيوان انسان والانسان زيد الا اذا قيد لفظاً أو تقديرا فيقال هذا الانسان زيد أو الانسان زيد و يجعل الالف واللام للعهد لا للجنس أو يراد ان معنى الانسانية كله موجود فى زيد فاذا ثبت ذلك فالمفسر اذا فسر العام بالخاص فقصده ان يبين تخصيصه ويذكر مثاله لانه لم يرد انه هوهو لا غير وكثير ممن لم يتدرب بالقوانين البرهانية اذا رأى عاما مستعملا فى خاصين قدر ان ذلك جار مجرى الاسماء المشتركة فيجعله من بابها وعلى ذلك رأيت كثيرا ممن صنفوا في نظائر القرآن فقالوا الاثم ارتكاب الذنب والاثم الكذب احتجاجا بقوله « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) والاثم عام في المقال والفعال وانما خص في هذا الموضع لان السماع ليس الا في المقال وعلى ذلك قال اللحيانى الخوف القتال لقوله (فاذا ذهب الخوف سلقوكم) والقتل لقوله (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به) والعلم لقوله (لمن خاف من موص جنفاً أو اثما) أى علم وذلك من ظهور سوء التصور بحيث لا يحتاج الى تبين وأما الخاص فتفسيره بالعام جائز اذا قصد تبيين جنسه نحو الحرباء دويبة والحرباء الحيوان

﴿ فصل فى تبيين الوجوه التى يجعل لاجلها الاسم فاعلا في اللفظ ﴾

وهو فصل يكثر الشبه لأجله و يتعلق به الفريقان المنسوبان الى الجبر والقدر كل فعل من أفعال غير الله تعالى نحو التجارة والكتابة يحتاج في حصوله الى أشياء الى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار والى عنصر يعمل فيه كالخشب والى عمل كالنجر والى مكان وزمان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالنجر والمنحت والى مثال يعمل عليه ويحتذى نحوه والى غرض يعمل لاجله مايعمل ثم الفاعل

قد يحتاج الى من يسدده و يرشده والغرض قد يكون على نحوين قريب و بعيد فالقريب اتخاذ النجار الباب ليحصل به نفعاً والبعيد ليحصن البيت و كل ذلك قد ينسب اليه الفعل فيقال أعطانى زيد اذا باشر العطاء وأعطانى الله لما كان هو الميسر له ور بما جمع بين السبب القريب والبعيد فيقال اعطانى الله وزيد قال الشاعر ·

حبانا به جـدنا والاله وضرب لناجذم صائب

فنسب الى المسبب الاول وهو الله تعالى والى السبب الاخير وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » فاسند الفعل في الاول الى الآمر به وفي الثانى الى المباشر له وقال الشاعر فى صفة درع ٭ والبسنيه اليها لكى ٭ وقال آخر كاهم محرق فنسب في الاول الى عاملها وفي الثانى الى مستعملها وفي صفة نبال ٭ كستها ريشها مضرحية ٭ فنسب كسوتها الى الطير التى اتخذ منها ريشها وقيل يداك أوكتا وفوك نفخ فنسبه الى الآلة المتصلة ويقال سيف قاطع فنسب الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن جائف فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشة راضية فنسب الى المفعول وقال « حرما آمنا » فنسبه الى المكان وقيل يوم صائم وليل ساهر وقال ٭ وما ليل المطى بنائم ٭ فنسبه الى الزمان فلما كانت أفعالنا على ذلك صح فى الفعل الواحد أن يثبت لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين على ذلك قول الشاعر ·

أعطيت من لم تعطه ولو انقضى ٭ حسن اللقا حرمت من لم يحرم

فأثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين ويقال هذا الخشب قطعته لم يقطعه السكين بمعنى أنه جعل تأثيره لك لا للسكين ويقال قطعه السكين لم يقطعه

و بتصور هـذا الفصل تزول الشبهة فيما يرى من الافعال منسوبا إلى الله تعالى منفيا عن العبد ومنسوبا إلى العبد تارة منفيا عن الله تعالى نحو قوله تعالى « فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم » وقوله تعالى « وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى » وقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » و بيان ذلك أن الفعل الذى تباشره يعتبر على وجهين أحدهما بالاضافة إلى مباشره فيقال فعل فلان كذا ولم يفعل كذا والثاني الاعتبار بميسره والمقدر له والموفق لسبيله وأنه لولا سوابق نعمه لما وجد ذلك بل ما وجد شيء من أفعالنا وذواتنا وأنه تعالى السبب الأول الذى يصح ارتفاع ما سواه ولا يصح ارتفاعه، تعالى علواً كبيراً فاذا النظر إلى أفعالنا و إلى من يسرها لنا نظران نظر من أفعالنا إلى فعل البارى فيتوصل بها إلى معرفته ونظر من إنعامه علينا بقوانا وتسبيل سبيلنا إلى ايجاد أفعالنا وهـذا الثاني لا سبيل الى تصوره لمن لم يوفق فى الاول ولم يجعله ذريعة إلى الوصول إلى هذا و بهذا السبيل دعا الناس إلى الايمانَ فقال (آمنوا بالله) (ومن آمن وعمل صالحا) (وأن ليس للانسان الا ماسعى) فلما نبأهم عرفهم أن ذلك كله بتوفيقه فقال تعالى « قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم » وقال تعالى « ومن لم يجعل الله له نورا فاله من نور » فلما علم تعالى أن قد صار لهم قوة يمكنهم أن ينظروا من آلائه إلى أفعالهم قال تعالى « فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى » فأضاف أفعالهم إلى نفسه عند تناهي معارفهم بخلاف ما فعل فى الاول فاذا تقررت هذه الجملة علم أنه لا فاعل فى الحقيقة منفردا غير الله تعالى اذ كل فاعل يحتاج إلى معاون على ما تقدم البيان فيها والله تعالى كل أفعاله ابداع لا فى مادة ولا من شيء ولا على مثال ولا فى زمان ولا فى مكان ولا بآلة ولا بمرشد ومعين فهو الفاعل الحقيقى وما سواه فاعل على

ضرب من التوسع و بهذا النظر ورد الشرع وأجمع الصدر الأول من المؤمنين على أن الافعال كلها بمشيئة الله وارادته ومن جهته وأطلقوا على الله لفظ الشيء كما يطلق على غيره بنظرين مختلفين فان بعض الناس قد ذكر أن الشيء فى الاصل مصدر شاء فاذا استعمل فيه تعالى فبمعنى الشائي واذا استعمل فى غيره فبمعنى المشاء وذلك فى اللغة مستمر لان المصدر يطلق على الفاعل والمفعول جميعاً قال وتصور هذه الحقيقة من لفظة الشيء مما ينبها أن هذه اللغة من جهة الله تعالى .

﴿ فصل في بيان الالفاظ التي تجيء متنافية في الظاهر ﴾

كثيراما تجيء الالفاظ في الظاهر كالمتنافي عند من لم يتدرب بالبراهين العقلية والعلوم الحقيقية وربما يغالط الملحد بألفاظ من القرآن في نحو ذلك المعجزة فيشككهم مثل أن يقول قد ثبت من بداية العقول أن النفي والاثبات في الخبر الواحد اذا اجتمعا لابد من صدق أحدهما وكذب الآخر نحو أن يقال زيد خارج زيد ليس بخارج وقد رأينا في القرآن أخبارا متنافية فلا بد من أن يكون أحدهما صدقا والآخر كذبا وذلك مثل قوله تعالى « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » مع قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله اخبار عن الكفار أنهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين مع قوله تعالى « ولا يكتمون الله حديثا » وقوله تعالى « هذا يوم لا ينطقون » مع قوله تعالى « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » وقوله تعالى « نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما وصما » مع قوله تعالى « ورأي المجرمون النار » وقوله تعالى « دعوا هنالك ثبورا » مع قوله تعالى « سمعوا لها تغيظا وزفيرا » وقوله تعالى « فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون » مع قوله تعالى « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان » وقوله تعالى « وان منكم الا واردها » مع قوله تعالى « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها

معدون » وقبل الجواب عن ذلك يجب أن نقدم مقدمة تزول الشبهة بها عن ذلك وعن أمثالها ويكتفى بتصورها عن آحاد هذه الاسئلة ونظائرها وهو أن الخبرين اللذين أحدهما نفي والآخر إثبات انما يتناقضان اذا استويا في الخبر والمخبر عنه وفي المتعلق بهما وفي الزمان والمكان وفي الحقيقة والمجاز أما اذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين نحو أن يقال زيد مالك زيد ليس بمالك وتريد بأحد الزيدين غير الآخر أو تريد بأحد المالكين المبني من الملك وبالآخر المبني من الملك الذي هو الشد أو تريد بأحدهما المالك في الحال وبالآخر أنه ممن يصح ملكه كالعبد أو تعني بأحدهما باصبهان وبالآخر ببغداد أو تعني بأحدهما في زمان وبالآخر في زمان آخر غير الزمان الاول فكل هذا لا تناقض فيه فان المراد بأحد الخبرين غير المراد بالآخر وعلى ذلك كل ما يوصف بوصفين متضادين على نظيرين مختلفين نحو من يقول في الرحى والبكرة الدائرة على مركزها أنها سائرة أو متنقلة لاعتبار بعض أجزائها ببعض ويقول آخر أنها غير سائرة أو غير متنقلة اعتبار بجملة أجزائها وانها لا تبدل عن المركز فان ذلك لا تضاد بينهما وكذلك اذا قيل فلان لين العود ويراد به في السخاء قول مع قول آخر ليس بلين العود ويراد به في الشجاعة وعلى ذلك ما يختلف به الحال في الاضافة إلى حالين أو إلى نفسين نحو أن يقال المال صالح اعتبارا بحال ما أو بذات ما ويقول الاخر أن المال ليس بصالح اعتبارا بحال أخرى أو بذات أخرى وعلى ذلك الحكم في كل ماله مبدأ وغاية مثل الايمان والشرك والتوكل وذلك أن الايمان لما كان مبدأه اظهار الشهادتين كما قال عليه الصلاة والسلام في الجارية التي أشارت إلى السماء أنها مؤمنة وكان غايته ما قال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الاية صح أن يقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا

يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وأن يقال يزني الزاني وهو مؤمن وعلى ذلك كل ماهو مركب من شيئين أو كان له مبدأ وغاية كما تقدم صدق فيه أربعة أخبار بأربع نظرات نحو أن يقال السكنجبين حلو السكنجبين حامض السكنجبين حلو حامض السكنجبين لا حلو ولا حامض متى تصورت هذه المقدمة سهل الجواب عن هذه الابات اذ كل ذلك راجع إلى أحد الاسباب المذكورات من المخالفات .

(فصل في بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها علميها وعمليها)

كتاب الله تعالى منطو على كل ذلك بدلالة قوله تعالى « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » وقوله (ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء) وقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) لكن ليس يظهر ذلك الا للراسخين في العلم ولكونه منطويا على الحكم كلها قيل في تفسير قوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) أنه عني به تفسير القرآن ثم منازل العلماء تتفاوت في تفهمه ولذلك قال تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وأعظم ما يقصر تفهم الاكثرين عن ادراك حقائقه شيئان أحدهما راجع إلى اللفظ والاخر إلى المعنى فالراجع الى اللفظ شيئان أحدهما ما اختص به اللغة العربية من الايجاز والحذف والاستعارات والاشارات اللطيفة واللمحات الغامضة مما ليس في سوى هذه اللغة والاخر مما يوجد في القرآن خاصة من الايجازات والحذف مما ليس في غيره من الكلام ولما فيه من اللفظ اليسير المنطوي على المعنى الكثير قال عليه الصلاة والسلام أوتيت جوامع الكلم فمن مثال الايجاز قوله تعالى في وصف ارتفاع الاسباب المكروهة عن أوليائه (لا خوف

عليهم ولاهم يحزنون) فنفى بذلك كل تنقيص اذا كان جميعه في حصول مكروه وفوت محبوب وقد نفاهما بذلك وقال فى فاكهة أهل الجنة (لامقطوعة ولاممنوعة) فنفى بذلك جميع الآفات العارضة لمطاعم الدنيا وقال فى صفة خمرهم (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) فنفى بذلك كل مكروه يعرض فيها وأخبر بكل ما كان من أمر فرعون وآله بألفاظ يسيرة وذلك فى قوله « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين » فذكر فيه ما قيل انه ينطوى عليه من أوراق وجلود من السفر ومن عجيب مافيه ان كل ماعلم السامع واستغنى عنه من ألفاظ ترك ذكره وتخطى الى مابعده نحو قوله تعالى (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) فترك ما كان من موسى ثم ترك ما كان منه ومن أصحابه فى دخولهم البحر وتخطى الى ذكر ماصنع بهم . وأما الراجع الى المعنى فذكره تعالى أصولا منطوية على فروع بعضها بينه النبي عليه السلام و بعضها فوض استنباطه الى الراسخين فى العلم تشريفا لهم وتعظيما لمحلهم لكى تقرب منزلة علماء هذه الامة من منزلة الانبياء فى استنباطهم بعض الاحكام ولاختصاص هذه الامة بهذه المنزلة الشريفة قال عليه الصلاة والسلام كادت أمتى تكون أنبياء وعلى ذلك قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » الآية وقال كنتم خير أمة أخرجت للناس فجعلهم فى ذلك بمنزلة الانبياء .

(فصل فى انطواء القرآن على البراهين والادلة)

ما من برهان ولادلالة وتقسيم وتحديد مبنى على كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين لامرين أحدهما بسبب ماقاله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية والثانى ان المائل الى دقيق المحاجة

هو العاجز عن اقامة الحجة بالجلى من الكلام فان من استطاع ان يفهم بالاوضح الذى يفهمه الاكثرون لم ينحط الى الاغمض الذى لايعرفه الا الاقلون مالم يكن ملغزا فاخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها مايقنعهم و يلزمهم الحجة و يفهم الخواص من أثنائها مايوفى على ماأدركه فهم الحكماء وعلى هذا النحو قال عليه الصلاة والسلام إن لكل آية ظهرا و بطنا ولكل حرف حدا ومطلعا لاعلى ماذهب اليه الباطنية ومن هذا الوجه كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك اذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته و وحدانيته أتبعها مرة باضافتها الى أولى العقل ومرة الى أولى العلم ومرة الى السامعين ومرة الى المفكرين ومرة الى المتذكرين تنبيها على ان بكل قوة من هذه القوى يمكن ادراك حقيقة منها وذلك نحو قوله تعالى « ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » وغيرها من الآيات

(فصل فى الاحكام التى عليها مدار الاديان وما يجوز فيه النسخ ومالا يجوز فيه من الاحكام)

الاحكام التى تشتمل عليها الشرائع ستة . الاعتقادات . والعبادات . والمشتهيات والمعاملات . والزاجرات . والآداب الخلقية . فالاعتقادات خمسة اثبات وجود البارئ جل ثناؤه بصفاته واثبات الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين خلقه والكتاب والرسل والمعاد وقد انطوى على ذلك قوله تعالى « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر » الاية وأما العبادات فثمانية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرابين والكفارات . والمشتهيات أربع المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمعاملات أربع المعاوضات كالبيع والاجارة ومايجرى مجراهما والمخاصمات كالدعاوى والبينات

والامانات كالودائع والعوارى والتركات كالوصايا والمواريث والمزاجر خمس مزجرة عن فوات الارواح حفظاً للنفوس كالقصاص والدية ومزجرة لحفظ الاعراض كحد القذف والفسق ومزجرة لحفظ الانساب كالجلد والرجم ومزجرة لحفظ الاموال كالقطع والصلب ومزجرة لحماية البيضة كالقتل للمرتد وقتال البغاة وأما الاداب الخلقية فثلاثة مايختص به الانسان في نفسه واصلاح أخلاقه كالعلم والحلم والسخاء والعفة والشجاعة والوفاء والتواضع وما يختص به في معاشرة ذويه ومختصيه كبرّ الوالدين وصلة الارحام وحفظ الجار ورعاية الحقوق ومواساة أهل الفقر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وما يختص به أولو الامر من سياسة الرعية والفرق بين الشرعيات والاداب الخلقية ان الشرعيات محدودة الكميات والكيفيات ولتاركها عامتها عقوبة محدودة. وأما الاداب الخلقية فغير محدودة الكميات والكيفيات وليس لتاركها عقوبة بل هي موكولة الى ذوى الانفس الزكية (ومايعقلها الا العالمون) وعلى جمهور ذلك دل قوله تعالى «وقضى ربك ألا تعبدوا الاإياه) الى قوله(ذلك بما أوحى اليك ربك من الحكمة) وأشرف هذه الانواع الخمسة الاعتقادات لانه في حيز العلم والباقيات في حيز العمل والعلم هو المبدأ والعمل تمام ولا يكون تمام بلا مبدأ وقد يكون مبدأ بلا تمام ولان العلم أصل والعمل فرع ولا ثبات للفرع الابالاصل كالا كمال للاصل الا بالفرع ومتفق عند كل أحد ان الاعتقاد مقدم على العمل حتى انهم يتباينون بما ينفع من الاختلاف فى الاعتقادات دون الاعمال وتصير بفساد الاعتقاد المحاسن كلها مقابح ثم يتبعه أمر العبادة فان المخل بالصلاة والصيام والاغتسال من الجنابة عند المسلمين أعظم من مرتكب الظلم وكذا ترك السبت عند اليهود وترك العبادة عند النصارى وترك الزمزمة عند المجوس أعظم من ظلم العباد فان العبادة هى المحافظة

على حق الله والورع عن ظلم الناس المحافظة على أحكامه والعابد أعلى من الورع وبعد ذلك يجب ان نبين مايجوز فيه النسخ ومالا يجوز وقد علم أن النسخ لا يصح الا فى التعبد الذى هو الامر والنهى دون الاخبار كما يصح ذلك فى الاعتقادات المذكورة اذ كان ذلك أشياء أمرنا ان نعرفها على ماهى به فنعتقدها بحسب ماهى عليه وذلك لايتغير وما كان من الآداب الخلقية فانما هى عقليات ظاهرة لايأتى شرع بخلاف مقتضاها. وأما العبادات والمعاملات والمزاجر فما لايصح فى أصولها النسخ وانما يصح فى فروعها وذلك انه محال ان تنفك شريعة من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة فى حيز البدن وهى مثل الصلاة وعبادة فى حيز المال وهى كالزكاة وعبادة في امساك الشهوة كالصوم وان تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج وعن مزاجر تزجرهم عن استباحة نفوس الغير واعراضهم وأموالهم وانسابهم واماهيا تها واشكالها وأمكنتها وأزمتها واعدادها فهى فروعها التى لم تزل بعرض النسخ على حسب ماعرف الله تعالى من مصلحة كل قوم ومما يدلك على انه لانسخ فى عامة أصول هذه الاشياء ماورد من النصوص على ذلك في القرآن نحو قوله تعالى «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» وقوله «وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» الاية وقال حكاية عن عيسى (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) وقال في الزكاة (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) وقال في القبلة (ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) وقال في الصوم (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال في الاعتكاف (وطهر بيتى للطائفين والعاكفين) وقال في القرابين (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا) وحكى عن اليهود (الذين قالوا ان الله عهد الينا

أنلا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) وفي الجهاد (وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير) وقال في القصاص (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) وقال في المطاعم والمشارب (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل) الاية وقال (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات) وقال في المزاجر (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وقال في أخرى (لهدمت صوامع وبيع) وقال (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة) وذكر في الاداب وصايا لقمان لابنه وهو يعظه (يابنيّ لاتشرك بالله) الى قوله (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا) الى غير ذلك من الايات وآكد من ذلك كله (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) الى قوله (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وقال في الردع (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فان قيل ان المزاجر ليست في كل شريعة ألا ترى انه قيل لم تكن في النصرانية لما روى عن عيسى عليه السلام اذا لطم أحدكم على أحد جانبيه فليعرض عليه الجانب الاخر وقال ادع الناس الى الدين بالمقال دون القتال قيل ان المزاجر كما تكون بالقتال قد تكون بالمقال فلا بد ان يكون لهم مزاجر ثم ان مزاجرهم قد وردت بها التوراة فاستغنى بها عيسى عليه السلام عن تبيينها وماذكر من تمكين الجانب الاخر من اللطم نحث منه على العفو واحتمال المكروه .

(فصل فيما يحتاج اليه فى التفسير من الفرق بين النسخ والتخصيص)

النسخ والمسخ يتقاربان كذا قال الخليل الا ان المسخ في نقل الاعيان والنسخ فى نقل الصور نحو نسخ الكتاب وهو نقل صورة الكتابة الى غيره من غير ابطال لرسم الاول ونسخ الظل الشمس اذا أزالها وحقيقة النسخ إزالة مثل الحكم الثابت بالشرع بشرع آخر مع التراخى والفرق بينه وبين التخصيص ان

التخصيص قد يكون في الخبر والنسخ لا يكون فيه والتخصيص اخراج مالم يرد بالخطاب من الاعيان والمعاني والامكنة والنسخ اخراج مالم يرد من الحكم في بعض الازمنة والتخصيص في الاكثر مقرون بالمخصوص لفظاً أوتقديرا والنسخ لا يكون الا متأخرا عن المنسوخ ومتى اقترن به سمى تخصيصا وكان النسخ في الحقيقة ضربا من التخصيص الا انهما في المتعارف مختلفان وقد تصور عدة ممن صنفوا في النسخ بعض ماهو بيان للمجمل أوتخصيص للعام بصورة الناسخ وذلك نحو قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا) قال بعضهم نسخ ذلك بقوله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) وهذا بيان ماليس بظلم من أكل مالهم ونحو قوله تعالى « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » قال فلم تحرم ثم قال تعالى « انما الخمر والميسر والانصاب » الآية وهذا أيضاً بيان للاول وذاك أن ما كانت مضرته أكثر من نفعه فالعقل بالجملة يقتضى تجنبه ولكن لما كان ذلك غير صريح أكده بالآية الأخرى ومن التخصيص الذى يعد نسخا قوله تعالى « ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن » مع قوله تعالى « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » وعلى هذا ما حكي أنه لما نزل قوله تعالى « لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » شق ذلك على بعض أولى الضرر فنزل قوله تعالى « غير أولى الضرر » مقرونا بقوله تعالى « القاعدون من المؤمنين » وهذا القدر يدل على كثير مما ذكروه من أمثال ذلك .

﴿ فصل ﴾ فى أنه هل فى القرآن مالا تعلم الأمة تأويله اختلفوا فى ذلك فذهب عامة المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوما والا أدّى إلى بطلان فائدة الانتفاع به وأن لا معنى لانزاله وحملوا قوله تعالى (والراسخون فى العلم)

على أنه عطف على قوله تعالى (لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) وجعلوا قوله تعالى (يقولون آمنا به) في موضع الحال كما قال ·

الريح يبكى شجوها ٭ والبرق يلمع في غمامه

أي البرق يبكى لامعا وقوى ذلك بقراءة ابن مسعود فيما قيل (و يقولون آمنا به) بالواو وعامة أعيان الصحابة وكثير من المفسرين بعدهم ذهبوا إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعض مالا يعلم تأويله الا الله · قال ابن عباس انزل القرآن على أربعة أوجه وجه حلال وحرام لا يسع أحدا جهالته ووجه يعرفه العرب ووجه تأويله يعلمه العالمون ووجه لا يعلم تأويله الا الله ومن انتحل فيه علما فقد كذب وحمل الاية على أحد وجوه ثلاثة أحدها أنه جعل التأويل بمعني ماتؤول اليه حقائق الاشياء من كيفيانها وأزمانها وكثير من أحوالها وقد علمنا أن كثيرا من العبادات والاخبار الاعتقادية كالقيامة والبعث ودابة الارض لاسبيل لنا إلى الوقوف على حقائقها وأزمانها وهذا هو المراد بقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) الاية والثانى أن من ألفاظه ما أمرنا بأن نتلوها تلاوة وبها نتعبد دون معرفة تأويلها كما تعبدنا بحركات تحصل في كثير من العبادات في الصلاة والحج وعلى ذلك حمل قوله تعالى (وقولوا حطة) أي أنهم أمروا بالتفوه بهذه اللفظة والثالث أن كثيرا من الايات مما اختلف المفسرون فيه ففسروه على أوجه كثيرة تحتملها الاية ولا يقطع على واحد من الاقوال فان مراد الله تعالى منها غير معلوم لنا مفصلا بحيث يقطع به والذين ذهبوا المذهب الثانى قالوا قد علم أن الاية نزلت انكارا على قوم طمعوا في الهجوم على مالا سبيل لهم اليه فأراد تعالى حسم أسباب الخوض فيه ومتى كان فيه تشارك لم ينقطع الشغب اذ كل يدعى معرفته فان قيل أن هذا لاقوام معينين فرجع القول الى مايقوله الامامية أن آيات

من القرآن لا يعرف تأويلها الا الامام ويشهد لهذا قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) .

﴿ فصل ﴾ في بيان حكمة الله تعالى في جعله بعض الايات متشابها (سئل) بعض العابدين فقيل له مابال القرآن جعل بعضه محكما و بعضه متشابها وهلا جعل كله على نمط المحكم حتى كان يكفى الانسان مؤونة النظر الذي قل ماسلم متعاطيه من زلة وهذه مسئلة نسئل عنها في الاحكام أيضاً فنقول هلا بينها كلها حتى يستغنى عن جهد الرأي الذي لا يؤمن خطؤه بل سئل عنها أيضاً في أصل التكليف فيقال هلا خولنا الله نعامه بلا مشقة ولا مؤنة حتى كان عطاؤه اهنأ منالا فقال (الجواب) عن جميع ذلك واحد وهو أن الله تعالى خص الانسان بالفكر والتميز وشرفه بهما حتى قال تعالى (وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا) وجعله بذلك خليفة في الارض فقال للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) وقال تعالى (ليستخلفنهم في الارض) وقال تعالى (ليستخلفكم في الارض) الاية وقال تعالى (واستعمركم فيها) وكفاه شرفا بما أعطاه من هذه المنزلة أنه قد يصير لاجلها شريفا موصوفا بالعلم والحلم والحكمة وكثير من الصفات التى هي من صفاته تعالى وان لم تكن على حدها وحقيقتها ولما خصه الله تعالى بهذه الفضيلة أعني بالفكر والروية أعطاه كل ما أعطاه من المعارف قاصرة عن درجة الكمال ليكمله الانسان بفكرته لئلا تتعطل فائدتها والا كانت موجودا لا فائدة فيه وذلك شنيع ينزه عنه البارى سبحانه وعلى ذلك أحوال كل ما أوجده لنا من المأكولات والمشروبات لأنه أوجدلنا أصول الأغذية ثم هدانا بما خولنا من التميز الى تركيبها وتناول ما نحتاج اليه على الوجه الذى نحتاج وفي الوقت الذي نحتاج فاذا ثبت ذلك فتأويل كتاب الله تعالى وأحكامه وشرائعه وسائر معانيه قسمان جلى وخفى فالجلى ما أدركناه

إما بالحاسة أو بديهة العقل والخفي ما يتوصل اليه بوساطة أحد هذين فسبحان الذي شرف الانسان بهذه المنزلة السنية لتكون ذريعة له الى ادراك الحياة الابدية وتحصيل مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)

﴿ فصل في شرف علم التفسير ﴾

أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن وتأويله وذلك أن الصناعات الحقيقة انما تشرف بأحد ثلاثة أشياء إما بشرف موضوعاتها وهى المعمول فيها نحو أن يقال الصياغة أشرف من الدباغة لان موضوعها وهو الذهب والفضة أشرف من جلد الميتة الذي هو موضوع الدباغة و إما بشرف صورها نحو أن يقال طبع السيوف أشرف من طبع القيود و إما بشرف اغراضها وكمالها كصناعة الطب التى غرضها افادة الصحة فانها أشرف من الكناسة التى غرضها تنظيف المستراح فاذا ثبت ذلك فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاثة وهو أن موضوع المفسر كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وصورة فعله اظهار خفيات ما أودعه منزله من أسراره ليدبروا آياته (وليتذكر أولو الالباب) وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها والوصول الى السعادة الحقيقية التى لا فناء لها ولهذا عظم الله محله بقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) قيل هو تفسير القرآن .

﴿ فصل في بيان الالات التى يحتاج اليها المفسر ﴾

اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه فبعض يشدد فى ذلك وقال لا يجوز لاحد تفسير شئ من القرآن وان كان عالما أديبا متسعا في معرفة الادلة والفقه والنحو والاخبار والا ثار وانما له أن ينتهى الى ماروى

عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين واحتجوا في ذلك بما روي عنه عليه السلام من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار وقوله عليه السلام من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي خبر من قال في القرآن برأيه فقد كفر وبما روي عن أبى بكر رضى الله عنه أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله برأيى وذكر آخرون أن من كان ذا أدب وسيع فوسع له أن يفسره فالعقلاء الادباء فوضى فوضى في معرفة الاغراض واحتجوا في ذلك بقوله تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) وذكر بعض المحققين أن المذهبين هما الغلو والتقصير فمن اقتصر على المنقول اليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج اليه ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى (ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) والواجب أن يبين أولا ماينطوي عليه القرآن ومايحتاج اليه المفسر من العلوم فنقول و بالله التوفيق إن جميع شرائط الايمان والاسلام التى دعينا اليها واشتمل القرآن عليها ضربان علم غايته الاعتقاد وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وعلم غايته العمل وهو معرفة أحكام الدين والعمل به والعلم مبدأ والعمل تمام ولا يتم العلم من دون العمل ولا يخلص العمل من دون العلم ولذلك لم يفرد تعالى أحدهما من الاخر في عامة القرآن نحو قوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا)وقوله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) وقوله تعالى(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)ولا يمكن تحصيل هذين الا بعلوم لفظية وعقلية وموهبية . فالاول معرفة الالفاظ وهو علم اللغة . والثاني مناسبة بعض الالفاظ الى بعض وهو الاشتقاق . والثالث معرفة أحكام مايعرض للالفاظ من الابنية والتصاريف والاعراب وهو النحو . والرابع ما يتعلق بذات التنزيل

وهو معرفة القرآت . والخامس ما يتعلق بالاسباب التى نزلت عندها الآيات وشرح الاقاصيص التى تنطوى عليها السور من ذكر الانبياء عليهم السلام والقرون الماضية وهو علم الاثار والاخبار . والسادس ذكر السنن المنقولة عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن شهد الوحي مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) و بقوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وذلك علم السنن والسابع معرفة الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والاجماع والاختلافات والمجمل والمفسر والقياسات الشرعية والمواضع التى يصح فيها القياس والتى لا يصح وهو علم أصول الفقه والثامن أحكام الدين وآدابه وآداب السياسات الثلاث التى هي سياسة النفس والاقارب والرعية مع التمسك بالعدالة فيها وهو علم الفقه والزهد والتاسع معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية والتقسيم والتحديد والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك وهو علم الكلام والعاشر علم الموهبة وذلك علم يورثه الله من عمل بما علم وقال أمير المؤمنين رضى الله عنه قالت الحكمة من أرادنى فليعمل باحسن ما علم ثم تلا (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وما روي عنه حين سئل هل عندك علم عن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقع الى غيرك قال لا الا كتاب الله وما فى صحيفتي وفهم يؤتيه الله من يشاء وهذا هو التذكر الذى رجانا تعالى ادراكه بفعل الصالحات حيث قال (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الى قوله (لعلكم تذكرون) وهو الهداية المزيدة للمهتدى في قوله (والذين اهتدوا زادهم هدى) الاية وهو الطيب من القول المذكور فى قوله (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) فجملة العلوم التى هى كالآلة للمفسر ولا يتم صناعته الا بها

هذه العشرة علم اللغة والاشتقاق والنحو والقرآت والسير والحديث وأصول الفقه وعلم الاحكام وعلم الكلام وعلم الموهبة فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج من كونه مفسرا للقرآن برأيه ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجبة معرفته في تفسير القرآن وأحس من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم واستضاء باقوالهم لم يكن ان شاء الله من المفسرين برأيهم فان القائل بالرأى هاهنا من لم تجتمع عنده الآلات التى يستعان بها في ذلك فتفسيره وقال فيه تخمينا وظنا وانما جعله النبى عليه السلام مخطئا وان أصاب فانه مخبر بما لم يعلمه وان كان قوله مطابقا لما عليه الامر في نفسه ألا ترى أن الله تعالى قال (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) فشرط مع الشهادة العلم وكذب المنافقين في قولهم (نشهد انك لرسول الله) فقال (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ومن حق من تصدى للتفسير ان يكون مستشعر التقوى الله مستعيذا من شرور نفسه والاعجاب بها فالاعجاب بالنفس أس كل فساد وان يكون اتهامه لفهمه أكثر من اتهامه لفهم اسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل و بالله التوفيق

(فصل في جواز ارادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة)

العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك حقيقة فيهما أو مجازا في أحدهما متى تنافى معناهما في المراد لم يصح ان يرادا معا بعبارة واحدة نحو ان يقال صل صلاة واحدة على سبيل الوجوب والندب واذا لم تتنافيا صح ذلك نحو اللمس المراد به المسيس والمس والى ذلك ذهب الشافعي رحمه الله وهو مقتضى مذهب سيبويه لانه قال في قولهم الويل له انه دعاء عليه واخبار عن حاله فجعله للامرين في حالة واحدة الى غير ذلك مما دل من كلامه عليه والدلالة على جواز ذلك قولهم افعلوا كذا في مخاطبة الرجال والنساء وقولهم الرجال والنساء فعلوا وهذه العبارة المذكر

حقيقة والمؤنث مجاز وقوله تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) وعناه والمؤمنين فهو حقيقة فيه ومجاز فيهم وقال الشاعر

ثقال الجفان والحلوم رحاهم   رحى الماء يكتالون كيلا مذمذما

فوصف الجفان بالثقل حقيقة ووصف الحلوم به مجاز وقد نظمهما بلفظ واحد وقال آخر. وماء أجن الجمات قفر) فذكر الماء وأراده وبمكانه فقد يسمى مكان الماء ماء والدلالة على ارادتهما انه قد وصفه بأجن الجمات وذلك من صفة الماء نفسه و بقفر وهو من صفة المكان وقال ابن هرمة

والحوت يسبح في السما · كسبحه في الماء

وهو يكل سبح عن معنى والحوت السابح في السماء غير السابح في الماء وقالوا القمران للشمس والقمر وذلك في الشمس مجاز لامحالة فان قيل ان ذلك لا يصح من حيث ان المتكلم به يكون مريدا استعمال اللفظ فيما وضع له والعدول به عن الموضوع له في حالة واحدة وذانك أمران متنافيان في المراد وهذه عمدة من منع من جواز ذلك قيل ان ذلك انما ينافي اذا وضع لفظ فاستعمل في معنى واحد على انه منقول اليه عن غيره ومستعمل في موضعه أما اذا استعمل في أحد معنيين لا على النقل بل على الوضع له وفي الاخر على النقل اليه صح ارادتهما معا ثم ليس من شرط المتكلم ان يخطر بباله كيفية وضع اللفظ من حقيقة ومجاز وأيضا فما من لفظ مستعمل في شيئين حقيقة فيهما أو مجازا في أحدهما الا ويجمعهما معنى عام لهما على طريقة من يراعي مناسبة الالفاظ نحو ان يقال الحيوان في الاسد والحمار ويعني بالاسد الحيوان الجرئ وبالحمار الحيوان البليد وذلك متناول للبهيمة والانسان معاً فيصح ان يرادا كما يقال الحيوان الجرئ والحيوان البليد ومما يحمل من القران على ذلك قوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) وذلك عام في الانسان وغيره وقد علم ان الانسان يسبح بلسانه وفعاله والجمادات ليست تسبح كذلك

وقد قرنهما بلفظ واحد وعلى ذلك قوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) قيل عني بذلك الغنى بالكفاية والغنى بالقناعة معاً وأمثال ذلك في القرآن أكثر من ان تحصى ههنا ولمثل هذه المعاني المجتمعة فيه قال تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) وعلى ذلك روى في الخبر لكل حرف ظهر و بطن ولكل حرف حد ومطلع تنبيهاً على كثرة معانيه المجتمعة تحت اللفظة بعد اللفظة

(فصل في اعجاز القرآن)

المعجزات التي أتى بها الانبياء عليهم السلام ضربان حسي وعقلي فالحسي مايدرك بالبصر كناقة صالح وطوفان نوح ونار ابراهيم وعصى موسى عليهم السلام والعقلي ما يدرك بالبصيرة كالاخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً والاتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلم فاما الحسي فيشترك في ادراكه العامة والخاصة وهو أوقع عند طبقات العامة وآخذ بمجامع قلوبهم وأسرع لادراكهم الا أنه لا يكاد يفرق بين ما يكون معجزة في الحقيقة وبين ما يكون كهانة أو شعبذة أو سحراً أو سبباً اتفاقياً أو مواطأة أو احتيالا هندسياً أو تمويهاً وافتعالا الا ذو سعة في العلوم التي يعرف بها هذه الاشياء وأما العقلي فيختص بادراكه كملة الخواص من ذوي العقول الراجحة والافهام الثاقبة والروية المتناهية الذين يغنيهم ادراك الحق وجعل تعالى أكثر معجزات بني اسرائيل حسياً لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلياً لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالانبياء ولذلك قال عليه الصلاة والسلام كادت أمتي أن تكون أنبياء ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ وكانت العقليات باقية غير متبدلة جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية وما أتى به

النبي صلى الله عليه وسلم من معجزاته الحسية كتسبيح الحصا في يده ومكالمة الذئب له ومجيء الشجرة اليه فقدحوا وأحصاها أصحابه وأما العقليات فمن تفكر بما أورده عليه الصلاة والسلام من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الامم بأوجز عبارة اطلع على أشياء عجيبة ومما خصه الله به من المعجزات القرآن وهو آية حسية عقلية صامتة ناطقة باقية على الدهر مبثوثة في الارض ولذلك قال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه اية من ربه قل انما الايات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) ودعاهم ليلا ونهارا مع كونهم أولى بسطة في البيان الى المعارضة بنحو قوله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله) وفي موضع اخر (وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فجعل عجزهم علما للرسالة فلو قدروا ماقصروا و بذلوا أرواحهم في اطفاء نوره وتوهين أمره فلما رأيناهم تارة يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وتارة يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا وتارة يصفونه بأنه أساطير الاولين وتارة يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وتارة يقولون ائت بقرآن غير هذا أو بدله كل ذلك عجزا عن الاتيان بمثله علمنا قصورهم عنه ومحال أن يقال أنه عورض فلم ينقل فالنفوس مهتزة لنقل مادق وجل وقد رأينا كتبا كثيرة صنفت في الطعن على الاسلام قد نقلت وتداولت وهذه الجملة المذكورة وان كانت دالة على كون القرآن معجزا فليس بمقنع الا بتبيين فصلين أحدهما أن يبين ما الذي هو معجز أهو اللفظ أو المعنى أم النظم أم ثلاثتها فان كل كلام منظوم مشتمل على هذه الثلاثة والثاني أن المعجز هو ما كان نوعه غير داخل تحت الامكان كاحياء الموتى وابداع الاجسام فأما ما كان نوعه مقدورا فمحله محل

الافضل وما كان من باب الافضل في النوع فانه لا يحسم نسبة مادونه اليه وان تباعدت النسبة حتى صار جزأ من ألف فان النجار الحاذق وان لم يبلغ شأوه لا يكون معجزا اذا استطاع غيره جنس فعله فنقول و بالله التوفيق إن الاعجاز قد ذكر في القرآن على وجهين أحدهما اعجاز متعلق بفصاحته والثاني بصرف الناس عن معارضته . فأما الاعجاز المتعلق بالفصاحة فليس يتعلق ذلك بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى وذلك أن ألفاظه ألفاظهم ولذلك قال تعالى (قرآنا عربيا) وقال (الم ذلك الكتاب) تنبيها على أن هذا الكتاب مركب من هذه الحروف التي هي مادة الكلام ولا يتعلق أيضا بمعانيه فان كثيرا منها موجود في كتب المتقدمين ولذلك قال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) وقال (أولم تأتيهم بينة مافي الصحف الاولى) وما هو بمعجز فيه من جهة المعنى كالاخبار بالغيب فاعجازه ليس يرجع الى القرآن بما هو قرآن بل هو لكونه خبرا بالغيب وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره وسواء كان موردا بالفارسية أو بالعربية أو بلغة أخرى أو باشارة أو بعبارة فاذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرآنا كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعرا أو الخطبة خطبة فالنظم صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره و باختلاف الصورة يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والخلخال اختلفت أحكامها وأسماؤها باختلاف صورها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة فاذا ثبت هذا ثبت أن الاعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص و بيان كونه معجزا هو أن نبين نظم الكلام ثم نبين أن هذا النظم مخالف لنظم سائره فنقول لتأليف الكلام خمس مراتب الاولى نظم وهوضم حروف التهجي بعضها الى بعض حتى يتركب منها الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف والثانية أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها الجمل المفيدة وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنثور

من الكلام والثالثة أن يضم بعض ذلك الى بعض ضبا لمبادي، ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم والرابعة أن يجعل له في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع والخامسة أن يجعل لمع ذلك وزن مخصوص ويقال له الشعر وقد انتهى وبالحق صار كذلك فان الكلام إما منثور فقط أو مع النثر نظم أو مع النظم سجع أو مع السجع وزن والمنظوم اما محاورة ويقال لها الخطابة وإما مكاتبة ويقال لها الرسالة وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن حاو لمحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شيء منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال القرآن رسالة أو خطابة أو شعر كما يصح أن يقال هو كلام ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم ولهذا قال تعالى (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنبيها على أن تأليفه ليس هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يزاد فيه كحال الكتب الاخر فان قيل ولم لم يتبع نظم القرآن الوزن الذي هو الشعر وقد علم أن الموزون من الكلام مرتبة أعلى من مرتبة المنظوم غير الموزون اذ كل موزون منظوم وليس كل منظوم موزونا قيل انما جنب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصية في الشعر منافية للحكمة الالهية فان القرآن هو مقر الصدق ومعدن الحق وقصوي الشاعر تصوير الباطل في صورة الحق وتجاوز الحد في المدح والذم دون استعمال الحق في تحري الصدق حتي ان الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق الا بالعرض ولهذا يقال من كانت قوته الخيالية فيه اكثر كان على قرض الشعر أقدر ومن كانت قوته العاقلة فيه اكثر كان في قرضه أقصر ولاجل كون الشعر مقر الكذب نزه الله نبيه عليه الصلاة والسلام عنه لما كان مرشحا لصدق المقال وواسطة بين الله وبين العباد فقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) فنفى ابتغاءه له وقال تعالى (وماهو بقول شاعر) أى ليس بقول كاذب ولم يعن

أن ذلك ليس بشعر فان وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج الى أن ينفي عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البراهين الاقيسة المؤدية فى اكثر الامر إلى البطلان والكذب شعرية وما وقع فى القرآن من الالفاظ متزنة فذلك بحسب مايقع فى الكلام على سبيل العرض بالاتفاق وقد تكلم الناس فيه وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً اذا اعتبر وذلك أنه ما من صناعة ولا فعلة من الافعال محمودة كانت أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقية الهية بدلالة أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف لينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه فى مزاولتها فيقبلها باتساع قلب ويتعاطاها بانشراح صدر وقد تضمن ذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقول النبى صلى الله عليه وسلم (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فلما رؤى أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة ألسنتهم وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بمثله وليس تهتز غرائزهم البتة للتصدى لمعارضته لم يخف على ذى لب ان صارفا الهيا يصرفهم عن ذلك وأى اعجاز أعظم من أن تكون كافة البلغاء مخيرة فى الظاهر أن يعارضوه ومجبرة فى الباطن عن ذلك وما أليقهم بانشاد ماقال أبو تمام :

فان نك أهملنا فاضعف بسعينا ۝ وان نك أجبرنا فغيم نتعتع

والله ولى التوفيق

(يقول المتوسل بصالح السلف ٭ مصححه الفقير عبد الجواد خلف)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن نزه كلامه المتين . عن مطاعن الطاعنين . وأرسل رسوله الصادق الامين . فعبر عنه بلسان عربى مبين ٭ القائل فى محكم كتابه المكنون (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال تنويهاً على شريف وصفه . (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . وصلاة وسلاما على أشرف من نطق بالضاد ٭ وأفحم بقوى حجته كل من عاند وضاد . سيدنا محمد بن عبدالله . وعلى آله وصحبه ومن والاه ﴿ وبعد ﴾ فقد تم باعانة القوى المعين الظاهر الباطن . طبع كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) املاء من اشتهر صيته وطار . في عموم الاقاليم والاقطار ٭ قاضي القضاة عماد الدين أبى الحسن (عبد الجبار) على نفقة الاستاذ الفاضل . الهمام الكامل ٭ الشاب المهذب ٭ الكامل المؤدب . ذى المساعى المشكورة والاخلاق المرضية . حضرة الامجد (السيد محمد سعيد الرافعى الفاروقى) الشهير صاحب المكتبة الازهرية جمل الله أحواله . وأحسن أعماله . وكان هذا الطبع الحسن الجميل . والصنع الفائق الجليل . (بالمطبعة الجمالية) العامرة بمصر المعزية القاهرة . وذلك في شهر ذى الحجة الحرام ٭ الذي هو لشهور سنة ١٣٢٩ من الهجرة ختام

م

